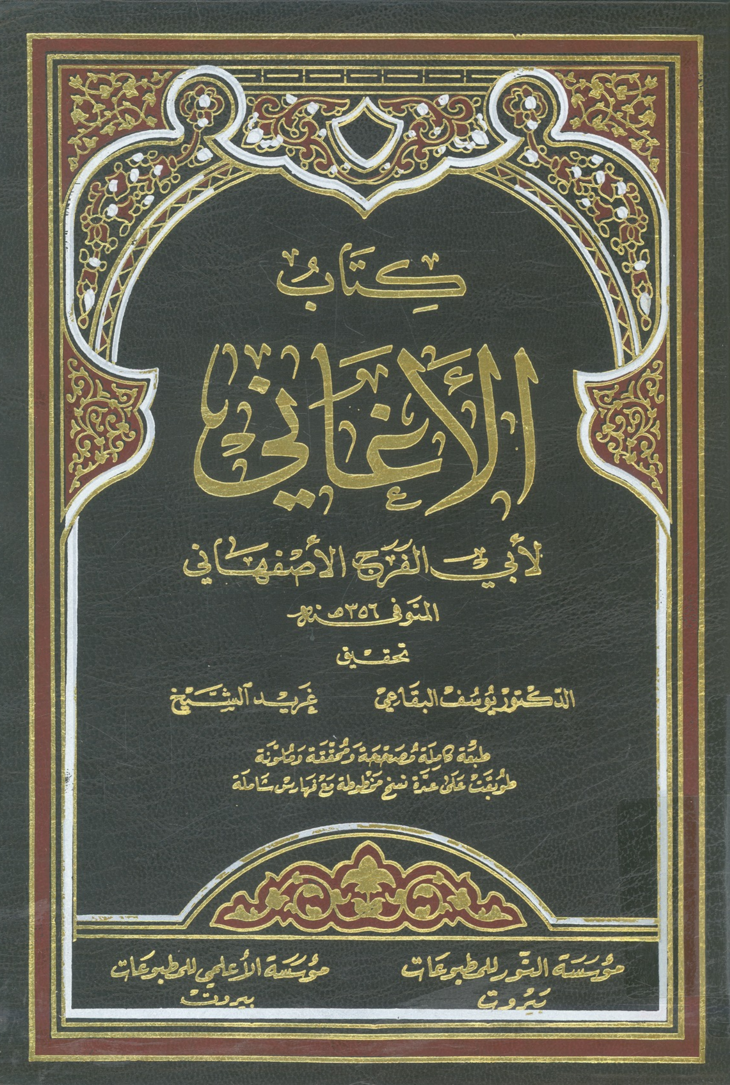
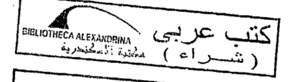
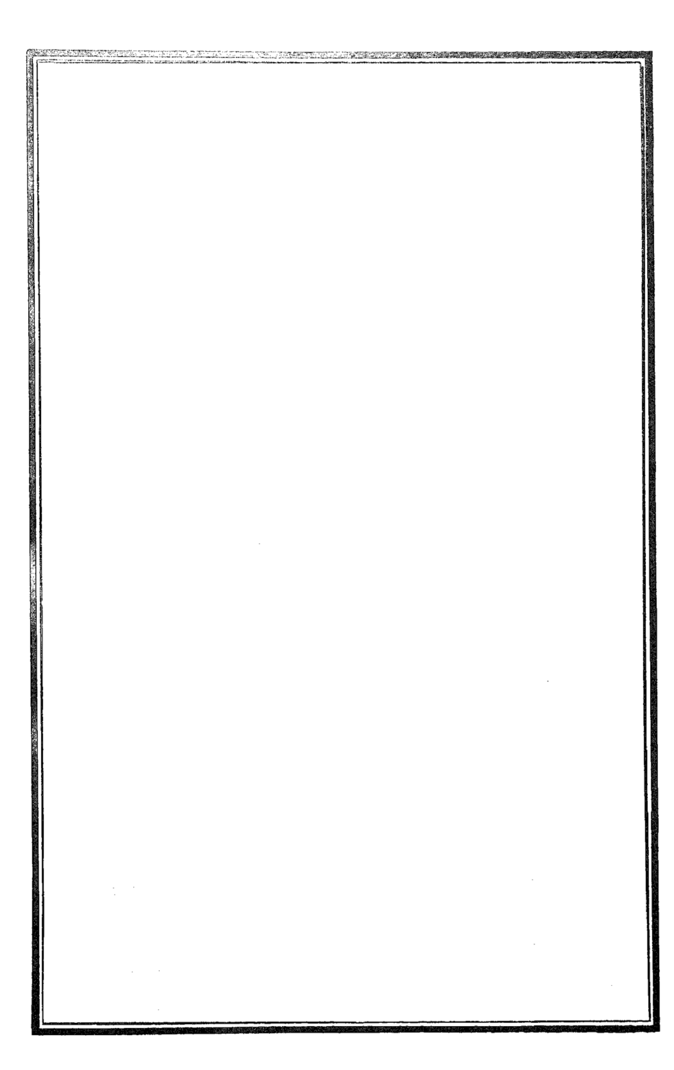

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
كتب عربي
(شـــراء)


كتاب
الأغاني



كتاب
الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي — غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الثالث

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

[توفي ٢ ق.هـ/ نحو ٦٢٠ م]

هو قَيْسُ بن الخَطِيم بن عَدِيّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر، ويُكنى قَيْسٌ أبا يَزيد.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حَمّاد قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشد ابن أبي عَتيق قولَ قيس بن الخطيم:

[المنسرح]

بَيْنَ شُكُولِ النِّساءِ خِلْقَتُها حَذْواً فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[1]

فقال: لولا أن أبا يَزيد قال: حذواً ما دَرى الناسُ كيف يَحْشُون هذا الموضع.

وكان أبوه الخطيم قُتِل وهو صغير، قتله رجلٌ من بني حارِثة بن الحارث بن الخَزْرَج، فلما بَلَغَ قتَل قاتل أبيه، ونشِبتْ لذلك حروبٌ بين قومه وبين الخزرج وكان سببَها.

[ثأره لأبيه وجدّه]

فأخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفش قال: أخبرني أحمد بن يحيى ثَعْلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال: كان سبب قتل الخَطيم أنّ رجلاً من بني حارِثة بن

(١) الشكول: الأنواع، والضروب، واحدها شكل. والحذو: التقدير. يقال: حذو النعل بالنعل، أي تقدير النعل وتقديرها على مثالها وشاكلتها. وجبلة: غليظة. والقَضَف: دقة اللحم، وهنا وصف بالمصدر. يقول: إنها بين النساء وسط ليست بسمينة ولا مهزولة.

الحارث بن الخزرج يقال له مالِك اغتاله فقتله، وقيسٌ يومئذ صغير، وكان عديّ أبو الخَطيم أيضاً قُتل قبلَه، قَتَلَهُ رجلٌ من عبد القَيْس، فلما بلغَ قيس بن الخطيم وعرَف أخبارَ قومه وموضعَ ثَأْرِهِ ولم يزل يلتمس غِرَّةً[١] من قاتل أبيه وجَدّه في المواسم حتى ظفِر بقاتل أبيه بِيَثْرِبَ فقتله، وظفِر بقاتل جَدّه بذي المَجَاز[٢]، فلما أصابه وجدَه في رَكْبٍ عظيم من قومه، ولم يكن معه إلا رَهْطٌ من الأَوْس، فخرج حتى أتى حُذَيفَةَ بنَ بَدْر الفَزَارِيّ، فاستنجده فلم يُنْجِدْه، فأتى خِدَاشَ بن زُهَير فنهَض معه ببني عامر حتى أَتَوْا قاتلَ عديّ، فإذا هو واقفٌ على راحلتِه في السُّوق، فطعَنه قيس بحَرْبة فقتله ثم استمرّ. فأزاده رهطُ الرجل، فحالتْ بنو عامر دونَه، فقال في ذلك قيس بن الخَطيم: [الطويل]

ثَـأَرْتُ عَـدِيًّـا والـخَـطِـيـمَ فَـلَـمْ أُضِـعْ ... وِلايَـةَ أَشْـيَـاخٍ جُـعِـلْـتُ إِزاءَهـا[٣]

ضَـرَبْـتُ بِـذِي الـزَّجَّـيْـنِ رِبْـقَـةَ مَـالِـكٍ ... فَـأُبْـتُ بِـنَفْسٍ قَـدْ أَصَبْـتُ شِـفَـاءَهـا[٤]

وَسَـامَـحَنِي فِيهَـا ابنُ عَـمْرِو بْـنِ عَـامِرٍ ... خِـدَاشٌ فَـأَدَّى نِـعْـمَـةً وَأَفَـاءَهـا[٥]

طَـعَـنْـتُ ابْـنَ عَـبْـدِ الـقَـيْـسِ طَـعْـنَـةَ ثَـائِـرٍ ... لَـهَـا نَـفَـذٌ لَـوْلاَ الـشَّـعـاعُ أَضَـاءَهـا[٦]

مَـلَـكْـتُ بِـهَـا كَـفِّـي فَـأَنْـهَـرْتُ فَـتْـقَـهَـا ... يَـرَى قَـائِـمٌ مِـنْ دُونِـهَـا مَـا وَرَاءَهـا[٧]

هذه رواية ابن الأعرابيّ عن المفضَّل. وأما ابن الكَلْبِيّ فإنه ذكر أن رجلاً من قُريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عَمّار بن ياسِر، وكان عالماً بحديث الأنصار، قال: كان من حديثِ قيس بن الخطيم أن جَدّه عدِيّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة يقال له مالِك، وقتل أباه الخَطِيمَ بن عدِيّ رجل من عبد القيس ممن يسكن هَجَر، وكان قيس يوم قُتل أبوه صبيّاً صغيراً، وقُتل الخَطيم قبل أن يَثْأر بأبيه عدِيّ، فخشيتْ أمّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجده فيَهْلِكَ، فعمدَتْ إلى كُومة من تراب عند باب دارهم، فوضعتْ عليها أحجاراً وجعلتْ تقول لقيس: هذا قبر أبيك وجَدّك،

---

(١) يلتمس غِرّة: يلتمس غفلة أعدائه ليثأر لأبيه.

(٢) ذو المجاز: موضع بعرفة كانت تقام فيه سوق في الجاهلية.

(٣) إزاءها: المسؤول عنها، القيّم عليها.

(٤) الزجّ: الحديدة التي في أسفل الرمح. والربقة: العروة، وأراد الشاعر: أنه ضرب حبل عاتقه فقتله.

(٥) سامحني: وافقني.

(٦) النفذ: الثقب. والشَّعاع: انتشار الدم. ويروى الشُّعاع، وهو حمرة الدم والمعنيان جائزان.

(٧) أنهر الفتق: أوسعه.

فكان قيس لا يشكّ أن ذلك على ذلك. ونشأ أَيِّداً[١] شديدَ الساعدين، فنازع يوماً فتى من فِتْيان بني ظَفر، فقال له ذلك الفتى: والله لو جعلتَ شدّةَ ساعديْك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرجَها عليّ؛ فقال: ومن قاتلُ أبي وجَدّي؟ قال: سَلْ أُمَّك تخبرْك؛ فأخذ السيفَ ووضعَ قائمَه على الأرض وذُبَابه[٢] بين ثدييه وقال لأمه: أخبريني مَنْ قتل أبي وجدّي؟ قالت: ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفِناء؛ فقال: والله لتُخْبرينني[٣] مَنْ قتلهما أو لأتحامَلنَّ على هذا السيف حتى يخرجَ من ظهري؛ فقالت: أمّا جدُّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن رَبيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القَيْس ممن يسكن هَجَر؛ فقال: والله لا أنتهي حتى أقتلَ قاتلَ أبي وجدّي، فقالت: يا بُنيّ إن مالكاً قاتِلَ جَدِّك من قوم خِدَاش بن زُهَير، ولأبيك عند خداش نعمةٌ هو لها شاكر، فَأْته فاستشرْه في أمرك واستعِنْه يُعِنْك.

[بينه وبين خداش بن زهير]

فخرج قيسٌ من ساعتِه حتى أتى ناضِحه[٤] وهو يَسْقي نخلَه، فضرَب الجَرِيرَ[٥] بالسيف فقطعه، فسقطت الدلُو في البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرَارتَين[٦] من تمر، وقال: مَنْ يَكفِيني أمرَ هذه العجوز؟ (يعني أُمَّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[٧] حتى تموت ثم هو له، وإن عشتُ فمالي عائد إليَّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره، فقال رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليه بمَرِّ الظَّهْرَانِ، فصار إلى خبائه فلم يجده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه، ثم نادى امرأةَ خداش: هل من طعام؟ فأَطْلعَتْ إليه فأعجبها جمالُه، وكان من أحسن الناس وجهاً؛ فقالت: والله ما عندنا

(١) أيِّداً: قويًّا، شديد القوة.
(٢) ذباب السيف: حدّه.
(٣) كذا في الأصل، وهذا الوجه جائز عند الكوفيين من غير توكيد والأحسن والأقصد: والله لتخبرنّي بالتوكيد.
(٤) الناضح: البعير الذي يستقى عليه.
(٥) الجرير: الحبل.
(٦) الغرارة: وعاء من خيش ونحوه.
(٧) الحائط: البستان.

من نُزْلٍ[١] نرضاه لك إلا تمراً؛ فقال: لا أُبالِي، فأخرجي ما كان عندكِ؛ فأرسلتْ إليه بقُبَاعٍ[٢] فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردّ شِقَّها الباقيَ في القُباع، ثم أمرَ بالقُباع فأُدخِل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته امرأته خبرَ قيس، فقال: هذا رجل متحرِّم[٣].

[زهير بن خداش يخبر قيس بن الخطيم عن قاتلي أبيه وجده]

وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رُطَباً؛ فلما رأى خداش رِجْلَه وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفكِ؟ قالت: نعمْ؛ قال: كأن قدمَه قدم الخَطيم صديقي اليَثْرِبيّ؛ فلما دنا منه قَرَعَ طُنُبَ[٤] البيت بسنان رمحه واستأذن، فأذِن له خداش فدخل إليه، فنسبَه فانتسب وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه في أمره؛ فرحّب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر ما زلتُ أتوقّعه منك منذُ حينٍ. فأمّا قاتلُ جدّك فهو ابن عم لي وأنا أُعينك عليه، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جنبه، وتحدثّتُ معه، فإذا ضربتُ فخذه فثِبْ إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوَه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالَسه خداشٌ، فحينَ ضرب فخذَه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخُرْصين، فثار إليّ القومُ ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبيني وقال: دعُوه فإنه والله ما قتلَ إلا قاتلَ جدّه. ثم دعا خداشٌ بجملٍ من إبله فركبه، وانطلق مع قيس إلى العَبْدِيّ الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريباً من هَجَرَ أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دُلّ عليه قال له: إن لصّاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي، فسألتُ مَنْ سيدُ قومه فدُللتُ عليك، فانطلقْ معي حتى تأخذ متاعِي منه؛ فإن اتّبعكَ وحده فستنال ما تريد منه، وإن أخرج معه غيره فاضحك، فإن سألك ممّ ضحكتَ فقل: إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ إذا دُعي إلى اللص من قومه، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخَذ هيبةً له، فإن أمر أصحابَه بالرجوع فسبيل ذلك، وإن أَبَى إلاّ أن يَمضوا معه فأْتِني

(١) النزل: ما يهيأ للضيف من قرى ونوم، وهنا المراد: القرى.
(٢) القباع: المكيال الكبير، الواسع، الضخم.
(٣) المتحرم: الذي له حرمة وذمة.
(٤) الطنب: حبل يشد به الخباء.

به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابَه، ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العَبْدِيَّ فقال له ما أمره خداش فأحْفَظه[١]، فأمر أصحابَه فرجعوا ومضى مع قيس؛ فلما طلع على خداش، قال له: اخترْ يا قيس إما أن أُعِينك وإما أن أَكْفيكَ؛ قال: لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يُفْلِتَنَّكَ؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحَرْبة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانَه، فلما فرغ منه قال له خداش: إنا إن فرَرْنا الآن طلبَنا قومُه، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله، فإن قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمتَ قريباً منه، ولكنهم إذا افتَقَدُوه اقتفَوْا أثرَه، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه، فإذا يئسوا رجعوا. قال: فدخلا في داراتٍ من رمال هناك، وفَقد العَبْديَّ قومُه فاقتفَوْا أثرَه فوجدوه قتيلاً، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خداش. وأقاما مكانَهما أياماً ثم خرجا، فلم يتكلما حتى أتيَا منزلَ خداش، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله، ففي ذلك يقول قيس: [الطويل]

تَذكَّرَ لَيْلَى حُسْنَها وَصَفَاءَها ... وَبَانَتْ فَمَا إنْ يَسْتَطِيعُ لِقَاءَها
وَمِثْلُكِ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسَتْ بِكَنَّةٍ ... وَلاَ جَارَةٍ أَفْضتْ إِلَيَّ خِبَاءَها[٢]
إِذَا ما اصْطَبَحْتُ أَرْبعاً خَطَّ مِئْزَرِي ... وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّماحِ رِشاءَها[٣]
ثَأَرْتُ عَدِيًّا وَالخَطِيمَ فَلَمْ أُضِعْ ... وَصِيَّةَ أَشْياخٍ جُعِلْتُ إِزاءَها

وهي قصيدة طويلة.

[استنشاد رسول الله ﷺ الخزرج شعر قيس]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدّثنا زكريا بن يحيى المِنْقَريّ قال: حدّثنا زِياد بن بَيان العُقَيليّ قال: حدّثنا أبو خَوْلَة الأنصاريّ عن أَنَس بن مالك قال: جلس رسول الله ﷺ في مجلس ليس فيه إلا خَزْرَجِيّ ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قولَه: [الطويل]

---

(١) أحفظه: غاظه وأغضبه.
(٢) أصبيتها: استملتها. والكنّة: زوجة الابن أو الأخ. وأفضت إليّ خباءها: أراد: باحت لي بأسرارها.
(٣) الرشاء: الحبل.

أَتَعْرِفُ رَسْماً كاطِّرَادِ الْمَذَاهِبِ لِعَمْرَةَ وَحْشاً غيرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ[(١)]

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله: [الطويل]

أُجَالِدُهُمْ يَوْمَ الحَدِيقَةِ حَاسِراً كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقُ لاَعِبِ[(٢)]

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ فقال: «هل كان كما ذكَر»؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شَمّاس وقال له: والذي بعَثَك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يومَ سابع عُرْسه عليه غِلالَة، ومِلْحَفة مورَّسة[(٣)] فجالدَنا كما ذكر. وهكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي مصعب قال: لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بُعَاث[(٤)] فإنه كان عظيماً، وإنما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب.

قال الزُّبير وأنشدتُ محمدَ بن فَضَالة قولَ قيس بن الخطيم: [الطويل]

أُجَالِدُهُمْ يَوْمَ الحَدِيقَةِ حَاسِراً كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيفِ مِخْرَاقُ لاعبِ

فضحك وقال: ما اقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسَّعَف.

قال أبو الفرج: وهذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسولُ الله ﷺ من جيّد شعر قيس بن الخطيم، ومما أنشده نابغةَ بني ذُبيان فاستحسنه وفضّله وقدّمه من أَجْلِهِ.

[النابغة يعجب بشعر قيس]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: قال أبو غُزَيَّة قال حَسّان بن ثابت: قدِم النابغةُ المدينةَ فدخل السُّوقَ فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه، ثم أنشأ يقول: [الوافر]

---

(١) اضطراد المذاهب: تتابعها وتسلسلها. والمذاهب جمع مُذْهب وهو جلد يخلَّل بخطوط مذهبة بعضها في أثر بعض.

(٢) الحديقة: قرية من أعراض المدينة في طريق مكة. والمخراق: خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان.

(٣) المورسة: المصبوغة بالورس، وهو نبات أصفر تصبغ به الثياب.

(٤) بعاث: موضع في نواحي المدينة، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج قبل الإسلام (معجم البلدان ٤٥١/١).

عَـرِفْـتُ مَـنَـازلاً بِـعُـرَيْـتِـنَـاتٍ فَـأَعـلَـى الـجِـزْعِ لـلـحَـيِّ الـمُـبِـنِّ[1]

فقلت: هلَك الشيخ ورأيتُه قد تبع قافيةً مُنْكرة. قال ويقال: إنه قالها في موضعه، فما زال يُنْشِد حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجلٌ يُنْشِد؟ فتقدّم قيس ابن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده: [الطويل]

أَتَـعْـرِفُ رَسْـمـاً كَـاطِّـرَادِ الـمَـذَاهِـبِ

حتى فرغ منها؛ فقال: أنت أشعرُ الناس يابنَ أخي. قال حسان: فدخَلَني منه، وإنّي في ذلك لأجد القوةَ في نفسي عليهما، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه؛ فقال: أَنشِدْ فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلّم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدتُه؛ فقال: أنت أشعر الناس. قال الحسن بن موسى، وقالت الأَوْس: لم يَزِدْ قيسُ بن الخطيم النابغةَ على:

أَتَـعْـرِفُ رَسْـمـاً كَـاطِّـرَادِ الْـمَـذَاهِـبِ

ـ نصف البيت ـ حتى قال أنت أشعر الناس.

[من صفات قيس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حدّثنا الزُّبير قال: قال سُلَيمان بن داود المُجَمِّعيّ: كان قيس بن الخطيم مقرونَ الحاجبين أدعجَ[2] العينين أحمر الشفتين برّاق الثّنايا كأن بينها بَرْقاً، ما رأته حَليلةُ رجل قطُّ إلاّ ذهب عقلُها.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا محمد قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعيّ قال: قال حَسّان بن ثابت للخَنْساء: اهْجِي قيسَ بن الخطيم، فقالت: لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه. قال: فجاءته يوماً فوجدته في مَشْرَقةٍ[3] مُلْتَفّاً في كِساء له، فنخَسته برجلها وقالت: قم، فقام؛ فقالت: أدْبِر، فأدبر، ثم قالت: أقبِلْ، فأقبل. قال: والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه، ثم عاد إلى حاله، نائماً؛ فقالت: والله لا أهجو هذا أبداً.

(١) عريتنات: وادٍ ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان. والمبنّ: المقيم.

(٢) أدعج العينين: واسع العينين، مع شدة سواد سوادهما وبياض بياضهما.

(٣) المشرقة: موضع يجلس فيه المرء إذا أراد أن تصل إليه أشعة الشمس، وذلك أيام البرد.

قال الزُّبير: وحدّثني عمّي مصعَب قال: كانت عند قيس بن الخطيم حَوّاء بنت يَزيد بن سِنَان بن كُرَيز بن زَعُوراء فأسلمتْ وكانت تكتم قيسَ بن الخطيم إسلامَها، فلما قدِم قيس مكة عرَض عليه رسول اللهﷺ الإسلام، فاستنظره قيس حتى يَقْدَم رسول اللهﷺ المدينة؛ فسأله رسول اللهﷺ أن يجتنب زوجته حواءَ بنت يزيد، وأوصاه بها خيراً، وقال له: إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس وحفظ وصيّة رسول اللهﷺ؛ فبلغ رسولَ اللهﷺ، فقال: «وفَى الأُدَيْعِجُ».

قال أبو الفرج وأحسب هذا غلطاً من مصعَب، وأن صاحبَ هذه القصة قيسُ ابن شَمّاس، وأما قيس بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة.

[مقتل قيس]

أخبرني علي بن سليمان الأَخْفش النحويّ عن أبي سَعيد السُّكَّريّ عن محمد ابن حَبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل: أن حرب الأَوْس والخَزْرَج لما هَدأتْ، تذكرت الخزرجُ قيسَ بن الخطيم ونكايَته فيهم، فتوامروا[١] وتواعدوا قتلَه؛ فخرج عشيَّةً من منزله في مُلاءَتين يريد مالاً له بالشَّوْط[٢] حتى مرّ بأُطُم[٣] بني حارِثة، فرُمِيَ من الأطم بثلاثة أسهم، فوقع أحدها في صدره، فصاح صَيحةً سمعها رَهْطُه، فجاءوا فحملوه إلى منزله، فلم يَرَوْا له كُفْئاً إلا أبا صَعْصَعَة يزيدَ بن عَوْف بن مُدْرِك النَّجَّاري، فاندسّ إليه رجل حتى اغتاله في منزله، فضرب عُنُقه واشتمل على رأسه، فأتى به قيساً وهو بآخر رَمَق، فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد أدركتُ بثأرك؛ فقال: عَضَضْتَ بأير أبيك إن كان غيرَ أبي صَعْصعة! فقال: هو أبو صعصعة، وأراه الرأسَ! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات.

[مهاجاته حسان بن ثابت]

وهذا الشعر أغْني:

أَجَـدَّ بِـعَـمْـرةَ غُـنْـيـانُـهـا

---

(١) توامروا: لغة في تآمروا، وهي لغة غير فصيحة، ومعناها: تآمروا على القتال وتحاضوا عليه.

(٢) الشوط: بستان بالمدينة (معجم البلدان ٣/ ٣٧٢).

(٣) الأطم: الحصن.

فيما قيل يقوله قيس في عَمْرة بنت رَوَاحة، وقيل: بل قاله في عَمْرَة: امرأةٍ كانت لحَسّان بن ثابت، وهي عَمْرة بنت صامت بن خالد. وكان حَسّان ذكر ليلى بنت الخَطيم في شعره، فكافأه قيسٌ بذلك، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرَّبيع[(١)].

فأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: أخبرنا الزُّبير قال: حدّثني مصعَب قال: مَرّ حَسّان بن ثابت بليلى بنت الخَطيم - وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحِلْفَ في قريش، فقال لها حسان: اظعَني فالْحَقي بالحيّ فقد ظَعَنوا وليت شعري ما خلَّفكِ وما شأنُك: أقلّ ناصرُك أم راث رافدُك[(٢)]؟ فلم تكلّمه وشتَمه نساؤها، فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه: [المتقارب]

لَقَدْ هَاجَ نَفْسَكَ أَشْجَانُها ... وَعَاوَدَهَا اليَوْمَ أَدْيَانُهَا[(٣)]
تَذَكَّرْتَ لَيْلَى وَأَنَّى بِها ... إذَا قُطِّعتْ منك أَقْرَانُهَا[(٤)]
وَحَجَّل فِي الدَّارِ غِرْبَانُها ... وَخَفَّ مِنَ الدَّارِ سُكَّانُها[(٥)]
وَغيَّرَها مُعْصِرَاتُ الرِّيَاحَ ... وَسَحُّ الجَنُوب وَتَهْتانُها
مَهَاةٌ مِنَ العِينِ تَمْشِي بِهَا ... وَتَتْبَعُها ثَمّ غِزْلاَنُها
وَقَفْتُ عَلَيها فَسَاءَلْتُها ... وَقَد ظَعَنَ الحَيُّ: ما شانُها
فَعَيَّتْ وجَاوَبَنِي دُونَها ... بِمَا رَاعَ قَلْبِيَ أعْوَانُهَا

وهي طويلة. فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أوّلها: [المتقارب]

أَجَدّ بِعَمْرة غُنْيَانُها

وفَخر فيها بيوم الرَّبِيع وكان لهم فقال:

وَنَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْمَ الرَّبِيـ ... ـع قَد عَلِمُوا كَيْفَ فُرْسَانُها
حِسَانُ الْوُجُوه حِدَادُ السُّيو ... فِ يَبْتَدِرُ المَجْدَ شُبَّانُها

---

(١) يوم الربيع: يوم بين الأوس والخزرج في الجاهلية. والربيع موضع من نواحي المدينة.
(٢) راث رافدك: تأخر معينك. وفي النسخ الباقيات: راث وافدك.
(٣) أديانها: جمع دين، وهو الداء، وأراد داء حبه القديم.
(٤) الأقران: جمع قرن، وهو الحبل.
(٥) حَجَّل وحَجَل: مشى على رجل واحدة رافعاً الأخرى.

وهي أيضاً طويلة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: أخبرنا الأصمعيّ قال: حدّثني شيخ قدِم من المدينة، وأخبرني إسماعيل بن يُونُس قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا أبو غَسّان عن أبي السائب المَخْزُوميّ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: ذُكِر لي عن جعفر بن مُحْرز السَّدُوسِيّ، قالوا: دخل النُّعْمان بن بَشِير الأنصاريّ المدينةَ أيامَ يزيدَ بنِ معاويةَ وابنِ الزُّبير، فقال: والله لقد أخْفَقتْ أُذُنَايَ من الغناء فأَسْمِعُوني؛ فقيل له: لو وجَّهتَ إلى عَزّة فإنها من قد عرفتَ! قال: إي وربِّ البيت، إنها لَمنْ يزيد النفس طِيباً والعقل شَحْذاً، ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبتْ صِرْنا إليها؛ فقال له بعض القوم: إن النُّقْلة تشتدُّ عليها لِثقَل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان: وأين النجائب عليها الهوادج! فوجَّه إليها بنجيب فذكرتْ علّة، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجَليسه أنت كنت أخبرَ بها، قوموا بنا؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرَقُوها[1]، فأذِنتْ وأكرمتْ واعتذرتْ، فقبل النعمانُ عُذرها وقال: غنِّيني، فغنّتْه:

أَجَدَّ بِعَمْرَةَ غُنْيانُها فَتَهْجُرَ أم شأنُنا شأنُها

فأُشِير إليها أنها أمُّه فسكتتْ؛ فقال: غنِّيني فوالله ما ذكرتِ إلا كرماً وطِيباً! لا تغنِّيني سائرَ اليوم غيرَه؛ فلم تزل تغنِّيه هذا اللحنَ فقطْ حتى انصرف.

وتذاكروا هذا الحديثَ عند الهَيْثم بن عَدِيّ، فقال: ألا أَزِيدكم فيه طريفةً! قلنا بَلَى يا أبا عبد الرحمن؛ قال: قال لَقيط: كنت عند سعيد الزُّبيريّ قال: سمعت عامراً الشعبيّ يقول: اشتاق النُّعمان بن بَشير إلى الغناء فصار إلى منزل عَزَّة، فلما انصرف إذا امرأةٌ بالباب منتظرة له، فلما خرج شكتْ إليه كثرةَ غِشْيان زوجها إياها؛ فقال لها النعمان بن بشير: لأَقضِيَنَّ بينكما بقضية لا تُردّ عليّ، قد أحلّ الله له من النساء مَثْنَى وثُلاث ورُباع، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل. فهذا يدلّ على أن المعنيَّةَ بهذا الشعر عمرة بنت رواحة.

وأما ما ذُكر أنه عَنَى عَمْرة امرأةَ حسان بن ثابت، فأخبرني الحسن بن عليّ

---

(١) طرقوها: أتوها ليلاً.

قال: حدّثنا أحمد بن زُهير قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عمه: أن قيس بن الخطيم لما ذكر حَسّانُ أختَه ليلى في شعره ذكر امرأته عمرةَ، وهي التي يقول فيها حسان: [الرمل]

أَزْمَعَتْ عَمْرَةُ صرماً فَابْتَكِرْ

[بين حسان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت]

أخبرني الحسن قال: حدّثنا أحمد قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني عمّي مصعب قال: تزوّج حَسّان بن ثابت عمرةَ بنت الصامِت بن خالد بن عطية الأَوْسِيّة ثم إحدى بني عمرو بن عَوْف، فكان كل واحد منهما معجَباً بصاحبه، وإن الأَوْس أجاروا مخلَّد بن الصامِت الساعِديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأَسْلَت: [الوافر]

أَجَرْتُ مُخَلَّداً وَدَفَعْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ صَالِحُ ما أَتَيْتُ

فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرةَ، فعيّرته بأخواله، وفَخَرَتْ عليه بالأوس؛ فغضب لهم فطلقها، فأصابها من ذلك نَدم وشدّة؛ وندِم هو بعدُ فقال:

صوت

[الرمل]

أَزْمَعَتْ عَمْرَةُ صَرْماً فَابْتَكِرْ ... إِنَّما يُدْهَنُ لِلْقَلْبِ الحَصِرْ(١)
لا يكن حُبُّكِ حُبّاً ظاهراً ... لَيسَ هذا منكِ يَا عَمْرِ بِسرّ
سألتْ حَسّانَ مَن أخوالُه ... إِنَّما يَسأل بالشَّيْءِ الغُمُرْ(٢)
قلتُ أخوالِي بَنُو كَعبٍ إذا ... أسلم الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ(٣)

يريد يُدْهَن القلبُ، فأدخل اللامَ زائدةً للضرورة. عمر: ترخيم عمرة. والسر: الخالص الحَسَن. غنَّت في هذه الأبيات عَزّةُ المَيْلاءُ ثانيَ ثَقيل بالبِنْصر من رواية حبش.

---

(١) يدهن: ينافق. والحصر: الضيّق.
(٢) الغُمُر: الذي لم يجرب الأمور، والجاهل، والأبله.
(٣) الدُّبُر: الظهر.

وتمام القصيدة:

رُبَّ خالٍ لِيَ لَوْ أَبْصَرْتِهِ ... سَبِطِ المِشْيَةِ في اليَوْمِ الخَصِرْ[1]

عند هٰذا البابِ إذ ساكنُهُ ... كلُّ وَجْهٍ حَسَنِ النُّقْبَةِ حُرّ[2]

يُوقِدُ النّارَ إذا ما أُطْفِئَتْ ... يُعْمِلُ القِدْرَ بأَثْبَاجِ الجُزُرْ[3]

مَنْ يَغُرُّ الدَّهْرُ أو يأمَنُه ... مِنْ قَبيلٍ بعدَ عَمْرٍو وحُجُرْ[4]

مَلَكَا من جبلِ الثلجِ إلى ... جانِبَيْ أَيْلَةَ مِنْ عَبْدٍ وَحُرّ[5]

ثم كانا خَيْرَ مَنْ نالَ النَّدَى ... سَبَقا النّاسَ بإقساطٍ وبِرّ[6]

فارِسَيْ خَيْلٍ إذا ما أَمْسَكَتْ ... رَبَّةُ الخِدْرِ بأطرافِ السُّتُرْ

أَتَيَا فارِسَ في دارِهِمُ ... فَتَنَاهَوْا بعد إعْصارٍ بِقُرّ[7]

ثم نادَوْا يا لَغَسّانَ اصبِرُوا ... إنَّهُ يَوْمُ مَصَالِيتَ صُبُرْ[8]

اجْعَلُوا مَعْقِلَها أَيْمانَكُمْ ... بالصَّفِيحِ المُصْطَفَىٰ غَيْرِ الفُطُرْ[9]

بِضِرَابٍ تَأْذَنُ الجِنُّ لَهُ ... وَطِعانٍ مِثْلِ أَفْواهِ الفُقُرْ[10]

وَلَقَدْ يَعْلَمُ مَنْ حارَبَنا ... أَنَّنا نَنْفَعُ قِدْماً وَنَضُرّ

صُبُرٌ لِلْمَوْتِ إنْ حَلَّ بنا ... صَادِقُو البَأْسِ غَطَارِيفُ فُخُرْ[11]

وأقامَ العِزُّ فينا وَالغِنَى ... فَلَنَا فيه عَلى النّاس الكُبُرْ[12]

---

(١) اليوم الخَصِر: الشديد البرودة. وسبط المشية؛ واسع المشية.

(٢) حسن النقبة: حسن اللون، أو حسن هيئة الانتقاب.

(٣) أثباج الجزر: أوساط الجزر. والجزر: جمع جزور. أراد أنه يوقد النار ويطعم الناس أيام الجدب والقحط.

(٤) عمرو وحُجر: من ملوك الغساسنة.

(٥) جبل الثلج: في دمشق. وأيلة: ما بين الحجاز والشام.

(٦) الإقساط: القسط، العدل.

(٧) الإعصار: الزوبعة. والقُرّ: البرد.

(٨) مصاليت: جمع مصلات، وهو الشجاع المقدام.

(٩) الفُطُر: جمع فطير، وهو السيف المتثلم.

(١٠) تأذن: تستمع. والفقر: جمع فقير وهو مخرج الماء من فم القناة.

(١١) غطاريف: جمع غطريف، وهو السيد الكريم.

(١٢) الكُبُر: الشرف.

مِنْهُمُ أَصْلِي فَمَنْ يَفْخَرْ بِهِ يَعْرِفِ النّاسُ بِفَخْرِ المفتخِرْ
نَحْنُ أَهْلُ العِزِّ والمَجْدِ معاً غيرُ أنْكاسٍ ولا مِيلٍ عُسُرْ[١]
فاسألوا عَنَّا وَعَنْ أفعالنا كُلُّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الخَبَرْ

قال الزبير: فحدّثني عمِّي قال: ثم إن حَسّان بن ثابت مرّ يوماً بِنِسْوة فيهن عَمْرة بعد ما طلّقها، فأعرضتْ عنه وقالت لامرأة منهنّ: إذا حاذاكِ هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانسُبِيهِ وانسُبِي أخوالَه وهي متعرِّضة له، فلما حاذاهنّ سألته مَنْ هو ونسبَّته فانتسب لها، فقالت: فَمَنْ أخوالُك؟ فأخبرها، فبصقَتْ عن شِمالها وأعرضتْ عنه؛ فحدّد النظر إليها وعجِب من فعلها وجعلَ ينظر إليها، فبصُر بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أن الأمر من قِبَلها أتى، فقال في ذلك: [الكامل]

قالت له يوماً تُخاطِبُه رَيّا الرَّوَادِفِ غادَةُ الصُّلْبِ[٢]
أمّا المُرُوءَةُ وَالوَسَامةُ أو حُشُم الرِّجال فَقَدْ بَدَا، حَسْبِي[٣]
فَوَدِدْتُ أنَّكَ لَوْ تُخَبِّرنا مَنْ والداكَ ومِنصبُ الشَّعْبِ[٤]
فَضَحِكْتُ ثمَّ رَفَعْتُ مُتَّصِلاً صَوْتِي كَرَفْعِ المَنْطِقِ الشَّغْبِ
جَدِّي أبو لَيْلَى وَوَالِدُهُ عَمْرٌو وأخْوالِي بَنُو كَعْبِ
وَأَنا مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ إذا أزَمَ الشِّتاءُ بِحَلْقَةِ الجَدْبِ[٥]
أعْطَى ذوو الأمْوالِ مُعْسِرَهُمْ وَالضَّارِبِينَ بِمَوْطِنِ الرُّعْبِ

قال مصعب: أبو ليلى الذي عناه حَسّان: حَرَام بن عمرو بن زَيْد مَنَاة.

ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم

صوت [المنسرح]

حَوْراءُ مَمْكُورةٌ مُنَعَّمَةٌ كأنّما شَفَّ وَجْهَها نُزُفُ[٦]

---

(١) أنكاس: جمع نكس، وهو الضعيف الدنيء. والميل: جمع أميل، وهو من به ميل خلقة. والعُسُر: جمع أعسر، وهو الذي لا يعمل إلا بيده اليسرى.
(٢) ريا الروادف: ممتلئة العجز، وفي ديوانه: نفج الحقيبة: والحقيبة: الردف.
(٣) حُشُم: استحياء.
(٤) المنصب: الأصل. والشَّعب: أكبر من القبيلة.
(٥) أزم الشتاء: اشتدّ.
(٦) سرف، والمنحنى، والعقيق، والجُرُف: مواضع.

تنامُ عن كُبْرِ شأنها فإذا ... قامَتْ رُوَيْداً تكادُ تَنْقَصِفُ
أَوْحَشَ مِنْ بَعْدِ خُلَّةٍ سَرِفُ ... فَالمُنْحَنَى فَالعَقِيقُ فالجُرُفُ[1]

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث. والغناء لقَفَا النَّجَّار، ولحنُه المختارُ ثاني ثقيل، هكذا ذكر يحيى بن عليّ في الاختيار الواثقيّ. وهو في كتاب إسحاق لقفا النجّار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر، ولعلّه غير هذا اللحن المختار.

[الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمرو بن عوف]

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حربٍ كانت بينهم وبين بني جَحْجَبَى وبني خطْمَةَ، ولم يشهدها قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يقال له: دِرْهم بن يَزيد. قال أبو المِنهال عُتيبةُ بن المِنهال: بعث رجل من غَطَفَان من بني ثَعْلبة بن سعد بن ذُبيان إلى يَثْرِب بفرَسٍ وحُلَّةٍ مع رجل من غَطَفانَ وقال: ادفعهما إلى أعز أهلِ يثربَ ـ قال وقيل: إن الباعث بهما عَبْدُ يَالِيل بن عمرو الثَّقَفيّ. قال وقيل: بل الباعثُ بهما عَلْقمةُ بن عُلاثةَ ـ فجاء الرسولُ بهما حتى ورد سوقَ بني قَيْنُقَاع فقال ما أُمِرَ به، فوثَب إليه رجلٌ من غَطَفان كان جاراً لمالك[2] بن العَجْلان الخَزْرَجِيّ يقال له كعب الثَّعْلَبيّ، فقال: مالك بن العَجْلان أعزّ أهل يثرب؛ وقام رجل آخر فقال: بل أُحَيْحةُ بن الجُلاَح أعزّ أهل يثرب، وكثر الكلام؛ فقَبِل الرسولُ الغطفانيّ قولَ الثعلبيّ الذي كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما إلى مالك؛ فقال كعب الثعلبيّ: ألم أقل لكم: إن حَلِيفي أعزُّكم وأفضلُكم! فغَضِب رجلٌ من بني عمرو بن عَوف يقال له سُمَيْر فرصدَ الثعلبيَّ حتى قتله، فأُخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عَوْف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتم منّا قَتيلاً فأرسِلوا إلينا بقاتله؛ فلما جاءهم رسول مالك تَرَامَوْا به فقالت بنو زيد: إنما قتلتْه بنو جَحْجَبَى، وقالت بنو جَحْجَبَى: إنما قتلتْه بنو زيد؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِل فيها صاحبُكم ناسٌ كثير، ولا يُدْرَى أيُّهم قَتَله؛ وأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرقوا، فلم يبق فيها غير سُمير وكعب، فأرسَل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلَغه من ذلك وقال: إنما قتله سُمَير، فأرسَلوا به إليَّ أقتله؛ فأرسَلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل سُمَيراً بغير بيّنة؛ وكَثُرت الرسلُ بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يُعطوه سُمَيراً ويأبَوْن أن يُعطوه

إياه. ثم إن بني عمرو بن عوف كَرِهوا أن يُنْشِبوا بينهم وبين مالك حرباً، فأرسلوا إليه يَعْرِضون عليه الدِّيَة فقبلها، فأرسَلوا إليه: إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصفُ الدية، فغضِب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الديةَ كاملة أو يقتل سُمَيْراً، فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلاّ ديةَ الحليف وهي نصف الدية، ثم دَعَوْهُ أن يَحْكُم بينَهم وبينَه عمرُو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَواحةَ ففعل؛ فانطلقوا حتى جاؤوه في بني الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك بن العَجْلان أنه ليس له في حليفه إلاّ دية الحليف، وأبى مالكٌ أن يَرضى بذلك وآذنَ بني عمرو بن عوف بالحرب، واستنصر قبائلَ الخزرج، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين ردّ قضاءَ عمرو بن امرىء القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خِذْلانَ بني الحارث بن الخزرج له وحَدب بني عمرو بن عوف على سُمَير، ويحرِّض بني النّجار على نُصْرته: [المنسرح]

إن سُمَيراً أَرَى عَشِيرَتَهُ ... قد حَدِبُوا دونَه وقد أَنِفُوا
إن يَكُنِ الظَّنُّ صادقاً بِبَنِي النَّـ ... ـجّار لا يَطْعَمُوا الذي عُلِفُوا
لا يُسْلِمُونا لِمَعْشَرٍ أبداً ... ما دام منّا بِبَطْنِها شَرَفُ
لكنْ مَوَالِيَّ قد بَدا لَهُمُ ... رَأيٌ سِوَى ما لَدَيَّ أَوْ ضَعُفُوا

يقال: عُلفوا الضيمَ إذا أقرُّوا به، أي ظنّي أنهم لا يقبلون الضيم.

صوت

[المنسرح]

بَيْنَ بَنِي جَحْجَبَى وَبَيْنَ بَنِي ... زَيْدٍ فَأَنَّى لِجَارِيَ التَّلَفُ
يَمْشُونَ فِي البَيْضِ وَالدُّرُوعِ كَمَا ... تَمْشِي جِمَالٌ مَصَاعِبٌ قُطُفُ[1]
كما تَمَشَّى الأسُودُ في رَهَج الـ ... ـمَوْتِ إليه وَكُلُّهُمُ لَهِفُ[2]

غنّى في هذه الأبيات مَعْبد خفيفَ ثقيلٍ عن إسحاق، وذكر الهِشَاميّ أن فيه لحناً من الثقيل الأوّل للغَريض. وقال درهم بن يزيد بن ضُبَيْعة أخو سُمَير في ذلك:

يا قومِ لا تَقْتُلُوا سُمَيراً فإنَّ ... القَتْلَ فيه البَوارُ والأسَفُ

(١) البَيْض: جمع بيضة، وهي الخوذة. والمصاعب من الإبل جمع مصعب، وهو الفحل الذي يعفىٰ من الركوب لفحولته. والقُطُف: جمع قطوف، وهي الدابة التي تبطىء في سيرها.

(٢) الرهج: الغبار.

إن تَـقْـتُـلـوه تَـرِنَّ نِـسْـوتُـكـم ... عـلـى كَـرِيـمٍ وَيَـفْـزَعِ الـسَّـلَـفُ[١]
إنِّـي لـعَـمْـرُ الـذي يَـحُـجُّ لـه الـنـ ... ـاسُ ومـن دون بَـيْـتِـهِ سَـرِفُ
يَـمِـيـنُ بَـرٍّ بِـالـلّـهِ مُـجْـتَـهِـدٍ ... يَـحْـلِـفُ إنْ كـان يَـنْـفَـعُ الـحَـلِـفُ
لاَ نَـرْفَـعُ الـعَـبْـدَ فـوقَ سُـنَّـتِـهِ ... مـا دام مِـنّـا بِـبَـطْـنِـهَـا شَـرَف
إنَّـكَ لاقٍ غَـداً غُـوَاةَ بَـنِـي ... عَـمِّـيَ فَـانْـظُـرْ مـا أَنْـتَ مُـزْدَهِـف[٢]
فـأَبْـدِ سِـيـمَـاكَ يَـعْـرِفُـوكَ كـمـا ... يُـبْـدُونَ سِـيـمَـاهُـمُ فَـتَـعْـتَـرِفُ

معنى قوله «فأبد سيماك»: أن مالك بن العَجلان كان إذا شهد الحربَ يغيِّر لباسه ويتنكّر لئلا يُعرف فيقصَد.

وقال درهم بن يزيد في ذلك: [المنسرح]

يـا مَـالِ لا تَـبْـغِـيَـنْ ظُـلاَمَـتَـنـا ... يـا مـالِ إنّـا مَـعَـاشِـرٌ أُنُـفُ
يَـا مَـالِ وَالْـحَـقُّ إن قَـنِـعْـتَ بـه ... فـيـه وَفِـيـنـا لأَمْـرِنـا نَـصَـفُ
إنّ بُـجَـيْـراً عَـبْـدٌ فـخُـذْ ثَـمَـنـاً ... فـالـحَـقُّ يُـوفَـى بِـهِ ويُـعـتَـرفُ
ثُـمَّ اعـلـمَـنْ إن أردتَ ضَـيْـمَ بـنـي ... زَيـدٍ فَـإنِّـي وَمَـنْ لَـهُ الـحَـلِـفُ
لأَصْـبَـحَـنْ دَارَكـم بِـذِي لَـجَـب ... جَـوْنٍ لَـهُ مـن أمـامِـهِ عَـزَفُ[٣]
الـبَـيْـضُ حِـصْـنٌ لـهـم إذا فَـزِعُـوا ... وسـابـغـاتٌ كـأنّـهـا الـنَّـطَـفُ[٤]
وَالـبِـيـضُ قـد ثُـلِّـمَـتْ مَـضَـارِبُـهـا ... بـهـا نُـفُـوسُ الـكُـمـاةِ تُـخْـتَـطَـفُ[٥]
كـأنَّـهـا فـي الأكُـفِّ إذ لَـمَـعَـتْ ... وَمِـيـضُ بَـرْقٍ يَـبْـدُو وَيَـنْـكَـسِـفُ

وقال قيس بن الخطيم الظَّفريّ أحد بني النَّبيت في ذلك، ولم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور: [المنسرح]

رَدَّ الـخَـلِـيـطُ الـجِـمَـالَ فَـانْـصَـرَفُـوا ... مـاذا عَـلَـيْـهِـمْ لَـوْ أَنَّـهُـمْ وَقَـفُـوا
لَـوْ وَقَـفُـوا سـاعـةً نُـسـائـلُـهـم ... رَيْـث يـضـحِّـي جِـمَـالَـه الـسَّـلَـفُ[٦]

---

(١) ترن: تبكي بصوت عالٍ.
(٢) مزدهف: مقتحم.
(٣) اللجب: الضجة، الصياح. والجون: الأسود تخالطه حمرة. والعزف: الصوت.
(٤) النطف: جمع نطفة، وهي اللؤلؤة الصافية الصغيرة، أو قطرة الماء.
(٥) البيض: السيوف.
(٦) الريث: المقدار من الزمن. ويضحي: يرعى الإبل ضحًى. والسلف: السابقون، المتقدمون.

فِيهِم لَعُوبُ العِشَاءِ آنِسَةُ الـ ـدّل عَرُوب يَسُوءُها الخُلُفُ[١]
بَيْنَ شُكُول النِّساءِ خِلقَتُها قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ
تنامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِهَا فإذا قامَتْ رُوَيْداً تكادُ تَنْغَرِفُ[٢]
تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهْيَ لاهِيَةٌ كأنَّما شَفَّ وَجْهَهَا نُزُفُ
حَوْراءُ جَيْداءُ يُسْتَضاءُ بها كأنَّها خُوطُ بانَةٍ قَصِفُ[٣]
قَضَىٰ لها اللّهُ حِينَ صَوَّرَها الـ ـخالِقُ أن لا يُكِنَّها سَدَفُ[٤]
خَوْدٌ يَغِثُّ الحَدِيثُ ما صَمَتَتْ وَهْوَ بِفِيها ذو لَذَّةٍ طَرِفُ[٥]
تَخْزُنُهُ وَهْوَ مشتهًى حَسَنٌ وَهْوَ إذا ما تَكَلَّمَتْ أُنُفُ[٦]

وهي طويلة يقول فيها:

أَبْلِغْ بَنِي جَحْجَبَى وإِخْوَتَهُمْ زَيْداً بأنّا وَرَاءَهُمْ أُنُفُ
إنّا وَإن قلَّ نَصْرُنا لَهُمُ أَكْبَادُنا من وَرَائِهِمْ تَجِفُ
لَمَّا بَدَتْ نَحْوَنا جِبَاهُهُم حَنَّتْ إِلَيْنا الأرْحامُ وَالصُّحُفُ
نَفْلِي بِحَدِّ الصَّفِيحِ هَامَهُمُ وَفَلْيُنا هامَهُم بها جَنَفُ[٧]
يَتْبَعُ آثارَها إذا اخْتُلِجَتْ سُخْنٌ عَبِيطٌ عُرُوقُه تَكِفُ[٨]
إنَّ بَنِي عمِّنا طَغَوْا وَبَغَوْا وَلَجَّ مِنْهُمْ في قَوْمِهِمْ سَرَفُ

فردّ عليه حسّان بن ثابت ولم يدرك ذلك: [المنسرح]

ما بالُ عَيْنَيْكَ دَمْعُهَا يَكِفُ مِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ شَطَّتْ بِهَا قَذَفُ[٩]
بانَتْ بِها غَرْبَةٌ تَؤُمُّ بها أَرْضاً سِوانا وَالشَّكْلُ مُخْتَلِفُ
ما كُنْتُ أَدْرِي بِوَشْكِ بَيْنِهِمُ حَتَّى رَأَيْتُ الحُدُوجَ تَنْقَذِفُ[١٠]

---

(١) العروب: المرأة الحسناء، المتحببة إلى زوجها.
(٢) تنغرف: تنقصف لدقة خصرها.
(٣) الخوط: الغصن الناعم.
(٤) السدف: الظلمة.
(٥) الطَّرِف: المستحسن.
(٦) الأنف: المستأنف، الجديد.
(٧) الجنف: الجور، الظلم.
(٨) السخن: الدم الحار الساخن. والعبيط: الطري. وتكف: تسيل.
(٩) شطت: بعدت. والقَذَف: البعيدة.
(١٠) الحدوج الأحمال. وتنقذف: تبتعد.

دَعْ ذا وَعَـدِّ الـقَـرِيـضَ فـي نَـفَـرِ ... يَـرْجُـونَ مَـدْحِـي وَمَـدْحِـيَ الـشَّـرَفُ
إنْ تَـدْعُ قَـوْمِـي لِـلْـمَـجْـدِ تُـلْـفِـهُـم ... أَهْـلَ فَـعَـالٍ يَـبْـدُو إذا وُصِـفُـوا
إن سُـمَـيْـراً عـبـدٌ طَـغَـى سَـفَـهـاً ... سـاعَـدَهُ أَعْـبُـدٌ لَـهُـمْ نَـطَـفُ(١)

قال: ثم أرسلَ مالكُ بن العَجْلان إلى بني عمرو بن عوف يُؤذِنُهم بالحرب، ويَعِدُهم يوماً يلتقون فيه، وأمرَ قومَه فَتَهَيَّأُوا للحرب، وتحاشد الحيّان وجمع بعضهم لبعض. وكانت يَهُودُ قد حالفتْ قبائلَ الأَوْس والخَزْرج، إلاَّ بني قُرَيظة وبني النَّضِير فإنهم لم يحالفوا أحداً منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرج، كلٌّ يدعوهم إلى نفسه، فأجابوا الأوسَ وحالفوهم، والتي حالفتْ قُرَيظةُ والنَّضيرُ من الأوسِ أوسُ اللَّهِ وهي خَطْمَةُ وَوَاقِفُ وأُمَيَّةُ ووَائِلُ، فهذه قبائلُ أوسِ اللَّهِ. ثم زحفَ مالكٌ بمن معه من الخزرج، وزحَفت الأوسُ بمن معها من حلفائها من قُرَيظة والنضير، فالتقَوْا بفضاء كان بين بئر سالِم وقُبَاء، وكان أوّل يوم التقوْا فيه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا وهم منتصِفُون جميعاً، ثم التقوْا مرة أُخرى عند أُطُم بني قَيْنُقَاع، فاقتتلوا حتى حجزَ الليلُ بينهم، وكان الظَّفَر يومئذ للأوس على الخَزرج، فقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت في ذلك: [البسيط]

لَقَدْ رَأَيْتُ بَنِي عَمْرٍو فَمَا وَهَنُوا ... عِنْدَ اللِّقاءِ وما هَمُّوا بِتَكْذِيبِ(٢)
أَلاَ فِـدًى لَـهُـمُ أُمِّـي ومـا وَلَـدَتْ ... غَدَاةَ يَمْشُون إرْقَالَ المَصَاعِيبِ(٣)
بِـكُـلِّ سَـلْـهَـبَـةٍ كَـالأَيْـمِ مـاضِـيَـةٍ ... وَكُلِّ أَبْيَضَ ماضِي الحَدِّ مَخْشُوبِ(٤)

ـ أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوباً، فشبهها بالحية في انسلالها ـ

[الأوس والخزرج يحكّمون ثابت بن المنذر بينهم]

قال: فلبث الأوسُ والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سُمير يتعاودون القتال في تلك السنين، وكانت لهم فيها أيامٌ ومواطنُ لم تُحفظ، فلما رأت الأوسُ

(١) النَّطف: القرط.
(٢) وهنوا: ضعفوا.
(٣) الإرقال: الإسراع.
(٤) السلهبة من الخيل: الطويلة، والأيم: الحية الذكر.

طولَ الشرّ وأن مالكاً لا يَنْزع[١]، قال لهم سُوَيْدُ بن صامِت الأوسيّ ـ وكان يقال له الكاملُ في الجاهلية، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمَّوْه الكاملَ، وكان سويدٌ أحدَ الكَمَلة ـ: يا قوم، أَرْضُوا هذا الرجل من حليفِه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضاً ويطمعَ فيكم غيرُكم، وإن حملْتُم على أنفسكم بعضَ الحَمْل. فأرسلت الأوسُ إلى مالك بن العَجْلان يَدْعونه إلى أن يحكُم بينه وبينهم ثابتُ بن المُنْذِر بن حَرَام أبو حَسّان بن ثابت، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتَوْا ثابتَ بن المنذر، وهو في البئر التي يقال لها سُمَيْحَة[٢]، فقالوا: إنا قد حَكّمناك بيننا، فقال: لا حاجةَ لي في ذلك؛ قالوا: ولم؟ قال: أخاف أن تردّوا حُكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرىء القيس؛ قالوا: فإنا لا نردّ حكمَك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تُعطوني مَوْثِقاً وعهداً لتَرْضَوُن بحكمي وما قضيتُ به ولَتُسْلِمُنّ له؛ فأعطَوْه على ذلك عهودَهم ومواثيقَهم، فحكم بأن يُودَى حليفُ مالكٍ ديةَ الصريح ثم تكون السّنةُ فيهم بعده على ما كانت عليه: الصريح على دِيته والحليفُ على ديته، وأن تُعَدّ القتلى الذين أصاب بعضُهم من بعض في حربهم ثم يكون بعض ببعض ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين، فرضي بذلك مالكٌ وسلّمت الأوسُ وتفرّقوا على أنّ على بني النَّجار نصفَ دية جار مالكٍ معونةً لإخوتهم، وعلى بني عمرو بن عوف نصفَها، فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يُخْرِجوا إلا الذي كان عليهم، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلبُ، ووُديَ جارُه ديةَ الصريح. ويقال: بل الحاكمُ المنذر أبو ثابت.

---

(١) ينزع: يكف.

(٢) سميحة: بئر بالمدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٥٥).

ذكر طويس وأخباره

[اسمه ولقبه وكنيته وولاؤه]

طُوَيْس لقبٌ غلَب عليه، واسمه عيسى بنُ عبد الله، وكنيته أبو عبد المُنْعِم وغيّرها المخنَّثون فجعلوها أبا عبد النَّعِيم، وهو مَوْلَى بني مَخْزوم، وقد حدّثني جَحْظَةُ عن حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّنَاد: قال سعد بن أبي وقّاص: كُنِيَ طويس أبا عبد المُنْعِم.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبي ومحمد بن سَلاَّم الجُمَحيّ، وعن الواقديّ عن ابن أبي الزِّنَاد؛ وعن المدائني عن زيد بن أَسْلَم عن أبيه، وعن ابن الكلبيّ عن أبيه، وعن أبي مِسكين، قالوا: أوّل من غنَّى بالعربيّ بالمدينة طُوَيسٌ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث[1] بها، وكان طويلاً أحول يُكنى أبا عبد المنعم، مولى بني مخزوم. وكان لا يضرب بالعود، إنما كان ينقُر بالدُّف، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها، وكان يُتَّقَى للسانِه. قالوا: وَسُئِل عن مولده فذكر أنه وُلد يوم قُبض رسولُ اللهﷺ، وفُطم يوم مات أبو بكر، وخُتن يوم قُتل عمر، وزُوِّجَ يوم قُتِلَ عثمان، وَوُلِدَ له يوم قُتِلَ عليّ رضوان الله عليهم أجمعين. قال وقيل: إنه وُلد له يوم مات الحسن بن عليّ عليه السلام. قال: وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنَّميمة. قالوا: وأوّل غناء غنّاه وهزج به:

صوت

[مجزوء الرمل]

كَيفَ يأتِي مِن بَعِيدٍ وَهْوَ يُخْفِيهِ القَرِيبُ

(١) الخنث والتخنث: التثني والتكسر والتشبه بالنساء.

نَــــازِحٌ بِـــالــشَّـــأم عَـــنّـــا وَهْـــوَ مِـــكْـــســـالٌ هَـــيُـــوبُ
قَـــد بَـــرانِـــي الـــحُـــبُّ حَـــتَّـــى كِـــدْتُ مِـــنْ وَجْـــدِي أَذُوبُ

الغناء لطُويس هزجٌ بالبنصر.

[شؤمه]

قال إسحاق: أخبرني الهَيْثم بن عديّ قال: قال صالح بن حَسّان الأنصاريّ أنبأني أبي قال: اجتمع يوماً جماعةٌ بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويساً، فقالوا: كان وكان؛ فقال رجل منا: أمَا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسَرُّون به علماً وظَرْفاً وحُسْنَ غناء وجودةَ نَقْرٍ بالدُّفّ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى، فقال بعض القوم: والله إنه على ذلك كان مشؤوماً، وذكر خبَر ميلاده كما قال الواقدي، إلا أنه قال: وُلِدَ يومَ ماتَ نبيّناﷺ، وفُطِم يوم ماتَ صِدِّيقُنا، وخُتِنَ يوم قُتِل فاروقنا، وزُوِّجَ يوم قُتل نُورُنا، ووُلِدَ له يَوْمَ قُتِلَ أخو نَبِيِّنا؛ وكان مع هذا مُخَنَّثاً يَكِيدُنا ويطلبُ عَثَراتنا، وكان مُفْرِطاً فِي طُوله مضطرِباً في خَلْقه أحولَ. فقال رجل من جِلّة أهل المجلس: لئن كان كما قلتَ لقد كان مُمْتِعاً فَهِماً يُحسن رِعايةَ من حَفِظ له حَقَّ المجالسة، ورعايةَ حُرْمة الخِدْمة، وكان لا يحمِل قولَ من لا يَرْعَى له بعضَ ما يَرْعاه له. ولقد كان مُعَظِّماً لمواليه بني مخزوم ومَنْ والاهم من سائر قريش، ومسالماً لمن عاداهم دون التَّحْكيك به[1]؛ وما يلام من قال بعلم وتكلّم على فهم؛ والظالم المَلوم، والبادىء أظلم. فقال رجل آخر: لئن كان ما قلتَ لقد رأيتُ قريشاً يكْتَنِفُونَهُ ويُحْدِقون به ويُحبّون مجالستَه ويُنْصِتُون إلى حديثه ويتمنَّوْن غناءه، وما وضعه[2] شيء إلا خَنَثُهُ، ولولا ذلك ما بقي رجلٌ من قريش والأنصار وغيرهم إلا أدْناه[3].

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال: حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ قال: حدّثني إسماعيل بن جَامِع عن سِيَاط قال: كان أوّل من تَغَنَّى بالمدينة غناءً يدخُل في الإيقاع طويس، وكان مولدُه يوم مات رسول اللهﷺ، وفِطامُه في اليوم الذي تُوُفِّي فيه أبو بكر، وختانُه في اليوم الذي

(١) التحكيك: التحرّش.
(٢) وضعه: أسقط مكانته.
(٣) أدناه: قرّبه.

قُتل فيه عمر، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان، ووُلد له يوم قتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين، ووُلد وهو ذاهبُ العين اليمنى. وكان يُلَقَّب بالذائب، وإنما لُقِّبَ بذلك لأنه غنى: [مجزوء الرمل]

قد بَرَانِي الحُبُّ حتى ... كِدْتُ من وَجْدِي أَذُوبُ

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال: أخبرني ابنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكِين قال: كان بالمدينة مُخَنَّث يقال له النُّغَاشِيّ، فَقِيلَ لمَرْوانَ بنِ الحَكَم: إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً، فبعث إليه يومئذ، وهو على المدينة، فاستقرأه أمَّ الكتابِ، فقال: والله ما معي بناتُها، أوْ ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أُمَّهنَّ! فقال: أتهزأ لا أمَّ لك! فأمرَ به فقُتل في موضع يقال له بَطْحَان[1]، وقال: من جاءني بمُخَنَّث فله عشرة دنانيرَ. فأُتِيَ طويسٌ وهو في بني الحارث بن الخَزْرَج من المدينة، وهو يغنّي بشعر حَسّان بن ثابت: [المتقارب]

لقد هاج نفسَك أشْجانُها ... وَعاوَدَها اليَوْمَ أَدْيَانُها
تَذَكَّرْتَ هِنْداً وما ذِكْرُها ... وَقَدْ قُطِّعَتْ مِنْكَ أَقْرَانُها
وَقَفْتُ عليها فساءلتُها ... وَقَدْ ظَعَنَ الحَيُّ ما شانُها
فصَدَّتْ وجاوَبَ مِنْ دُونِها ... بما أوْجَعَ القَلْبَ أَعْوَانُها

فأُخبر بمقالة مرْوان فيهم؛ فقال: أمَا فضَّلنِي الأمير عليهم بفضل حتى جعل في وفيهم أمراً واحداً! ثم خرج حتى نزل السُّوَيْداءَ ـ على ليلتين من المدينة في طريق الشأم ـ فلم يَزَلْ بها عُمره، وعُمِّر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك.

[هيت المخنث وبادية بنت غيلان]

قال إسحاق: وأخبرني ابن الكلبيّ قال: أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعوَانةُ قالا: قال هِيتُ المخنَّث لعبد الله بن أبي أُميَّة: إنْ فتَح الله عليكم الطائفَ فَسَل النبيَّ ﷺ باديةَ بنت غَيْلان بن سَلَمة بن معتِّب، فإنها هَيْفاءُ شَمُوعٌ نَجْلاء[2]، إن تكلّمت تغنَّت، وإن قامت تثنَّت، تُقْبِل بأَرْبع وتُدْبِر بثَمَان[3]، مع ثَغر كأنه

(١) بَطْحان: وادٍ بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة.
(٢) الشموع: اللعوب، الكثيرة الطرب. والنجلاء: الواسعة العينين.
(٣) يريد أنها ممتلئة سمينة.

الأُقْحُوَان، وبين رجليْها كالإناء المَكْفُوء[1]، كما قال قيس بن الخطيم: [المنسرح]

تَـغْـتَـرِقُ الـطَّـرْفَ وهـي لاهِـيَـةٌ كـأنَّـمـا شَـفَّ وَجْـهَـهَـا نُـزُفُ
بَـيْـنُ شُـكُـولِ الـنِّـسـاءِ خِـلْـقَـتُـهـا قَـصْـدٌ فـلا جَـبْـلَـةٌ ولا قَـضَـفُ

فقال النبيّ ﷺ: لقد «غَلْغلتَ النظرَ يا عدوَّ الله»، ثم جَلاَه عن المدينة إلى الحِمَى. قال هشام: وأوّلُ ما اتُّخِذت النُّعوشُ من أجلها. قال: فلما فُتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن عَوْف فولدت له بُرَيهةَ. فلم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى قُبض النَّبيُّ ﷺ؛ فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يردَّهُ، فلما وَلِيَ عمر رضي الله عنه كلّم فيه فأبى أن يردّه وقال: إن رأيتُه لأضربنَّ عنقَه؛ فلما ولي عثمانُ رضي الله عنه كُلِّمَ فيه فأبى أن يردَّه؛ فقيل له: قد كبر وضعف واحتاج؛ فأذِنَ له أن يدخل كلَّ جمعة فيسألَ ويرجعَ إلى مكانه. وكان هيتٌ مولًى لعبد الله بن أبي أُميَّة بن المُغِيرة المَخْزُوميّ، وكان طُوَيس له؛ فمن ثمّ قِيل الخَنِثُ.

وجلس يوماً فغنّى في مجلسٍ فيه ولدٌ لعبد الله بن أبي أمية:

تَـغْـتَـرِقُ الـطَّـرْفَ وهـي لاهِـيَـةٌ

إلى آخر البيتين؛ فأُشير إلى طُوَيس أن اسكتْ؛ فقال: والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيْلان بنِ سَلَمة وإنما هذا مَثَلٌ ضربه هيتٌ في أمّ بُرَيهةَ؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال: يابنَ الطاهر، أوجَدْتَ عليّ في نفسك؟ أُقْسِم بالله قسماً حقّاً لا أغنّي بهذا الشعر أبداً.

[طويس وعبد الله بن جعفر]

قال إسحاق: وحدّثنا أبو الحسن الباهليّ الراويةُ عن بعض أهل المدينة، وحدّثنا الهيثَمُ بنُ عديّ والمدائنيُّ، قالوا: كان عبد الله بن جعفر معه إخوانٌ له في عَشيّة من عَشَايَا الربيع، فراحت عليهم السماءُ بمطر جَوْد[2] فأسال كلّ شيء؛ فقال عبد الله: هل لكم في العقيق؟ ـ وهو متنزَّه أهل المدينة في أيام الرَّبيع والمَطَر ـ فركبوا دوابَّهم ثم انتهوْا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يَرمِي بالزَّبَد مثلَ مَدِّ الفُرَات،

(١) المكفوء: المقلوب.
(٢) مطر جَوْد: غزير.

فإنهم لينظرون إذ هاجت السماءُ، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جُنَّة نستجِنُّ بها[١] وهذه سماءٌ خليقة أن تَبُلَّ ثيابَنا، فهل لكم في منزل طُويس فإنه قريبٌ منا فنستكنّ فيه ويحدِّثنا ويُضْحِكُنا؟ وطُويس في النَّظَّارة يسمع كلامَ عبد الله بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت: جُعِلت فِداءَك! وما تريد من طُوَيس عليه غضبُ الله: مخنَّثٌ شائنٌ لمن عرفه؛ فقال له عبد الله: لا تقلْ ذلك، فإنه مَليح خَفيف لنا فيه أُنْس، فلما استوفى طويسُ كلامَهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته: وَيْحَك! قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيدُ الناس، فما عندكِ؟ قالت: نذبَح هذه العَناق، وكانت عندها عُنَيِّقَةٌ قد ربَّتْها باللبن، واختبزَ خبزاً رُقاقاً؛ فبادر فذبَحها وعجنَتْ هي. ثم خرج فتلقَّاه مقبِلاً إليه؛ فقال له طُويس: بأبي أنت وأمي؛ هذا المطرُ، فهل لك في المنزل فتستكنَّ فيه إلى أن تكُفَّ السماءُ؟ قال: إياكَ أُريد، قال: فامْض يا سيدي على بركة الله، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا، فتحدَّثوا حتى أدرك الطعامُ، فقال: بأبي أنت وأمي، تُكرِمني إذ دخلتَ منزلي بأن تتعشَّى عندي؛ قال: هاتِ ما عندكَ، فجاءه بعَنَاقٍ سمينةٍ ورُقَاق، فأكل وأكل القومُ حتى تَمَلَّؤوا، فأعجبه طِيبُ طعامِه، فلما غَسلوا أيديَهم قال: بأبي أنت وأمي، أتَمشَّى معك وأُغَنِّيكَ قال: افعل يا طُويس، فأخذ ملْحَفَةً فأتتزر بها وأرْخَى لها ذَنَبين ثم أخذ المربَّع[٢] فتمشَّى وأنشأ يغنِّي:

[المديد]

يا خَليلي نابني سُهُدِي ... لَمْ تَنَمْ عَيْنِي وَلَمْ تَكَدِ

كيف تَلْحُوني عَلَى رَجُلٍ ... آنِسٍ تَلْتَذُّهُ كَبِدِي[٣]

مِثْلُ ضَوْءِ البَدْرِ طَلْعَتُهُ ... لَيْسَ بِالزُّمَّيْلَةِ النَّكِدِ[٤]

فطرِب القومُ وقالوا: أحسنتَ والله يا طويس. ثم قال: يا سيّدي، أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله ما أدري لمن هو، إلا أني سمعت شعراً حسناً؛ قال: هو لفارعة بنت ثابت أخت حَسّان بن ثابت وهي تتعشّق عبد الرحمن بن الحارث بن

(١) الجُنَّة: الشيء يُسْتَجَنُّ به وَيُتَّقى.

(٢) المربَّع: آلة موسيقية، ولعلها الدّف.

(٣) تلحوني: تلومني، تعذلني.

(٤) الزُّمَّيْلَة: الجبان، الضعيف.

هشام المخزوميّ وتقول فيه هذا الشعر؛ فنكَّس القومُ رؤوسهم وضرب عبدُ الرحمن برأسه على صدره، فلو شُقَّت الأرضُ له لدخل فيها.

[خبره مع سعيد بن عبد الرحمن]

قال: وحدّثني ابن الكَلْبي والمَدَائنيّ عن جَعْفر بن مُحْرز قال: خرج عمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة، إلى السُّويداء وخرج الناسُ معه، وقد أُخِذت المنازلُ، فلحق بهم يزيدُ بن بكْر بن دأب اللَّيثيّ وسعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فلقيهما طويس فقال لهما: بأبي أنتما وأُمِّي عرِّجا إلى منزلي، فقال يزيدُ لسعيدٍ: مِلْ بنا مع أبي عبد النَّعيم، فقال سعيد: أين تذهب مع هذا المخنَّث! فقال يزيد: إنما هو منزلُ ساعة فمالا، واحتمل طويسٌ الكلامَ على سعيد، فأتيا منزلَه فإذا هو قد نضَحه ونصَّعه، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء؛ ثم قال سعيد: لو أسمعتَنا يا أبا عبد النَّعيم، فتناول خَرِيطةً[1] فاستخرج منها دُفّاً ثم نقَره وقال:

يـا خَـلِـيـلِـي نـابَـنِـي سُـهُـدِي ... لَـمْ تَـنَـمْ عَـيْـنِـي وَلَـمْ تَـكَـدِ
فَـشَـرابِـي مـا أُسِـيـغُ ومـا ... أَشْـتَـكِـي مـا بِـيَ إلـى أَحَـدِ
كَـيْـفَ تَـلْـحُـونِـي عـلـى رَجُـلٍ ... آنِـسٍ تَـلْـتَـذُّهُ كَـبِـدي
مِـثْـلُ ضَـوْءِ الـبَـدْرِ صُـورَتُـهُ ... لَـيْـسَ بِـالـزُّمَّـيْـلَـةِ الـنَّـكِـدِ
مِـنْ بَـنِـي آلِ الـمُـغِـيـرَةِ لا ... خَـامِـلٍ نِـكْـسٍ وَلاَ جَـحِـدِ[2]
نَـظَـرَتْ يَـوْمـاً فَـلاَ نَـظَـرَتْ ... بَـعْـدَهُ عَـيْـنِـي إلـى أَحَـدِ

ثم ضرب بالدفّ الأرضَ؛ فقال سعيد: ما رأيتُ كاليوم قطُّ شعراً أجود ولا غناء أحسنَ منه؛ فقال له طويس: يابنَ الحُسَام، أتدري مَنْ يقولُه؟ قال: لا، قال: قالته عمَّتُك خَوْلَةُ بنت ثابت تُشَبِّب بعُمَارَةَ بن الوليد بن المُغِيرة المَخْزُوميّ، فخرج سعيد وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطُّ مثلَ ما استقبلني به هذا المخنَّثُ! والله لا يُفْلِتُني! فقال يزيدُ: دَعْ هذا وأَمِتْه ولا ترفَع به رأساً. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذه الأبيات، فيما ذكر الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء عن الزُّبير بن بَكّار، لابن زُهَير المُخنَّث.

---

(١) الخريطة: وعاء من أدم.

(٢) النكس: الضعيف، الدنيء، والمقصر في النجدة والكرم. والجحد: القليل الخير.

[بينه وبين ابن سريج]

قال إسحاق: وحدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش، وابنُ الكلبي عن أبي مِسْكين، قالا: قدِم ابنُ سُرَيج المدينةَ فغنّاهم، فاستظرف الناسُ غناءَه وآثروه على كلّ مَنْ غَنَّى؛ وطلَع عليهم طُوَيس فسمعهم وهم يقولون ذلك، فاستخرج دُفّاً من حِضْنِه ثم نقَر به وغنّاهم بشعر عُمَارَةَ بن الوليد المَخْزُومِيّ في خَوْلة بنت ثابت، عارضَها بقصيدتها فيه:

يـا خـلـيـلـي نـابـنـي سُـهُـدي ... لـم تَـنَـمْ عَـيْـنِـي ولـم تَـكَـدِ

وهو: [مجزوء الوافر]

تَـنَـاهَـى فِـيـكُـمُ وَجْـدِي ... وَصَـدَّعَ حُـبُّـكُـمْ كِـبْـدِي

فَـقَـلْـبِـي مُـسْـعَـرٌ حُـزْنـاً ... بِـذَاتِ الـخَـالِ فـي الـخَـدِّ

فَـمَـا لاقَـى أخُـو عِـشْـقٍ ... عَـشِـيـرَ الـعُـشْـرِ مِـنْ جَـهْـدِي(١)

فأقبل عليهم ابن سُرَيج فقال: والله هذا أحسنُ الناس غناء.

أخبرني وَكِيعٌ محمدُ بن خَلَف قال: حدّثنا إسماعيلُ بن مجمّع قال: حدّثني المدائنيُّ قال: قدِم ابنُ سُرَيج المدينةَ فجلَس يوماً في جماعةٍ وهم يقولون: أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمِعهم وما يقولون، فاستلَّ دُفَّه من حِضْنه ونقَره وتغنَّى: [مجزوء الكامل]

إنَّ الـمُـجَـنَّـبَـةَ الَّـتِـي ... مَـرَّتْ بِـنَـا قَـبْـلَ الـصـبَّـاحِ

فِـي حُـلَّـةٍ مَـوْشِـيَّـةٍ ... مَـكِّـيَّـةً غَـرْثَـى الـوِشَـاحِ(٢)

زَيْـنٌ لِـمَـشْـهَـدِ فِـطْـرِهِـمْ ... وَتَـزِيـنُـهُـمْ يَـوْمَ الأَضَـاحِـي

ـ الشعر لابن زُهَير المخنَّث. والغناء لطُوَيس هَزَجٌ، أخبرنا بذلك الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء عن الزُّبير بن بَكّار ـ فقال ابنُ سُرَيج: هذا والله أحسنُ الناس غناءً لا أنا.

---

(١) العَشِير، والعُشْر: جزء من عشرة أجزاء.

(٢) غرثى الوشاح: دقيقة الخصر، خميصة البطن.

[بينه وبين جارية]

قال إسحاق: حدّثني المَدَائِنِيُّ قال: حُدِّثْتُ أنّ طويساً تبع جاريةً فراوغَتْه(١) فلم ينقطع عنها، فخَبَّتْ(٢) في المشي فلم ينقطع عنها؛ فلما جازت بمجلس وقفتْ ثم قالت: يا هؤلاء، لي صَديقٌ ولي زوجٌ ومولًى يَنْكِحُني، فسَلُوا هذا ما يريد منّي! فقال: أُضيِّق ما قد وسّعوه، ثم جعل يتغنّى: [مجزوء الوافر]

أَفِـقْ يـا قَـلْـبُ عَـنْ جُـمْـلِ ... وَجُـمْـلٌ قَـطَّـعَـتْ حَـبْـلِـي
أَفِـقْ عَـنْـهَـا فَـقَـدْ عُـنِّـيـ ... ـتَ حَـوْلاً فـي هَـوَىٰ جُـمْـلِ
وَكَـيْـفَ يُـفِـيـقُ مَـحْـزُونٌ ... بِـجُـمْـلٍ هَـائِـمُ الـعـقـلِ
بَـرَاهُ الـحُـبُّ فـي جُـمْـلٍ ... فَـحَـسْـبِـي الـحُـبُّ مِـنْ ثِـقْـلِ
وَحَـسْـبِـي فِـيـكِ مـا أَلْـقَـى ... مِـنَ الـتَّـفْـنِـيـدِ وَالـعَـذْلِ
وَقِـدْمـاً لامَـنِـي فـيـهـا ... فَـلَـمْ أَحْـفِـلْ بِـهِـمْ أَهْـلِـي

[طويس والرجل المسحور]

قال إسحاق: وقال المدائنيّ: قال مَسْلَمة بن مُحَارِب: حدَّثني رجل من أصحابنا قال: خرجنا في سَفْرة ومعنا رجلٌ، فانتهينا إلى وادٍ فدعَوْنا بالغَداء، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدرْ عليه، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل، فخرجنا نسأل عن حاله فلقِينا رجلاً طويلاً أحولَ مضطربَ الخَلْق في زِيّ الأعراب، فقال لنا: ما لكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرناه خبرَ الرجل؛ فقال: ما اسمُ صاحِبكم؟ فقلنا: أُسَيد قال: هذا وادٍ قد أُخِّذَتْ سِباعُه(٣) فارحلُوا، فلو قد جاوزتُم الوادي استمرّ(٤) صاحبكم وأكل. قلنا في أنفسنا: هذا من الجنّ، ودخلتنا فَزْعةٌ؛ ففهم ذلك وقال: ليُفْرِخْ رَوْعُكم(٥) فأنا طويس قال له بعض مَنْ معنا من بني غِفَارٍ أو من بني عَبْس: مرحباً بك يا أبا عبد النَّعيم، ما هذا الزِّيّ! فقال: دعاني بعضُ أوِدّائي من الأعراب فخرجتُ إليهم وأحببت أن أتخطَّى الأحياءَ فلا يُنْكِروني.

---

(١) راوغته: خادعته.
(٢) خَبَّت: أسرعت.
(٣) أُخِّذَتْ: سُحِرَت.
(٤) استمرّ: قوي، استقام، عاد إلى حاله الأولى وقوته.
(٥) أفرخ روعه: ذهب عنه خوفه.

فسألت الرجل أن يغنّينا، فاندفع ونَقَر بدُفٍّ كان معه مربَّع، فلقد تخيَّل لي أنّ الوادي يَنطِق معه حسناً، وتعجَّبْنا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا.

وكان الذي غَنَّى به في شعر عُرْوة بن الوَرْد في سَلْمى امرأته الغِفَاريَّة حيث رهَنها على الشراب: [الوافر]

سَقَوْني الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُوني ... عُدَاةُ اللَّه مِنْ كَذِبٍ وزُورِ[١]

وَقَالُوا لَسْتَ بَعْدَ فِداء سَلْمَى ... بِمُفْنٍ ما لَدَيْكَ ولا فَقِيرِ

فلا وَاللَّهِ لَوْ مُلِّكْتُ أمْري ... وَمَنْ لي بالتَّدَبُّر في الأُمورِ

إذاً لعَصَيْتُهُمْ في حُبِّ سَلْمَى ... على ما كانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ[٢]

فيا للنّاسِ كيف غُلِبْتُ أمري ... على شيءٍ ويكرهُهُ ضميري

[قصة عروة بن الورد وزوجته سلمى الغفارية]

قال إسحاق: وحدّثني الوَاقِديّ قال: حدّثني عبدُ الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال: لما غَزَا النبيُّ ﷺ بني النَّضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيْبَرَ يضربون بدُفوفٍ وَيَزْمِرُون بالمزامير وعلى النساء المُعَصْفَراتُ وحُلِيُّ الذهب مُظْهِرين بذلك تجلُّداً ومرَّتْ في الظُّعُن يومئذٍ سَلْمَى امرأةُ عُرْوةَ بن الوَرْدِ العبسي، وكان عُرْوة حليفاً في بني عمرو بن عَوْف، وكانت سَلْمَى من بني غِفَار، فسباها عروة من قومها وكانت ذاتَ جمالٍ فولدتْ له أولاداً وكان شديدَ الحب لها، وكان ولدُه يعيَّرون بأمِّهم ويسمَّوْن بني الأخِيذة ـ أي السَّبِيَّة ـ فقالت: ألا ترى ولدك يعيَّرون؟ قال: فماذا تَرَيْنَ؟ قالت: أرى أن تَرُدَّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأَنْعَم لها[٣]، فأرسلتْ إلى قومها أنِ القَوْه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكرَ وَيَثْمَل فإنه لا يُسأل حينئذ شيئاً إلا أعطاه؛ فلَقوه وقد نزل في بني النَّضير فسقَوْه الخمرَ، فلما سكِر سألوه سَلْمَى فردّها عليهم ثم أنْكَحُوه بعدُ. ويقال: إنما جاء بها إلى بني النَّضير، وكان صُعْلوكاً يُغير، فسقَوْه الخَمر، فلما انتشى منعوه ولا شيءَ معه إلا هي فرهنها، ولم يزل يشرب حتى غَلِقتْ[٤]؛ فلما قال لها: انطلِقي قالت: لا سبيل

---

(١) تكنفوني: أحاطوا بي.

(٢) حسك الصدور: كناية عن الحقد والعداء.

(٣) أنعم لها: قال لها: نعم.

(٤) غلق الرهن: استحق للمرتهن.

إلى ذلك، قد أَغْلقتني. فبهذا صارتْ عند بني النَّضِير. فقال في ذلك: [الوافر]

سَقَوْنِي الخَمْرَ ثم تكنَّفُونِي ... عُدَاةُ اللَّه من كذبٍ وزورِ

هذه الأبيات مشهورة بأن لطُوَيس فيها غناءً، وما وجدتُه في شيء من الكتب مجنَّساً فتُذكرَ طريقتُه.

[اهتمامه بشعر الأوس والخزرج الحربيّ]

وقال إسحاق: وحدّثني المَدَائِنيّ قال: كان طويسٌ ولِعاً بالشعر الذي قالته الأَوْسُ والخَزْرَجُ في حروبهم، وكان يريد بذلك الإغراءَ، فقَلّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحَيّانِ فغنَّى فيه طُوَيسٌ إلا وقع فيه شيء؛ فنُهِيَ عن ذلك، فقال: والله لا تركتُ الغناءَ بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدُوني الترابَ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به، فكان يُبْدِي السَّرائرَ ويُخْرج الضَّغائن[1]، فكان القوم يتشاءمون به.

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصْبَر عن حديثه ويُستشهد على معرفتِه، فغنَّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو: [المنسرح]

رَدَّ الخَلِيطُ الجِمَالَ فَانْصَرَفُوا ... ماذا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا
لَوْ وَقَفُوا ساعَةً نُسَائِلُهُمْ ... رَيْثَ يُضَحِّي جِمَالَهُ السَّلَفُ
فَلَيْتَ أَهْلِيَ وأهْل أَثْلَةَ فِي الـ ... ـدَّارِ قَرِيبٌ مِنْ حَيْثُ نَخْتَلِفُ

فلما بلغَ إلى آخرِ بيت غَنَّى فيه طويسٌ من هذه القصيدة وهو: [المنسرح]

أبْلِغْ بَنِي جَحْجَبى وَقَوْمَهُم ... خَطْمَةَ أَنّا وَرَاءَهُمْ أُنُفُ

تكلَّموا وانصرفوا وجرتْ بينهم دماءٌ، وانصرف طويسٌ من عندهم سليماً لم يكلَّم ولم يُقلْ له شيءٌ.

[سبب الحرب بين الأوس والخزرج]

قال إسحاق: فحدَّثني الواقِديُّ وأبو البَخْتَرِيّ، قالا: قال قَيْس بن الخَطِيم هذه القصيدة لشَغْبٍ أثاره القومُ بعد دهر طويلٍ. ونذكرُ سببَ أوّلِ ما جَرى بين الأَوْسِ والخَزْرَجِ من الحرب:

---

(١) الضغائن: الأحقاد.

قال إسحاق: قال أبو عبد الله اليَزِيدي، وأبو البَخْتَرِيّ، وحدّثني مشايخ لنا قالوا: كانت الأوسُ والخَزْرج أهلَ عزٍّ ومَنَعةٍ وهما أخوانِ لأبٍ وأمّ وهما ابنا حارِثَة بن ثَعْلَبة بن عمرو[١] بن عامر، وأُمُّهما قَيْلَةُ بنتُ جَفْنة بن عُتْبَة بن عمرو، وقُضَاعة تذكرُ أنها قَيْلة بنتُ كاهِل بن عُذْرَة بن سعد بن زيد بن سُود بن أَسْلم بن الحاف بن قُضاعة. وكانت أوّلُ حرب جرت بينهم في مولًى كان لمالك بن العَجْلان قتله سُمَير بنُ يزيد بن مالك، وسُمَير رجل من الأوس ثم أحدُ بني عمرو بن عَوْف؛ وكان مالك سيدَ الحيَّين في زمانه، وهو الذي ساق تُبَّعاً إلى المدينة وقتل الفِطْيون[٢] صاحب زُهْرة[٣] وأذلَّ اليهودَ للحيَّين جميعاً، فكان له بذلك الذّكرُ والشرف عليهم، وكانت ديةُ المَوْلَى فيهم ـ وهو الحليفُ ـ خَمْساً من الإبل، وديةُ الصريح عشراً، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف: ابعثوا إليّ سُمَيراً حتى أقتلَه بمولاي فإنّا نكرَه أن تَنْشَبَ بيننا وبينكم حربٌ، فأرسلوا إليه: إنّا نُعطيك الرضا من مولاك فخذ منا عَقْله[٤]، فإنك قد عرفت أن الصريح لا يُقْتل بالمَوْلَى؛ قال: لا آخذ في مولاي دون دية الصريح؛ فأبوا إلا ديَّة المولى، فلما رأى ذلك مالكُ بن العَجْلانِ جَمع قومَه من الخزرج، وكان فيهم مُطاعاً، وأمرهم بالتهيُّؤ للحرب. فلمّا بلغ الأوسَ استعدُّوا لهم وتَهَيَّأُوا للحرب واختاروا الموت على الذلّ؛ ثم خرج بعضُ القوم إلى بعض فالتقَوْا بالصَّفِينة بين بئر سالم وبين قُبَاء (قريةٍ لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعضُ القوم من بعض. ثم إنّ رجلاً من الأوس نادى: يا مالك، نَنْشُدك الله والرَّحِم ـ وكانت أُمُّ مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف ـ فاجعلْ بيننا وبينك عَدْلاً من قومك فما حكم علينا سلّمنا لك؛ فارعَوى مالكٌ عند ذلك، وقال نعم؛ فاختاروا عمرو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضِي القومُ به، واستوثق منهم، ثم قال: فإنّي أقضي بينكم: إن كان سُمَير قتَل صَرِيحاً من القوم فهو به قَوَدٌ[٥]، وإن قبِلوا العَقْلَ فلهم دية الصريح، وإن كان قتل مَوْلًى فلهم دية المولى بلا نقص، ولا يُعْطَى فوقَ نصف الدية، وما أصبتُم منا في هذه الحرب ففيه الديةُ مسلَّمةً إلينا، وما أصبْنا منكم فيها علينا فيه ديةٌ مسلَّمةٌ إليكم.

---

(١) الفطيون: ملك من بني إسرائيل سكن المدينة، قتله مالك بن العجلان.

(٢) بنو زهرة: قبيلة معروفة في قريش منها آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ.

(٣) العقل: الدية.

(٤) القَوَد: القصاص.

فلما قضى بذلك عمرو بن امرىء القيس غضب مالكُ بن العَجْلان ورأى أن يَرُدّ عليه رأيه، وقال: لا أقبل هذا القضاء، وأمرَ قومه بالقتال، فجمَع القومُ بعضُهم لبعضٍ ثم التقوْا بالفضاء عند آطام بني قَيْنُقَاع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم تداعَوْا إلى الصلح فحكَّموا ثابت بن حَرَام بن المُنْذِر أبا حَسّان بن ثابت النَّجّارِيّ، فقضى بينهم أن يدُوا مَوْلى مالك بن العَجْلان بدية الصَّريح ثم تكونَ السُّنةُ فيهم بعدَه على مالكٍ وعليهم كما كانت أوّلَ مرّة: المَوْلى على ديته؛ والصَّريح على ديته، فرضي مالكٌ وسلَّم الآخرون. وكان ثابت إذ حَكَّموه أراد إطفاءَ النائِرة[1] فيما بينَ القوم ولمَّ شَعثِهم، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبتْ عليه الأوسُ أن تؤدّيَ إلى مالكٍ أكثرَ من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذ دونَ عَشْرٍ. فلما أخرج ثابتُ الخَمْسَ أرْضى مالكاً بذلك ورضيتِ الأوسُ، واصطلحوا بعهد وميثاقٍ ألا يُقتَل رجلٌ في دارِه ولا مَعْقِله ـ والمعاقل: النخل ـ فإذا خرج رجل من داره أو مَعْقِله فلا دية له ولا عَقْل. ثم انظروا في القتلى فأيُّ الفريقين فَضَل على صاحبه ودَى[2] له صاحبه. فأفْضلت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نفَر فودَتْهم الأوسُ واصطلحوا. ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لِمَا كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك: [الخفيف]

وأبي في سُمَيْحةَ القائِلُ الفا ... صِلُ حين الْتَقَتْ عليه الخُصُومُ

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدتَه وهي طويلة: [المنسرح]

رَدّ الخَلِيطُ الجِمَالَ فَانْصَرَفُوا ... ماذا عَلَيْهِمْ لَوْ أنَّهُمْ وَقَفُوا

[رأي عمر بن عبد العزيز بقيس]

أخبرني الحرمِيّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يُنشِد قولَ قيس بن الخطيم: [المنسرح]

بينَ شُكُولِ النِّساءِ خِلْقتُها ... قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ
تَنامُ عن كُبْرِ شأنِها فإذا ... قامَتْ رُوَيْداً تَكادُ تَنْقَصِفُ
تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهْيَ لاهِيَةٌ ... كأنَّما شَفَّ وَجْهَهَا نُزُفُ

(١) النائرة: الفتنة.
(٢) وَدَى: دفع الدية.

ثم يقول: قائلُ هذا الشعر أنسبُ الناس.

ومما في المائة المختارة من أغاني طويس

صوت [الخفيف]

يَا لَقَوْمِي قد أرّقَتْنِي الهُمُومُ فَفُؤادي مما يُجِنُّ سَقِيمُ
أَنْدَبَ الحُبُّ في فؤادي فَفِيهِ لَوْ تَرَاءَى لِلنَّاظِرِينَ كُلُومُ

يُجنّ: يُخفي، والجُنَّة من ذلك، والجنّ أيضاً مأخوذ منه. وأندب: أبقى فيه نَدَباً وهو أثر الجرح؛ قال ذو الرُّمّة: [البسيط]

تُرِيكَ سُنّةَ وَجْهٍ غَيْرَ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءَ لَيْسَ بها خالٌ ولا نَدَبُ[1]

الشعر لابن قيس الرُّقيَّات فيما قيل. والغناء لطويس، ولحنه المختار خفيفُ رمل مطلق في مجرى الوسطى، قال إسحاق: وهو أجود لحن غنّاه طويس، ووجدتُه في كتاب الهشاميّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طُنْبورة. قال وقال ابنُ المكيّ: إنه لحَكم، وقال عمرو بن بانة: إنه لابن عائشة أوّلُه هذان البيتان، وبعدهما: [الخفيف]

ما لِذَا الهَمِّ لا يَرِيمُ فُؤَادِي مِثْلَ ما يَلْزَمُ الغَرِيمَ الغَرِيمُ[2]
إنّ مَنْ فَرَّقَ الجَمَاعَةَ مِنّا بَعْدَ خَفْضٍ وَنَعْمَةٍ لَذمِيمُ[3]

انقضت أخبارُ طُوَيس.

صوت

من المائة المختارة من صنعة قفا النجار [الكامل]

حُجِبَ الأُلَى كنّا نُسَرُّ بِقُرْبِهِمْ يا لَيْتَ أنّ حِجَابَهُمْ لَمْ يُقْدَرِ
حُجِبُوا وَلَمْ نَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْهُمُ وَلَنَا إِلَيْهِمْ صَبْوَةٌ لَمْ تُقْصِرِ[4]

---

(١) سنة الوجه: صورته. وغير مقرفة: غير كريهة، غير هجينة.
(٢) لا يريم: لا يبرح.
(٣) الخفض: الدعة وسعة العيش.
(٤) اللبانة: الحاجة. وتقصر: تكفى.

وَيُحِيطُ مِئْزَرُها بِرِدْفٍ كامِلٍ رَابِي المَجَسَّةِ كالكَثِيبِ الأعْفَرِ
وَإذا مَشَتْ خِلْتَ الطريقَ لمشيها وَحِلاً كمشي المُرْجحِنّ المُوقَرِ[١]

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر. والغناء لقفا النجّار، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ويقال: إن فيه لحناً لابن سُرَيج. وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى في الاختيار الواثقيّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل.

صوت

من المائة المختارة

[الوافر]

أَفِقْ يا دارِميُّ فَقَدْ بُلِيتَا وإنَّكَ سَوْفَ تُوشِك أن تَمُوتَا
أراكَ تَزِيدُ عِشْقاً كُلَّ يَوْمٍ إذا ما قُلْتَ إنَّكَ قَدْ بَرِيتا[٢]

الشعر والغناء جميعاً لسعيدٍ الدارِميّ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

---

(١) المرجحن: المتمايل.

(٢) بريت: برئت، خففت الهمزة.

ذكر الدارميّ وخبره ونسبه

[توفي نحو ١٥٥ هـ]

[اسمه ونسبه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حدّثني أبو أيُّوب المَدِينيّ قال: حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال: الدارميّ[1] من ولد سُوَيد بن زيد الذي كان جَدُّهُ قتل أسعد بن عمرو بن هِنْد، ثم هربوا إلى مكة فحالفوا بني نَوْفَل بن عبد مَنَاف.

وكان الدارميّ في أيّام عمر بن عبد العزيز، وكانت له أشعار ونوادر، وكان من ظُرَفاء أهل مكّة، وله أصوات يسيرة. وهو الذي يقول: [المتقارب]

وَلَـمَّـا رَأَيْـتُـكَ أَوْلَـيْـتَـنِـي الْـ ... قَـبِـيـحَ وَأَبْـعَـدْتَ عَـنّـي الـجَـمِـيـلا

تَـرَكْـتُ وِصـالَـكَ فـي جَـانِـبٍ ... وَصَـادَفْـتُ فـي الـنَّـاس خِـلاً بَـدِيـلا

[ذات الخمار الأسود]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ، وأخبرني عمّي قال: حدّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ، وأخبرني عمّي قال: حدّثنا أبو الفضل الرِّيَاشيّ عن الأصمعيّ قال: وحدّثني به النُّوشْجانِيّ عن شيخ له من البصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّنَاد، ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره: أنّ تاجراً من أهل الكوفة قَدِم المدينةَ بخُمُر[2] فباعها كلها وبقيت السُّودُ منها فلم تَنْفُق، وكان صديقاً للدارميّ،

---

(١) الخُمُر: جمع خمار، وهو ما تغطي المرأة به رأسها.

فشكا ذاك إليه، وقد كان نسَك وترك الغناءَ وقولَ الشعر؛ فقال له: لا تهتمّ بذلك فإني سأُنفقها لك حتى تبيعَها أجمعَ؛ ثم قال:

صوت

[الكامل]

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الخِمَارِ الأَسْوَدِ ... ماذا صَنَعْتِ بِرَاهِبٍ مُتَعَبِّدِ
قَدْ كَانَ شَمَّرَ لِلصَّلاةِ ثيابَهُ ... حَتَّى وَقَفْتِ لَه بِبَابِ المَسْجِدِ

وغنّى فيه، وغنّى فيه أيضاً سِنَانٌ الكاتب، وشاع في الناس وقالوا: قد فتكَ[١] الدارميّ ورجَع عن نُسكه؛ فلم تبقَ في المدينة ظريفةٌ إلا ابتاعت خِماراً أسود حتى نَفِد ما كان مع العراقيّ منها؛ فلما علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ والغناءَ أيضاً، وهو خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لِسَنَانٍ الكاتبِ رملٌ بالوسطى عن حَبَش. وذكر حَبَش أن فيه لابن سُرَيج هزَجاً بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثني أبو هَفّان قال: حضرتُ يوماً مجلسَ بعض قوّاد الأتراك وكانت له سِتارةٌ فنُصِبتْ، فقال لها[٢]: غنّي صوتَ الخمار الأسود المليح، فلم ندرِ ما أراد حتى غنّتْ:

[السريع]

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الخِمَارِ الأَسْوَدِ

ثم أمسك ساعةً ثم قال لها غنّي:

إنــي خــريــت وجــئــت أنــتــقــلــه

فضحِكتْ ثم قالت: هذا يشبهك! فلم ندر أيضاً ما أراد حتى غنّتْ:

إنّ الـخـلـيـطَ أجـدّ مُـنـتـقَـلَـهْ

---

(١) فتك: مَجَن.
(٢) عائد الضمير غير وارد، وأراد: قال للجارية المغنية.

[ظرفه وبخله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمد قال: حدّثني محمد بن أخي سَلْم الخُزَاعيّ قال: حدّثني الجِرْمازِيّ قال: زعَم ابن مَوْدود قال: كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت مُتَفَتِّياتُ[١] أهل مكة لا يطيبُ لهن مُتَنَزَّه إلاّ بالدارميّ، فاجتمع جماعةٌ منهنّ في متنزَّه لهنّ، وفيهنَّ صديقةٌ له، وكلٌّ واحدة منهنّ قد واعدتْ هَوَاها[٢]، فخرجن حتى أتيْنَ الجُحْفَةَ[٣] وهو معهنّ؛ فقال بعضهنّ لبعض: كيف لنا أن نَخْلو مع هؤلاء الرجالِ من الدارميّ؟ فإنّا إن فعلْنا قطَّعَنَا في الأرض[٤]! قالت لهنّ صاحبتُهُ: أنا أَكفِيكُنّه؛ قلن: إنا نريد ألاّ يلومَنا؛ قالت: عليّ أن ينصرف حامداً، وكان أبخل الناس، فأتته فقالت: يا دارميّ، إنّا قد تَفِلْنا[٥] فاجلُبْ لنا طِيباً؛ قال نعم هو ذا، آتي سوق الجُحْفة آتيكنّ منها بِطيبٍ؛ فأتى المُكَارِين فاكترى حماراً فصار عليه إلى مكة وهو يقول: **[الهزج]**

أَنَـا بِـالـلَّـه ذِي الـعِـزِّ وَبِـالـرُّكْـنِ وِبِـالـصَّـخْـرَهْ
مِـنَ الـلائِـي يُـرِدْنَ الـطِّـيـبَ فـي الـيُـسْـرِ وَفِـي الـعُـسْـرَهْ
وَمَـا أَقْـوَى عَـلَـى هٰـذا وَلَـوْ كُـنْـتُ عَـلَـى الـبَـصْـرَهْ

فمكث النسوةُ ما شئن. ثم قَدِم من مكة فلقِيته صاحبتُه ليلةً في الطَّوَاف، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلتْ تُعاتبه على ذهَابه ويُعاتبها، إلى أن قالت له: يا دارميّ، بحقّ هذه البَنِيَّة[٦] أتُحبُّني؟ فقال نعم، فبِربِّها أتُحبِّيني؟ قالت نعم؛ قال: فيا لَكِ الخيرُ فأنتِ تحبِّيني وأنا أُحبّك، فما مَدْخلُ الدراهم بيننا!.

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدَّثني عمّي قال:

كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه، فأغفَى عبد الصمد فعطَس

---

(١) المتفتيات: المراهقات.

(٢) هواها: حبيبها.

(٣) الجحفة: قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة، وهي ميقات أهل الشام ومصر. (معجم البلدان).

(٤) قطعنا في الأرض: كشف أسرارنا وهتك أعراضنا ونشر الخبر بين الناس.

(٥) تفل: ترك الطيب فتغيرت رائحته.

(٦) البنية: الكعبة الشريفة.

الدارميُّ عَطْسةً هائلة، ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً وغَضِب غضباً شديداً، ثم استوى جالساً وقال: يا عاضَّ كذا من أمه أتُفَزِّعني! قال: لا والله ولكن هكذا عُطَاسي! قال: والله لأنقعنّك في دمك أو تأتيني ببيّنة على ذلك؛ قال: فخرج ومعه حَرَسيٌّ لا يدرِي أين يذهب به، فلقيه ابن الريّان المكيّ فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أني رأيتُه مرّةً عطس عطسةً فسقط ضرسه؛ فضحك عبدُ الصمد وخَلّى سبيلَه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمد قال: حدّثنا الزبير قال: قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ: لو صَلَحتْ عليك ثيابي لكسوتك؛ قال: فَدَيتك! إن لم تصلُحْ عليّ ثيابُك صَلَحتْ عليّ دنانيرُك.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهير قال: حدّثنا الزبير، ونسخت من كتاب هارون بن محمد: حدّثنا الزبير قال: حدّثني يونس بن عبد الله الخيّاط قال: خرج الدارميّ مع السُّعاة[1]، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطَوْه دراهم، فأتى بها في ثوبه، وأحاط به أعرابيّات فجعلن يسألنه وألححْنَ عليه وهو يردّهن؛ فعرفتْه صبيّة منهنّ فقالت: يا أخواتي، أتدرين من تسألن منذُ اليوم؟ هذا الدارميّ السآّل. ثم أنشدت: [المتقارب]

إذا كنتَ لا بدّ مُسْتطعِماً ... فَدَعْ عنك مَنْ كان يستطعِمُ

فولّى الدارميّ هارباً منهنّ وهنّ يتضاحكن به.

[بعض أخباره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال: أخبرني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال: حدّثنا مصعَب الزبيريّ قال: أتى الدّارميُّ الأوقصَ القاضي بمكّة في شيء فأبطأ عليه فيه، وحاكمَه إليه خَصْمٌ له في حقٍّ، فحبسه به حتى أدّاه إليه. فبينا الأوقصُ يوماً في المسجد الحرام يصلّي ويدعو ويقول: يا ربّ أعتِقْ رقبتي من النار، إذ قال له الدارميّ والناس يسمعون: أَوَلك رقبةٌ تُعْتَق! لا والله ما جعل الله، وله الحمد، لك من عتق ولا رقبة! فقال له الأوقص: ويلك! ومن أنت؟ قال: أنا الدارميّ، حبستَني وقتلتني؛ قال: لا تقل ذلك وأتِني فإني أعوّضك؛ فأتاه ففعل ذلك به.

(١) السعاة: جمع ساعٍ، وهو عامل الصدقات.

أخبرني الحرميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال: مدح الدارميّ عبد الصمد بن عليّ بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له؛ فلما فرغ أُدْخِل إليه رجلٌ من الشُّرَاة[1]؛ فقال لغلامه: أَعْطِ هذا مائةَ دينار واضرب عنقَ هذا؛ فوثب الدارميُّ فقال: بأبي أنت وأمي! بِرّك وعقوبتُك جميعاً نَقْد! فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا، فإذا فرغ منه أمرتَه فأعطاني! فإني لن أَرِيمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك؛ قال: ولم ويلك؟ قال: أخشى أن يغلَطَ فيما بيننا، والغلط في هذا لا يُستقال؛ فضَحِك وأجابه إلى ما سأل.

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني عمِّي قال: أصابت الدارِميَّ قُرْحةٌ في صدره، فدخل إليه بعضُ أصدقائه يَعُوده. فرآه قد نَفث مِن فيه نَفْثاً أخضرَ، فقال له: أَبْشِرْ، قد اخضرَّتِ القرحةُ وعُوفِيتَ؛ فقال: هيهات! والله لو نفَثْتُ كلَّ زُمُرُّدَةٍ في الدنيا ما أَفْلَتُّ منها.

صوت

من المائة المختارة [البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمَى لَقَدْ هَيَّجْتَ لي طَرَبا ... زِدْتَ الفُؤَادَ على عِلاَّتِهِ وَصَبا[2]
رَبْعٌ تَبَدَّل مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهُ ... عُفْرَ الظِّباءِ وَظُلْمَاناً به عُصَبا[3]

الشعر لِهلاَل بن الأَسْعَر المازِنيّ، أخبرني بذلك وَكِيعٌ عن حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه. وهكذا هو في رواية عَمْرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ. ومن لا يعلم ينسبُه إلى عمرَ بنِ أبي رَبيعة وإلى الحارث بن خالد ونُصَيب، وليس كذلك. والغناء في اللحن المختار لعزّور الكوفِيّ، ومن الناس من يقول عَزُّون بالنون وتشديد الزاي، وهو رجل من أهل الكوفة غيرُ مشهور ولا كثير الصنعة، ولا أعلم أنِّي سمعتُ له بخبرٍ ولا صنعةٍ غير هذا الصوت. ولحنُ هذا المختارُ ثقيلٌ أولُ بالبِنْصر في مجراها عن

(١) الشراة: الخوارج.
(٢) الوصب: المرض، الوجع.
(٣) عفر: جمع أعفر، وهو الأبيض الذي تعلو بياضه حمرة. والظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام. والعُصَب: الجماعات.

إسحاق، وهكذا نَسبه في الاختيار الواثقيّ. وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه لابن عائشةَ لحناً من الثقيل الأول بالبِنْصر. وفي أخبار الغَريض عن حَمّاد أنّ له فيه ثقيلاً أولَ. وقال الهِشَامِيّ: فيه لعبد الله بن العَبّاس لَحنٌ من الثقيل الثاني. وذكر حَبَشَ أنّ فيه لحُسَين بن مُحْرِز خفيفَ رملٍ بالبنصر.

أخبار هلال ونسبه

[توفي نحو ١٣٠ هـ ـ ٧٤٧م]

هو، فيما ذَكر خالد بن كُلْثوم، هِلاَلُ بن الأَسْعَر بن خالد بن الأَرْقَم بن قسيم ابن ناشِرَةَ بن سَيَّار بن رِزَام بن مَازِن بن مالِك بن عمرو بن تَميم. شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولةَ العباسية، وكان رجلاً شديداً عظيم الخَلْق أَكُولاً معدوداً من الأَكَلة. قال أبو عمرو: وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثرَ الناس أكلاً وأعظمَهم في حربٍ غَنَاءً. هذا لفظ أبي عمرو. وقال أبو عمرو: وعمِّر هلال بن أَسْعرَ عُمْراً طويلاً ومات بعد بَلاَيَا عِظَامٍ مرّتْ على رأسه. قال: وكان رجل من قومه من بني رِزَام بن مالك يقال له المُغِيرة بن قَنْبَر يَعُوله ويُفْضِلُ عليه ويحتمل ثِقْلَه وثِقْلَ عيالِهِ فهلك، فقال هلال يرْثِيه: [الوافر]

ألا لَـيْـتَ الـمُـغِـيـرةَ كـانَ حَـيّـاً ... وَأَفْـنَـى قَـبْـلَـهُ الـنَّـاس الـفَـنَـاءُ
لِيَبْـكِ عـلـى الـمُـغِـيـرة كُـلُّ خَيْـلٍ ... إذا أَفْـنَـى عَـرائِـكَـهـا الـلِّـقـاءُ[1]
وَيَبْـكِ عَـلـى الـمُـغِـيـرة كُـلُّ كَـلٍّ ... فَـقِـيـرٍ كَـانَ يَـنْـعَـشُـهُ الـعَـطَـاءُ[2]
وَيَبْـكِ عـلـى الـمُـغِـيـرة كـلُّ جَيْـشٍ ... تَـمُـورُ لَـدَى مَـعَـارِكِـهِ الـدِّمَـاءُ[3]
فَـتَـى الـفـتـيـانِ فـارِسُ كـلِّ حَـرْبٍ ... إذا شـالَـتْ وقـد رُفِـعَ الـلِّـواءُ[4]
لَـقَـدْ وارَى جَـدِيـدُ الأَرْضِ مـنـه ... خِـصَـالاً عَـقْـدُ عِـصْـمَـتِـهـا الـوفَـاءُ[5]
فَـصَـبْـراً لِـلـنَّـوائِـبِ إنْ أَلَـمَّـتْ ... إِذَا مـا ضـاقَ بـالـحَـدَثِ الـفَـضَـاءُ
هِـزَبْـرٌ تَـنْـجَـلِـي الـغَـمْـراتُ عـنـه ... نَـقِـيُّ الـعِـرْضِ هِـمَّـتُـه الـعَـلاَءُ[6]

---

(١) العرائك: جمع عريكة، وهي القوة والشدة.
(٢) الكلّ: الضعيف.
(٣) تمور: تسيل، تجري.
(٤) شالت الحرب: تهيأ الأبطال لخوضها.
(٥) جديد الأرض: أراد قبر المرثي الذي جُدّ وحفر ليدفن المرثي فيه.
(٦) الهزبر: الأسد.

إذا شَهِد الكَرِيهَةَ خَاضَ منها ... بُحوراً لا تكدّرُها الدِّلاءُ
جَسُورٌ لا يروَّع عند رَوْعٍ ... ولا يَثْنِي عَزِيمَتَه اتِّقاءُ
حَلِيمٌ فِي مَشاهِدِهِ إذا ما ... حُبَا الحُلَماءِ أطْلَقَها المِرَاءُ[1]
حَمِيدٌ في عَشِيرَتِهِ فَقِيدٌ ... يَطِيبُ عَلَيْهِ فِي المَلإ الثَّناءُ
فَإنْ تَكُنِ المَنِيَّةُ أَقْصَدَتْهُ ... وَحُمَّ عَلَيْهِ بِالتَّلَفِ القَضَاءُ[2]
فَقَدْ أَوْدَى بِهِ كَرَمٌ وَخِيرٌ ... وَعَوْدٌ بِالفَضَائِلِ وَابْتِداءُ[3]
وَجُودٌ لا يَضُمُّ إلَيهِ جُوداً ... مُرَاهِنُهُ إذا جَدَّ الجِرَاءُ[4]

[بعض أخباره]

وقال خالد بن كُلْثوم: كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا، يَرِد مع الإبل فيأكلُ ما وَجد عند أهله ثم يَرْجع إليها ولا يتزوَّد طعاماً ولا شَراباً حتى يرجع يومَ ورودها، لا يذُوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شَراباً، وكان عَادِيَّ[5] الخَلْقِ لا تُوصف صفتُه.

قال خالد بن كلثوم: فحدّثنا عنهُ من أدركه، أنه كان يوماً في إبلٍ له، وذلك عند الظَّهيرة في يوم شديدٍ وَقْع الشمس مُحْتَدِم الهاجِرة وقد عمَد إلى عصاه فطرح عليها كساءَه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس، فبينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بني نَهْشَل والآخر من بني فُقَيم، كانا أشدّ تَمِيمِيَّين في ذلك الزمان بطشاً، يقال لأحدهما الهَيَّاج، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أَنْواطٌ[6] من تمر هَجَر[7]، وكان هِلاَلٌ بناحية الصِّعَابِ[8]؛ فلما انتهيا إلى الإبل، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له، ناديا: يا راعِي، أعندكَ شرابٌ تَسْقِينا؟ وهما

---

(١) الحُبا: جمع حُبْوَة، وهي ما يحتبى به من ثوب وغيره. وإطلاق الحُبا: كناية عن السفه والطيش.
(٢) أقصدته: أصابته.
(٣) الخِير: الكرم والأصل والشرف.
(٤) الجراء: المجاراة، وكلاهما مصدر (جاري).
(٥) عاديّ الخلق: عملاق، ضخم الجسم، نسبة إلى قبيلة عاد التي وصف رجالها بالقوة وضخامة الأجسام.
(٦) الأنواط: جمع نوط، والنوط: الجلة الصغيرة فيها تمر ونحوه.
(٧) هجر: مدينة بالبحرين، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر.
(٨) الصعاب: جبل بين اليمامة والبحرين. (معجم البلدان ٣/ ٤٠٥).

يظنّانِه عبداً لبعضهم؛ فناداهما هلالٌ ورأسُه تحت كسائه: عليكما الناقةَ التي صفتُها كذا في موضع كذا فأَنِيخَاها فإنّ عليها وَطْبين[1] من لبنٍ، فاشربا منهما ما بدا لكما. قال فقال له أحدهما: وَيْحَكَ! انهضْ يا غلام فأْتِ بذلك اللبن! فقال لهما: إن تَكُ لكما حاجةٌ فستأتيانِها فتجدانِ الوطبينِ فتشربانِ؛ قال: فقال أحدهما: إنك يابن اللَّخْناء لغَلِيظ الكلام، قم فاسْقِنا، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال. وقال لهما، حيثُ قال له أحدهما: «إنك يابن اللخناء لغليظ الكلام»: أراكما والله ستَلْقَيانِ هَوَاناً وصَغَاراً؛ وسمعا ذلك منه، فدنا أحدهما فأهْوَى له ضَرْباً بالسَّوْط على عَجُزِه وهو مضطَجع، فتناول هِلالٌ يدَه فاجتذبه إليه ورماه تحت فَخذِه ثم ضغطَه ضَغْطَةً؛ فنادى صاحبَه: وَيْحَك أَغِثْنِي قد قتلني! فدنا صاحبُه منه، فتناوله هلالٌ أيضاً فاجتذبه فرمَى به تحت فخذه الأخرى، ثم أخذَ برقابهما فجعل يَصُكُّ برؤوسهما بعضاً ببعضٍ لا يستطيعان أن يمتنعا منه؛ فقال أحدهما: كنْ هِلاَلاً ولا نُبَالِي ما صنعتَ؛ فقال لهما: أنا والله هلالٌ، ولا والله لا تُفْلِتَانِ منّي حتى تُعْطِيَانِي عهداً وميثاقاً لا تَخِيسَانِ به[2]: لتَأْتِيانِّ المِرْبَدَ[3] إذا قَدِمتُما البصرةَ، ثم لتُنَادِيَانِّ بأعلَى أصواتكما بما كان منّي ومنكما؛ فعاهداه وأعطياه نَوْطاً من التمر الذي معهما، وقدِما البصرةَ فأتيا المِرْبدَ فناديا بما كان منه ومنهما.

وحدّث خالد عن كُنَيف بن عبد الله المازِنيّ قال: كنتُ يوماً مع هلال ونحن نَبغِي إبلاً لنا، فدَفَعْنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا[4] وعَطِشنا، وإذا نحن بفِتيةٍ شَبابٍ عند رَكِيّة[5] لهم وقد وردت إبلُهم، فلما رأوا هلالاً استَهْوَلُوا خَلْقَه وقامتَه، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدُهما: يا عبد الله، هل لك في الصِّراع؟ فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوجُ؛ قال: وما هو؟ قال: إلى لبنٍ وماءٍ فإنّني لَغِبٌ ظمآنُ؛ قال: ما أنتَ بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطينَا عهداً لتُجيبَنّنا إلى الصّراع إذا أرَحْتَ ورَوِيت؛ فقال لهما هلال: إنني لكم ضيفٌ، والضيفُ لا يُصَارِعُ آهِلَه ورَبَّ منزله، وأنتم مكتَفون من ذلك بما أقول لكم: اعْمِدوا إلى أشدّ فحل في إبلكم

---

(١) الوطب: سقاء اللبن.
(٢) خاس بالعهد: غدر به، نكث.
(٣) المربد: سوق للإبل بالبصرة.
(٤) لغب: تعب تعباً شديداً.
(٥) الركيّة: البئر.

وأهْيبه صولةً وإلى أشدِّ رجل منكم ذراعاً، فإن لم أقبِض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخِلَ يَدَ الرجل في فم البعير، فإن لم أفْعَلْ ذلك فقد صرَعتُموني، وإن فعلتُه علمتم أن صِراع أحدكم أيسرُ من ذلك. قال: فعجبوا من مَقالته تلك، وأومأوا إلى فحل في إبلهم هائج صائلٍ قَطِم[١]؛ فأتاه هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مِشْفَره فضغطها ضَغْطَةً جَرْجَر[٢] الفحلُ [منها] واستخذى[٣] ورَغَا[٤]، وقال: ليُعْطِني من أحببتُم يَده أُولِجْها في فم هذا الفحل. قال فقال الشيخ: يا قوم تنكّبوا[٥] هذا الشيطان. فوالله ما سمعتُ فلاناً (يعني الفحل) جرجر منذ بَزل[٦] قبل اليوم، فلا تَعرِضُوا لهذا الشيطان. وجعلوا يَتْبعونه وينظرون إلى خَطْوِه ويَعْجَبُون من طول أعضائه حتى جازهم.

قال: وحدّثنا منْ سمع هلالاً يقول: قَدِمتُ المدينةَ وعليها رجلٌ من آل مَرْوَانَ، فلم أزل أضَعُ عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أُخِذ بيدي وقيل لي: أجِب الأميرَ. قال: قلتُ لهم: وَيْلَكم! إبلي وأحمالي! فقيل: لا بأس على إبلك وأحمالك. قال: فانطُلِق بي حتى أُدخِلتُ على الأمير، فسلّمتُ عليه ثم قلتُ: جُعِلتُ فِداكَ! إبلي وأمانتي! قال فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدّيها إليك، قال فقلت عند ذلك: فما حاجةُ: الأمير إليّ جعلني الله فداه؟ قال فقال لي - وإلى جَنْبه رجل أصفر -: لا والله ما رأيت رجلاً قطُّ أشدَّ خَلْقاً منه ولا أَغْلظ عُنُقاً، ما أدري أطولُه أكثر أم عرضُه - إن هذا العبد الذي تَرَى لا والله ما ترك بالمدينة عربيّاً يصارع إلا صَرَعه، وبلغني عنك قوّةٌ، فأردتُ أن يُجريَ الله صَرْعَ هذا العبدِ على يديك فتُدْرِكَ ما عنده من أوتار[٧] العرب. قال فقلت: جعلني الله فداء الأمير، إني لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ، فإن رأى الأميرُ أن يدَعني اليومَ حتى أضعَ عن إبلي وأُؤدِّيَ

---

(١) القطم: الهائج، العضّاض.
(٢) جرجر البعير: صوّت من حنجرته.
(٣) استخذى: ذلّ، خضع.
(٤) رغا: صوّت وضجّ.
(٥) تنكب عنه: أعرض عنه.
(٦) بزل البعير: بلغ الثامنة أو التاسعة.
(٧) الأوتار: جمع وتر، وهو الثأر.

أماني وأُرِيحَ يومي هذا وأجيئَه غداً فليفعلْ. قال فقال لأعوانه: انطلِقوا معه فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداءِ أمانته وانطلِقوا به إلى المطبخ فأشبِعوه؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به. قال: فظَلِلْتُ بقيةَ يومي ذلك وبتُّ ليلتي تلك بأحسنِ حالٍ شِبَعاً وراحةً وصلاحَ أمر، فلما كان من الغد غدوتُ عليه وعليّ جُبَّةٌ لي صوفٌ وَبَتٌّ[1] وليس عليّ إزار إلا أني قد شَددتُ بعمامتي وسَطي، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام، وقال للأصفر: قُمْ إليه، فقد أرى أنه أتاك الله بما يُخزِيك؛ فقال العبد: اتَّزِرْ يا أعرابيّ، فأخذت بَتِّي فاتَّزرتُ به على جُبّتي، فقال: هيهات! هذا لا يثبتُ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي؛ قال فقلت: والله ما لي من إزار؛ قال: فدعا الأميرُ بمِلْحفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلُها، فشدَدْت بها على حَقْوي[2] وخلعت الجُبّة؛ قال: وجعل العبد يَدُور حولي ويريد خَتْلي[3] وأنا منه وَجِلٌ ولا أدري كيف أصنع به، ثم دنا مني دَنْوَةً فنقَد جَبهتي نَقْدة حتى ظننتُ أنه قد شجّني وأوجعني، فغاظني ذلك، فجعلتُ أنظر في خَلْقِهِ ثم أقبض منه، فما وجدتُ في خلقه شيئاً أصغر من رأسه. فوضعتُ إبهاميّ في صُدْغيه وأصابعي الأُخَر في أصل أذنيه. ثم غَمَزْتُه[4] غَمزةً صاح منها: قتلَني! قتلني فقال الأمير: اغمس رأسَ العبد في التراب. قال فقلت له: ذلك لك عليّ؛ قال: فغمَسْت والله رأسَه في التراب ووقع شبيهاً بالمَغْشيّ عليه، فضحك الأميرُ حتى استلقى وأمر لي بجائزةٍ وكسْوةٍ وانصرفتُ.

قال أبو الفرج: ولهلالٍ أحاديثُ كثيرةٌ من أعاجيبِ شدّته. وقد ذكره حاجب ابن ذبيان فقال قوم من بني رِبَابٍ من بني حَنِيفة في شيء كان بينهم فيه أربعُ ضَربات بالسيف، فقال حاجب: **[الوافر]**

وقـائـلـةٍ وبـاكـيـة بـشَـجْـوٍ ... لَـبِـئس الـسيـفُ سيـفُ بـنـي رِبـاب
ولـو لاقَـى هـلالَ بـنـي رِزَام ... لـعـجّـلـه إلـى يـوم الـحـسـاب[5]

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجل من بني عَنزة ثم من بني جلاَّن يقال له

(١) البَتّ: كساء من صوف أو وبر.
(٢) الحقو: الخصر.
(٣) الختْل: الخداع.
(٤) غمزته: عصرته.
(٥) خمشه: خدشه، جرحه.

عُبَيد بن جريّ في شيء كان بينهما، فشجّه وخمَشه خُمَاشَةً، فأتى هلالٌ بني جَلاّنَ فقال: إن صاحبكم قد فعل بي ما ترَوْن فخذوا لي بحقّي، فأوعدوه[١] وزجروه، فخرج من عندهم وهو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاءٌ حتى أتى بلادَ قومه، فمضى لذلك زمنٌ طويل حتى درسَ ذكرهُ، ثم إن عبيد بن جريّ قَدِم الوقبى ـ وهو موضع من بلاد بني مالك ـ فلما قَدِمها ذكر هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوّفه، فسأل عن أعزّ أهل الماء، فقيل له: مُعَاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرَارة بن ربيعة بن سيّار بن رِزام بن مازن؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء، فعقد عُبَيد بن جريّ طرف ثيابه إلى جانب طُنُبِ بيت معاذ ـ وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُبِ بيته للمستجير به أن يُجيرَه وأن يطلب له بظُلاَمته ـ وكان يومَ فعل ذلك غائباً عن الماء، فقيل: رجلٌ استجار بآل مُعَاذِ بن جَعْدة ثم خرج عبيد بن جريّ ليَستقي، فوافق قُدومَ هلال بإبله يومَ وُرُوده، وكان إنما يقدَمُها في الأيام، فلما نظر هلال إلى ابن جريّ ذكر ما كان بينه وبينه، ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده، فانتزع المِحْوَر[٢] من السَّانِيَة[٣] فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرعَ وقِيذاً[٤]، وقيل: قَتل هلالُ بن الأسعر جار معاذ بن جعدة! فلما سمع ذلك هلال تخوّفَ بني جعدة الرِّزامِيّين، وهم بنو عمه، فأتى راحلتَه ليركَبها، قال هلال: فأتتني خَوْلة بنت يَزيد بن ثابت أخي بني جَعْدَة بن ثابت، وهي جَدّةُ أبي السَّفَّاح زهيدِ بن عبد الله بن مالك أُمُّ أبيه، فتعلّقتْ بثوب هلال: ثم قالت: أيْ عدوَّ الله قتلتَ جارنا! والله لا تُفارقني حتى يأتيَكَ رجالُنا! قال هلال: والمحورُ في يدي لم أضَعْه؛ قال: فهمَمتُ أن أعلوَ به رأسَ خولةَ، ثم قلتُ في نفسي: عجوزٌ لها سِنٌّ وقرابةٌ! قال: فضربتُها برجلي ضربةً رميتُ بها من بعيدٍ، ثم أتيتُ ناقتي فأركبُها ثم أَضْربها هارباً. وجاء مُعاذُ بنُ جعدة وإخوتُه ـ وهم يومئذ تسعة إخوة ـ وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ، ويقال لها جُبَيلَةُ، وهو مع ذلك ابنُ عمتهم خَوْلَة بنت يزيد بن ثابت، فهو معهم كأنه بعضُهم؛ فجاءوا من آخر النهار فسمِعوا الواعِيَة[٥] على

(١) أوعده: هدده.
(٢) المحور: الحديدة التي تدور عليها البكرة.
(٣) السانية: الدلو العظيمة مع جميع أدواتها.
(٤) الوقيذ: المشرف على الموت.
(٥) الواعية: الصراخ على الميت.

الجَلاّنِيّ وهو دَنِفٌ[١] لم يَمُتْ، فسألوا عن تلك الواعية فأُخبروا بما كان من استجارة الجلاّنيّ بمعاذ بن جعدة وضربِ هلالٍ له من بعد ذلك؛ فركِب الأخوةُ التسعةُ وعبدُ الله بن مالك عاشرُهم، وكانوا أمثالَ الجبال في شدّة خَلْقِهم مع نَجْدتهم وركبوا معهم بعشرة غِلْمةٍ لهم أشدّ منهم خَلْقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريده من رَمِيَّته، حتى تبِعوا هلالاً، وقد نَسَل[٢] هلال من الهرب يومه ذلك كلَّه ولَيلته، فلما أصبح أمنَهم وظنّ أن قد أبْعد في الأرض ونجا منهم؛ وتبِعوه فلما أصبحوا من تلك الليلة قصُّوا[٣] أثرَه، وكان لا يَخفَى أثرُه على أحد لِعظَم قَدَمه، فلحقوه من بعد الغد، فلما أدركوه وهم عشرون ومعهم النَّبْل والقِسيّ والسيوف والتَّرَسة[٤]، ناداهم: يا بني جَعْدة، إني أَنشُدكم الله أن أكونَ قتلتُ رجلاً غريباً طلبته بِترةٍ[٥] تقتلوني وأنا ابن عمّكم! وظنّ أنّ الجَلاَّني قد مات ولم يكن مات إلى أن تَبِعوه وأخذوه، فقال مُعَاذ: والله لو أيقنّا أنه قد مات ما ناظَرْنا بك القتلَ من ساعتنا ولكِنّا تركناه ولم يمت، ولسنا نحبّ قتلَك إلاّ أن تمتنع منا، ولا نُقدِم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا؛ فقاتلهم وامتنع منهم، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه: لا تَرْمُوه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف، ولكن ارمُوه بالحِجارة واضربوه بالعصيّ حتّى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قَدَروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأُخرى إصبعين، ودقُّوا ضِلعَين من أضلاعه وأكثروا الشِّجَاج في رأسه، ثم أخذوه وما كادوا يقدِرون على أخذه، فوضعوا في رجله أَدْهَم[٦]، ثم جاءوا به وهو معروض على بعير حتى انتَهوا به إلى الوَقْبَى فدَفعوه إلى الجَلاَّني ولم يمتْ بعدُ، فقالوا: انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولا تُحدثِوا في أمره شيئاً حتى تنظُروا ما يُصْنَعُ بصاحبكم، فإن مات فاقتلوه وإن حييَ فأعلمونا حتى نحملَ لكم أَرْشَ[٧] الجِناية، فقال الجلاّنيّون: وَفَتْ ذمّتكم يا بني جَعْدة، وجزاكم الله أفضلَ ما يَجْزِي به خِيارَ الجيران، إنّا نتخوف أن يَنْزِعه منّا قومُكم إن خَلّيتم عنّا

(١) الدنف: المريض المشرف على الموت.
(٢) نسل: أسرع.
(٣) قصوا أثره: تتبعوه.
(٤) الترسة: جمع ترس، وهو صفيحة من الفولاذ.
(٥) الترة: الثأر.
(٦) الأدهم: القيد.
(٧) الأرش: دية الجراح.

وعنهم وهو في أيدينا؛ فقال لهم مُعاذ: فإني أحمله معكم وأشيِّعكم حتى تَرِدوا بلادكم، ففعلوا ذلك فحُمِل معروضاً على بعير ورَكِبتْ أختُه جماء بنت الأسعر معه، وجعل يقول: قتلتْني بنو جَعْدة! وتأتيه أخته بمغرة[١] فيشربها فيُقال: يُمْشِي بالدَّم[٢]، لأنّ بني جَعْدة فَرثوا[٣] كبِدَه في جوفه. فلمّا بلَغوا أدنَى بلاد بكر بن وائل قال الجَلاَّنِيُّون لمعاذ وأصحابه: أدام الله عزّكم، وقد وَفيتُم فانصرِفوا. وجعل هلال يُريهم أنّه يُمْشِي في الليلة عشرين مَرَّة، فلمّا ثَقُل الجَلاَّنيُّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبحَ ميّتاً، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدْهمُ كأنه يقضي حاجةً، ووضع كساءَه على عَصاه في ليلة ظَلْماء، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه، ثم طار تحت ليلته على رجليه، وكان أدلّ الناس، فتنكَّب الطّريقَ التي تُعرف ويُطلَب فيها وجعل يَسْلُك المسالكَ التي لا يُطمَع فيها. حتّى انتهى إلى رجل من بني أُثاثَةَ بن مازِن يقال له السَّعر بن يزيد بن طَلْق بن جُبَيلة بن أُثاثةَ بن مازِن فحمَله السَّعر على ناقة له يقال لها مَلْوة، فركبها ثمّ تجنّب بها الطريقَ فأخذ نحوَ بلاد قَيْس بن عَيْلان، تخوّفاً من بني مازن أن يتْبعوه أيضاً فيأخذوه فسار ثلاثَ ليال وأيّامَها حتّى نَزل اليومَ الرّابع، فنَحر الناقة فأكل لحمَها كلَّه إلا فَضْلةً فضلت منها فاحتملها، ثم أتَى بلادَ اليمن فوقع بها، فلبث زماناً وذلك عند مُقَامِ الحجاج بالعراق، فبلغ إفلاتُه مَنْ بالبصرة من بَكْر بن وائل. فانطلقوا إلى الحجاج فاستعدوْه وأخبروه بقتله صاحبَهم، فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شُعْبة بن العَلْقم، وهو يومئذ عَرِيف بني مازن حاضرتهم وباديتِهم، فقال له: لتَأتينِّي بهلال أو لأفعلنّ بك ولأفعلن، فقال له عبد الله بن شُعبة: إن أصحاب هلال وبني عمّه قد صنَعوا كذا وكذا، فاقتصّ عليه ما صنعوا في طلبه وأخذه ودفعه إلى الجَلاّنيين وتشييعهم إيّاه حتّى وردوا بلادَ بَكر بن وائل؛ فقال له الحجّاج: ويلك! ما تقول؟ قال فقال بعض البَكريّين: صدَق، أصلحَ الله الأمير، قال فقال الحجّاج: فلا يُرغِم الله إلاّ أُنوفكم، اشهدوا أنّي قد آمنتُ كلَّ قريب لهلال وحَميم وعَريف ومنعتُ من أخذِ أحدٍ به ومِنْ طلبه حتّى يظفَرَ به البَكريّون أو يموت قبل ذلك، فلمّا وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويُعظّم عليهم حقّه ويذكُر قرابته، وذلك أنّ سائر بني مازن

(١) المغرة: طين أحمر يصبغ به.
(٢) أمشى الرجل: استطلق بطنه.
(٣) فرث كبده: فتتها.

قاموا ليحملوا ذلك الدّم، فقال معاذ: لا أرضى والله أن يُحمل لجاري دمٌ واحد حتى يُحْمَل له دمٌ ولجواري دمٌ آخر، وإن أراد هلال الأمانَ وَسْطنا حُمل له دم ثالث، فقال هلال في ذلك: [الطويل]

بَنِي مازِنٍ لا تَطْرُدُونِي فَإِنَّنِي ... أخُوكُمْ وَإنْ جَرَّتْ جَرَائِرَها يَدِي[1]
ولا تُشْلِجُوا أكْبَادَ بَكْرِ بْنِ وائلٍ ... بِتَرْكِ أخِيكُمْ كَالخَلِيعِ المُطَرَّدِ
ولا تَجْعَلُوا حِفظِي بِظَهْرٍ وَتَحْفَظُوا ... بَعِيداً بِبَغْضَاءِ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
فَإنّ القَرِيبَ حَيْثُ كانَ قَرِيبُكُمْ ... وَكَيْفَ بِقَطْعِ الكَفِّ مِنْ سَائِرِ اليَدِ
وَإنَّ البَعِيدَ إن دَنا فَهْوَ جَارُكُمْ ... وَإنْ شَطَّ عَنْكُمْ فَهْوَ أبْعَدُ أبْعَدِ
وَإنِّي وَإنْ أوْجَدْتُمُونِي لَحَافِظٌ ... لَكُمْ حِفْظَ راضٍ عَنْكُمُ غَيْرِ مُوجَدِ
سَيَحْمِي حِمَاكُمْ بِي وَإن كُنْتُ غَائِباً ... أغَرُّ إذا ما رِيعَ لَمْ يَتَبَلَّدِ
وَتَعْلَمُ بَكْرٌ أنَّكُمْ حَيْثُ كُنْتُمُ ... وَكُنْتُ مِنَ الأرْضِ الغَرِيبَةِ مَحْتِدِي[2]
وَأنِّي ثَقِيلٌ حَيْثُ كُنْتُ عَلَى العِدا ... وَأنّي وَإن أُوجِدْتُ لَسْتُ بِأوْحَدِ
وَأنَّهُمُ لَمّا أرادُوا هَضِيمَتِي ... مُنُوا بِجَمِيعِ القَلْبِ عَضْبٍ مُهنَّدِ[3]
حُسام مَتَى يَعْزِمْ عَلَى الأمْرِ يأتِهِ ... وَلَمْ يَتَوَقَّفْ لِلْعَوَاقِبِ فِي غَدِ
وَهُمْ بَدَأوا بِالبَغْيِ حَتَّى إذا جُزُوا ... بأفعالِهِمْ قالوا لِجَازِيهِمُ قَدِ[4]
فَلَمْ يَكُ مِنْهُمْ فِي البَدِيهَةِ مُنصِفٌ ... ولم يكُ فِيهِمْ فِي العَوَاقِبِ مُهْتَدِي
وَلَمْ يَفْعَلُوا فِعْلَ الحَلِيم فَيُجْمِلُوا ... وَلَمْ يَفْعَلُوا فِعْلَ العَزِيزِ المؤيَّدِ
فَإن يسْرِ لِي إيعادُ بَكْرٍ فَرُبَّما ... مَنَعْتُ الكَرَى بِالغَيْظِ مِنْ مُتَوَعِّدِ
وَرُبَّ حِمَى قَوْمٍ أبَحْتُ وَمَوْرِدٍ ... وَرَدْتُ بِفِتْيَانِ الصَّبَاحِ وَمَوْرِدِ
وَسِجْفٍ دَجُوجِيٍّ مِنَ اللَّيْلِ حالِكٍ ... رَفَعْتُ بِعَجْلَى الرِّجل مَوّارة اليَدِ[5]
سَفِينَة خَوّاضٍ بُحُورَ هُمُومِهِ ... قَلِيلِ ٱلْتياثِ العَزْم عِنْدَ التَّرَدُّدِ[6]
جَسور على الأمر المَهيب إذا ونَى ... أخو الفَتْك ركّابٍ قَرَى المتهدِّدِ[7]

---

(١) الجرائر: جمع جريرة، وهي الجناية، والذنب.
(٢) المحتد: الأصل.
(٣) هضيمتي: هضم حقي.
(٤) قد: اسم فعل بمعنى يكفي.
(٥) دجوجي: مظلم حالك. وعجلى الرجل موارة اليد: الناقة السريعة.
(٦) الالتياث: الإبطاء.
(٧) ونى: فتر وضعف. والقَرَى: الظهر، وقيل: وسطه.

وقال وهو بأرض اليمن: [الطويل]

أَقُولُ وقد جَاوَزْتُ نُعْمَى وَنَاقَتِي تَحِنُّ إلى جَنْبِي فُلَيْجٍ مَعَ الفَجْرِ
سَقَى اللَّه يا نَاقَ البلادَ الَّتِي بِهَا هَوَاكِ، وَإن عنّا نأتْ، سَبَلُ القَطرِ[1]
فما عَنْ قِلىً منّا لها خَفّتِ النَّوَى بنا عن مَراعِيها وكُثْبانِها العُفْرِ[2]
وَلَكِنّ صَرْفَ الدَّهْرِ فَرَّقَ بَيْنَنا وَبَيْنَ الأدانِي وَالفَتى غَرَضُ الدَّهْرِ
فَسَقْياً لِصَحْرَاءِ الإهَالَةِ مَرْبَعاً وَلِلوَقْبَى مِنْ مَنْزِلٍ دَمِثٍ مُثْرِي[3]
وَسَقْياً وَرَعْياً حَيْثُ حَلَّتْ لِمَازِنٍ وَأَيّامِها الغُرّ المحجّلة الزُّهْرِ

قال خالدُ بنُ كُلْثوم: ولما دُفِعَ هلالٌ إلى أولياء الجَلاَّنِيّ ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له حُفَيْدٌ كان هلالٌ قد وَتَره فقال: والله لأؤنِّبَنّه ولأُصَغِّرنّ إليه نفسَه وهو في القيود مَصْبُورٌ للقتل، فأتاه فلم يَدعْ له شيئاً مما يكره إلا عدّه عليه. قال: وإلى جنب هلالٍ حَجَرٌ يملأ الكفَّ، فأخذه هلالٌ فأهوىَ به للرجل فأصاب جبينَه فاجتلَف جُلْفةً من وجهه ورأسِه، ثم رَمى بها وقال: خُذ القِصَاصَ منّي الآنَ وأنشأ يقول: [الرجز]

أنا ضَرَبْتُ كَرِباً وزَيْدا وثَابِتاً مَشَّيتُهُمْ رُوَيْدَا
كَمَا أَفَدْتُ حَيْنَه عُبَيْدَا وَقَدْ ضَرَبْتُ بَعْدَهُ حُفَيْدَا

قال: وهؤلاء كلُّهم من بني رِزَام بن مازن، وكلُّهم كان هلالٌ قد نكَأ[4] فيهم.

[مدحه ديسم لدفعه الدية عنه]

قال خالدُ بن كلثوم: ولما طال مُقَامُ هلالٍ باليمن نَهَضَتْ بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بني رِزَام بن مازن رَهْط هلال ورهطُ معاذِ بن جَعْدَة جارِ الجَلاَّنيّ المقتولِ، فقالوا: إنكم قد أسأتم بابن عمّكم وجُزْتُم الحدَّ في الطلب بدم جاركم، فنحن نحمِلُ لكم ما أردتم، فحمَل دَيْسَمُ بنُ المِنْهالِ بن خُزَيمةَ بنِ شِهَاب بن أُثاثة بن ضِبَاب بن حُجَيَّة بن كابِيَةَ بن حُرْقُوصِ بن مازنٍ الذي طلبَ معاذُ بن جَعْدَة أن يُحمَلَ

(١) السَّبَل: المطر النازل من السماء قبل وصوله إلى الأرض.
(٢) القلى: البغض.
(٣) صحراء الإهالة: موضع ذكره في معجم البلدان ولم يبينه.
(٤) نكأ فيهم: قتل وجرح وأثخن.

لجاره، لفضل عزّه وموضعِه في عشيرته، وكان الذي طلب ثلاثمائة بعيرٍ؛ فقال هلال في ذلك: [الكامل]

إن ابنَ كابيةَ المُرزَّأَ دَيْسماً ... وَارِي الزِّنادِ بَعيدُ ضَوْءِ النَّارِ
من كانَ يَحْمِلُ ما تَحَمَّلَ دَيْسمٌ ... من حائِلٍ فُنُقٍ وَأمِّ حُوَارِ[1]
عَيَّتْ بَنُو عَمْرٍو بِحَمْلِ هنائِدٍ ... فِيهَا العِشَارُ مَلاَبىءُ الأبكار[2]
حَتَّى تَلاَفَاها كريمٌ سَابِقٌ ... بِالخَيْرِ حَلَّ مَنَازِلَ الأخيَارِ
حَتَّى إذا وَرَدَتْ جَمِيعاً أرْزَمَتْ ... جَلاَّنَ بَعْدَ تَشَمُّسٍ وَنِفَارِ[3]
تَرْعَى بِصَحْرَاءِ الإهالَة رُوبَةً ... والعُنظُوَانَ مَنَابِتَ الجَرْجَارِ[4]

وقال خالدُ بن كلثوم: كان قُمَيْرُ بنُ سَعْد مُصَدِّقاً[5] على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلاً قد سرق صدقتَه، فأخذه قُمَير ليحبسه، فوثب قومُه وأرادوا أن يَحُولوا بين قُميرٍ وبينَه وهلالٌ حاضرٌ، فلما رأى ذلك هلالٌ وَثَب على البكريّين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنُفُهما[6] ويُناطِح بين رؤوسهما، فانتهى إلى قُمَيرٍ أعوانُه فقهَروا البكريّين؛ فقال هلال في ذلك: [الطويل]

دعانِي قُمَيْرٌ دَعْوَةً فأجَبْتُه ... فأيُّ امْرِىءٍ في الحَرْبِ حِينَ دَعانِي
مَعِي مِخْذَمٌ قد أخْلَصَ القَيْنُ حَدَّه ... يُخَفِّضُ عند الرَّوْعِ رَوْعَ جَنَانِي[7]
وما زِلْتُ مُذْ شَدَّتْ يَمِينِي حُجْزَتِي ... أُحَارِبُ أو فِي ظِلِّ حَرْبٍ تَرَانِي[8]

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفِيّ قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزيّ قال: حدّثنا حَكِيم بن سعد عن زفر بن هبيرةَ قال: تقاوم هلالُ بنُ أسعر المازنيّ، وهو أحد بني رِزام بنِ مازن، ونُمَيْسٌ الجَلاَّنيّ من عَنزةَ وهما يَسقِيان إبلَهما، فحذف

(١) الفنق: جمع فنيق: الناقة السمينة الفتية، والحوار: الفصيل.
(٢) الهنائد: جماعة الإبل من نحو المائة إلى المئتين. والعشراء التي أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها.
(٣) أرزمت: حنت، وخضعت.
(٤) الروبة: الأرض الكثيرة النبات. والعنظوان: نبت من الحرض إذا أكثر منه البعير وجع بطنه. والجرجار: نبت طيب الريح.
(٥) المصدّق: عامل الصدقات.
(٦) يكنفهما: يضمهما ويحيط بهما.
(٧) المخذم: السيف القاطع. والقين: صانع السيوف.
(٨) الحجزة: معقد الإزار.

هلالٌ نُهيساً بمحورٍ في يده فأصابه فمات، فاستعدَى ولدُه بلالَ بن أبي بُرْدة على هلالٍ فحبَسه فأسلمَه قَومُه بنو رِزام وعمِلَ في أمره دَيْسَمُ بن المنهال أحدُ بني كابِيَةَ ابنِ حُرْقُوص فافتكَّه بثلاث دِيَات، فقال هلال يمدحه: [الوافر]

تَـدَارَكَ دَيْـسَـمٌ حَـسَـبـاً وَمَـجْـداً ... رِزَامـاً بَـعْـدَمـا انْـشَـقَّـتْ عَـصَـاهـا
هُـمُ حَـمَـلُـوا الـمِـئِـينَ فـألْـحَـقُـوهـا ... بِـأَهْـلِـيـهـا فـكـانَ لَـهُـمْ سَـنَـاهـا
ومـا كـانـت لِـتَـحْـمِـلَـهـا رِزامٌ ... بـأَسْـتـاهٍ مُـعَـقَّـصَـةٍ لِـحَـاهـا
بـكـابِـيـةَ بْـنِ حُـرقُـوصٍ وَجَـدٌّ ... كَـريـمٍ لا فَـتَـى إلا فَـتَـاهـا

[نهمه وكثرة أكله]

أخبرني أحمدُ بن عُبَيد الله بن عَمّار وأحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهَرِي قالا: حدّثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ القاضي قال: حدّثني نصر بن عليّ الجَهْضَمِيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمِّل الصَّيْرَفِيّ قال: حدّثنا فضل بن الحسن قال: حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال: حدّثنا المُعْتمِر ابن سُلَيمان قال: قلت لهلال بن أَسْعَرَ: ما أَكْلَةٌ أكلتَها بلغتْنِي عنك؟ قال: جُعتُ مرّةً ومعي بعيري فنحرتُه وأكلتُه إلا ما حَملتُ منه على ظهري، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل: ثم أردتُ امرأتي فلم أقدر على جماعها؛ فقالت لي: وَيْحَكَ! كيف تصل إليّ وبيني وبينك بعيرٌ! قال المعتمر: فقلتُ له: كم تكفيك هذه الأكلةُ؟ قال: أربعةَ أيام. وحدّثني به ابن عَمَّار قال: حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال: حدّثني أحمد بن مُعاوية عن الأصمعيّ عن مُعْتمِر بن سليمان عن أبيه قال: قلت لهلال بن الأسعر ـ هكذا قال ابن أبي سعد معتمر عن أبيه وقال في خبره: فقلت له ـ كم تكفيك هذه الأكلة؟ فقال: خَمْساً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال: حدّثنا نصر بن عليّ قال: حدّثني الأصمعيّ قال: حدّثني شيخ من بني مازِن قال: أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميعَ ما في بيتنا، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبزَ فلما رأى الخبزَ قد اختلف عليه قال: كأنكم أرسلتُم إلى الجيران، أعندكم سَوِيقٌ؟ قلنا: نعم، فجئتُه بجراب طويل فيه سَويقٌ وببَرْنِيّةٍ[1] نبيذٍ فصبَّ السويقَ كلّه

(١) البرنية: وعاء من خزف.

وصبّ عليه النبيذَ حتى أتى على السَّويقِ والنبيذِ كلّه.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن موسى قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائِنيّ أن هلالَ بنَ أسعرَ مَرّ على رجل من بني مازِن بالبصرة وقد حمَل من بستانه رُطَباً في زَوَارِيقَ[1]، فجلس على زَوْرقٍ صغير منها وقد كُثِبَ الرطبُ فيه وغُطِّيَ بالبَوارِي[2]؛ قال له: يابن عَمّ آكُلُ من رُطَبك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ما يكفِيني؟ قال: ما يكفيك؛ فجلس على صدر الزورقِ وجعل يأكل إلى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكُشِفَ الزورقُ فإذا هو مملوءٌ نوىً قد أَكَلَ رُطَبَه وألقَى النَّوى فيه.

قال المدائنيّ: وحدّثني مَنْ سأله من أعجبِ شيء أكله، فقال: مائتي رغيف مع مَكُّوكِ ملح.

أخبرني أحمدُ بن عُبيد اللّه بن عَمّار قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سَعدْ قال: حدّثني الحسن بن علي بن منصور الأَهْوَازِيّ، وكان كَهْلاً سَرِيّاً مُعَدَّلاً قال: حدّثني شبان النِّيلِيّ عن صَدَقَةَ بن عُبَيدٍ المازنيّ قال: أولم عليّ أبي لما تزوّجتُ فَعَمِلنا عشرَ جِفَانٍ ثَريداً من جَزُورٍ. فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ، فقدّمنا إليه جَفنةً فأكلها ثم أُخرى ثم أُخرى حتى أتى على العشر، ثم استسْقَى فَأُتيَ بقِرْبَةٍ من نبيذ فوضع طَرَفها في شِدْقِه ففرّغها في جوفه، ثم قام فخرج؛ فاستأنفنا عملَ الطعام.

أخبرني الجوهريّ قال: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال: حدّثني أبو عمرو بن العَلاَء قال: رأيت هلال بن أسعرَ ميتاً ولم أره حيّاً، فما رأيت أحداً على سرير أطولَ منه.

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثني محمدُ بن يزيدَ قال: حدّثني بعضُ حاشية السلطان قال: غنّى إبراهيمُ الموصليّ الرشيدَ يوماً: [البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمَى لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرَبَا زِدْتَ الفُؤادَ على عِلاَّته وَصَبَا

قال: والصنعةُ فيه لرجل من أهل الكوفة يُقال له عَزّون ـ فأُعجِبَ به الرشيدُ

(١) زواريق: جمع زورق وهو إناء.
(٢) البواري: جمع بارية، وهي الحصير.

وطرِب له واستعاده مراراً؛ فقال له الموصليّ: يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعتَه من عبدك مُخارِقٍ، فإنه أخذه عنّي وهو يفضُلُ فيه الخلقَ جميعاً ويفَضُلُني، فأمرَ بإحضار مُخارقٍ، فأُحْضِرَ فقال له غنِّني:

يا رَبْعَ سَلْمَى لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرَبا   زِدْتَ الفُؤَادَ على عِلاّتِهِ وَصَبا

فغنّاه إياه؛ فبكى وقال: سَلْ حاجتكَ! قال مخارق: فقلتُ: تُعْتِقُني يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشَرِّفني بولائِكَ، أعتقك اللّهُ من النار؛ قال: أنتَ حرّ لوجه الله، أَعِدِ الصوتَ؛ قال: فأعدتُه، فبكى وقال: سل حاجتك، فقلت: يا أمير المؤمنين ضيْعةٌ تُقِيمُني[1] غلّتُها؛ فقال: قد أمرتُ لك بها، أعِدِ الصوتَ؛ فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك؛ فقلت: يأمر لي أميرُ المؤمنين بمنزلٍ وفرشه وما يُصلِحُه وخادمٍ فيه؛ قال: ذلك لك، أعِدْه؛ فأعدتُه فبكى وقال: سل حاجتك؛ قلتُ: حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطِيلَ الله بقاءك ويُدِيمَ عزَّك ويجعلَني من كل سوء فداءك؛ قال: فكان إبراهيم الموصليّ سببَ عتقه بهذا الصوت.

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف وكِيعٌ قال: حدّثني هارون بن مُخَارِق، وحدّثني به الصُّولِيّ أيضاً عن وَكيع عن هارون بن مُخَارق قال: كان أبي إذا غنّى هذا الصوتَ:

يا رَبْعَ سَلْمَى لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرَبا   زِدْتَ الفُؤَادَ على عِلاّتِهِ وَصَبَا

يقول: أنا مولى هذا الصوت؛ فقلت له يوماً: يا أبت، وكيف ذلك؟ فقال: غنّيتُه مولاي الرشيدَ فبكى وقال: أحسنتَ، أعِد فأعدتُ، فبكى وقال: أحسنت! أنتَ حرّ لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي وذكر قريباً مما ذكره المبرد من باقي الخبر.

حدّثني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن أبي الدُّنيا قال: حدّثني إسحاق النَّخَعِيّ عن حُسين بن الضَّحَّاك عن مُخَارِق: أن الرشيد أقبل يوماً على المغنّين وهو مضطجع، فقال: مَنْ منكم يغني:

يا رَبْعَ سَلْمَى لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرَبا   زِدْتَ الفُؤَادَ على عِلاّتِهِ وَصَبا

قال: فقمت فقلت: أنا، فقال: هاتِه؛ فغنيتُه فطرب وشرب، ثم قال: عليّ

---

(١) تقيمني: تكفيني غلتها.

بهَرْثَمَةَ، فقلتُ في نفسي: ما تُراهُ يريد منه! فجاؤوا بهرثمةَ فَأُدخِلَ إليه وهو يَجُرّ سيفَه، فقال: يا هرثمةُ، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته؟ فقال: أبو المهنّا؛ فقال: انصرف فانصرف؛ ثم أقبل عليّ فقال: قد كنيتك أبا المهنّا لإحسانكَ، وأمر لي بمائة ألف درهم، فانصرفتُ بها وبالكنية.

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه [الوافر]

وَخِلٍّ كُنْتُ عَيْنَ الرُّشْدِ مِنْهُ ... إذا نَظَرَتْ وَمُسْتَمِعاً سَمِيعَا
أَطَافَ بِغَيِّهِ فَعَدَلْتُ عنهُ ... وقُلْتُ لـه أَرَى أَمْراً فَظِيعَا

الشعر لعُرْوة بن الوَرْدِ، والغناء في اللحن المختار لِسِيَاط ثاني ثقيل بالبِنْصَر عن عمرو بن بانة. وفيه لإبراهيمَ ماخُورِيّ بالوُسْطَى عن عمرو أيضاً.

أخبارُ عروةَ بن الوَرْد ونسبه

[توفي نحو ٣٠ ق هـ - ٥٩٤ م]

[اسمه ونسبه ولقبه]

عُرْوةُ بن الوَرْد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشِب بن هريم بن لُدَيم بن عوذ بن غالب بن قُطَيعةَ بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفَان ابن سعد بن قَيْس بن عَيْلاَن بن مُضَر بن نِزَار، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فُرْسانِها وصُعْلوكٌ[1] من صَعَاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد. وكان يُلقَّبُ عروةَ الصعاليك لجَمْعه إيّاهم وقيامه بأمرهم إذا أَخْفقُوا في غَزَواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغْزىً، وقيل: بل لُقِّب عُروةَ الصَّعاليك لقوله: [الطويل]

لَحَى الـلَّـهُ صُعْـلُـوكـاً إذا جَـنَّ لَـيْـلُـهُ ... مُصَافِي الـمُشَـاشِ آلِفـاً كـلَّ مَجـزرِ[2]

يَـعُـدُّ الـغِـنَـى مِـنْ دَهْـرِهِ كُـلَّ لَـيْـلَـةٍ ... أصـابَ قِـرَاهـا مِـنْ صَـدِيـقٍ مُـيَـسَّـرِ

وَلِـلَّـهِ صُـعْـلُـوكٌ صَـفِـيـحَـةُ وَجْـهِـهِ ... كَـضَـوْءِ شِـهـابِ الـقـابِـسِ الـمُـتَـنَـوِّرِ

[آراؤهم فيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: بلغني أن معاوية قال: لو كان لعُرْوةَ بنِ الوَرْدِ وَلَدٌ لأحببتُ أن أتزوّجَ إليهم.

أخبرني محمد بن خَلَف قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِرَاس قال: حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ، وحدّثنا إبراهيمُ بن أَيُّوبَ عن عبد الله بن مُسْلِم قالا جميعاً:

(١) الصعلوك: الفقير، والطريد، وقد شكل الصعاليك في الجاهلية مجموعة يمكن اعتبارها أول فئة اشتراكية عند العرب، وزعيم الصعاليك عروة بن الورد.

(٢) جنّ اللَّيل: أظلم. والمشاش: العظم الهش الدسم.

قال عبد الملك بن مَرْوان: ما يَسُرّني أنّ أحداً من العرب وَلَدنِي ممّن لم يَلِدْنِي إلا عُرْوةَ بن الورد لقوله: [الطويل]

إنِّـي امْـرُؤٌ عـافِـي إنـائِـيَ شِـرْكَـةٌ ... وأنْـتَ امْـرُؤٌ عَـافِـي إنـائِـك واحـدُ
أَتَـهْـزَأُ مِـنِّـي أنْ سَـمِـنْـتَ وَأنْ تَـرَى ... بِجِسْمِي مَسَّ الحَقِّ وَالْحَقُّ جاهِدُ
أُفَرِّقُ جِسْـمِـي فِـي جُـسُـومٍ كَـثِـيـرَةٍ ... وَأَحْـسُـو قَـرَاحَ الـمـاءِ وَالـمـاءُ بـارِدُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثني عمر بن شَبّة قال: بلغني أن عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتمُ في حربكم؟ قال: كنّا ألفَ حازِم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازماً وكنا لا نَعصيه، وكنا نُقْدِم إقدامَ عَنْتَرَة، ونأتَمُّ بشعر عُرْوة بن الوَرْد، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زِيَاد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة قال:

ويقال: إن عبد الملك قال: من زعَم أن حاتماً أَسْمحُ الناسِ فقد ظلمَ عُرْوةَ ابن الوَرْد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: أخبرنا إبراهيمُ بن المُنْذِر قال: حدّثنا مَعْن بن عيسى قال: سمعت أن عبد الله بن جَعْفر بن أبي طالب قال لمعلِّم ولده: لا تُرَوِّهم قصيدةَ عُرْوةَ بنِ الوَرْد التي يقول فيها: [الوافر]

دَعِـيـنـي لـلـغِـنَـى أَسْـعَـى فَـإِنِّـي ... رأيـتُ الـنـاسَ شـرُّهـمُ الـفـقـيـرُ

ويقول: إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم.

[قصته مع سلمى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني محمد بن يحيى قال: حدّثني عبد العزيز بن عمران الزّهْرِيّ عن عامر بن جابر قال: أغار عُرْوة بن الوَرْد على مُزَينة فأصاب منهم امرأةً من كِنَانة ناكِحاً، فاستاقها ورجَعَ وهو يقول: [الطويل]

تَـبَـغَّ عَـدِيّـاً حَـيْـثُ حَـلَّـتْ دِيَـارَهـا ... وَأَبـنـاءَ عَـوْفٍ فـي الـقُـرُونِ الأَوَائِـلِ
فَـإلاَّ أَنَـلْ أَوْسـاً فَـإِنِّـي حَـسْـبُـهـا ... بِمُنْبَطِحِ الأَدْغَالِ مِنْ ذِي السَّلائِلِ[1]

---

(١) السلائل: وادٍ بين الفرع والمدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٣٥).

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النَّضِير، فلما رأوْها أعجبتْهم فسَقَوْه الخمر، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم، وكان لا يَمسُّ النساء، فلما أصبحَ وصحا نَدِم فقال:

سَقَوْني الخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُوني

الأبيات. قال: وجَلاَها النبيُّ ﷺ مع مَنْ جلا من بني النضير.

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ من خبر عُرْوةَ بن الوَرْد وسَلْمَى هذه أنه أصاب امرأةً من بني كِنانةَ بِكْراً يقال لها سَلْمَى وتكنَى أمَّ وهب، فأعتقها واتَّخذها لنفسه، فمكثتْ عنده بِضْعَ عشْرةَ سنةً وولدتْ له أولاداً وهو لا يشُكّ في أنها أرغبُ الناس فيه، وهي تقول له: لو حَجَجتَ بي فَأَمُرَّ على أهلي وأرَاهم! فحجّ بها، فأتى مكةَ ثم أتى المدينةَ، وكان يخالط من أهل يَثْرِبَ بني النَّضير فيُقْرِضُونه إن احتاج ويُبايِعُهم إذا غَنِم، وكان قومُها يخالطون بني النَّضِير، فأتَوْهم وهو عندهم؛ فقالت لهم سَلْمَى: إنه خارجٌ بي قبل أن يخرُجَ الشهرُ الحرامُ، فتعالَوْا إليه وأخبِرُوه أنكم تستحيُون أن تكون امرأةٌ منكم معروفةُ النسب صحيحتُه سَبِيَّةً، وافتَدُوني منه فإنه لا يَرَى أنّي أُفارِقهُ ولا أَختارُ عليه أحداً، فأتَوْه فسَقَوْه الشّرابَ، فلمّا ثَمِل قالوا له: فَادِنَا بصاحبتنا فإنها وَسِيطةُ النسب[1] فينا معروفةٌ، وإنّ علينا سُبَّةً[2] أن تكون سَبيَّةً، فإذا صارتْ إلينا وأردتَ معاودتَها فاخطُبْها إلينا فإننا نُنكِحُكَ؛ فقال لهم: ذاكَ لكم، ولكن لِيَ الشرطُ فيها أن تُخَيِّرُوها، فإن اختارتْني انطلقَتْ معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتُم بها؛ قالوا: ذاك لك؛ قال: دَعُوني أَلْهُ بها اللّيلَةَ وأُفادِها غداً، فلمّا كان الغدُ جاءوه فامتنع من فِدائها؛ فقالوا له: قد فاديتَنا بها منذُ البارحةِ، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممّن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفاداها، فلما فادَوْه بها خيّروها فاختارت أهلَها، ثم أقبلتْ عليه فقالت: يا عروةُ أمَا إنّي أقول فيكَ وإن فارقتُكَ الحقَّ: والله ما أعلم امرأةً من العرب ألقتْ سِترَها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضَّ طرْفاً وأقلَّ فُحشاً وأجودَ يداً وأَحْمَى لِحقِيقةٍ[3]؛ وما مرّ عليّ يومٌ منذ كنتُ عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ إليّ من الحياة بين قومك، لأنّي لم أكن أشاء أن أسمعَ امرأةً من قومك تقول: قالت أمَةُ عروة كذا وكذا إلا سمعتُه؛ ووالله لا أنظر في وجهِ

(١) وسيطة النسب: شريفة النسب.
(٢) السُّبَّة: العار، ما يسبّ المرء من أجله.
(٣) حقيقة الرجل: ما يلزمه الدفاع عنه.

غَطَفَانِيَّةٍ أبداً، فَارْجِعْ راشداً إلى ولدك وأحسِنْ إليهم. فقال عروةُ في ذلك: [الوافر]

سقَوْنِي الخمرَ ثم تكنّفوني

وأوّلها: [الوافر]

أرِقْتُ وَصُحْبتِي بمَضِيقِ عَمْقٍ لِبَرْقٍ مِنْ تِهَامَةَ مُسْتَطِيرِ[1]
سَقَى سَلْمَى وَأَيْنَ دِيارُ سَلْمَى إذا كانَتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ[2]
إذا حَلَّتْ بأرْضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلِي بَيْنَ إمَّرَةٍ وَكِيرِ[3]
ذَكَرْتُ مَنَازِلاً مِنْ أمِّ وَهْبٍ مَحَلَّ الحَيِّ أسْفَلَ مِنْ نَقِيرِ[4]
وَأَحْدَثُ مَعْهَدٍ مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مُعرَّسُنا بدارِ بَنِي النَّضِيرِ
وَقَالُوا ما تَشاءُ فَقُلْتُ أَلْهُو إلى الإِصْباحِ آثِرَ ذِي أثِيرِ[5]
بِآنِسةِ الحَدِيثِ رُضَابُ فِيهَا بُعَيْدَ النَّوْمِ كالعِنَبِ العَصِيرِ

وأخبرني عليُّ بن سُلَيمان الأخفش عن ثَعْلب عن ابن الأعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، وقال فيها: إنّ قومَها أغلَوْا بها الفِدَاء، وكان معه طَلْقٌ وجُبَار أخوه وابن عمه، فقالا له: والله لئن قبِلتَ ما أعطَوْكَ لا تفتقِرُ أبداً، وأنتَ على النساء قادر متى شئتَ، وكان قد سَكِرَ فأجاب إلى فدائها، فلما صحا ندم فشهِدُوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع. وجاءت سَلْمَى تُثْنِي عليه فقالت: والله إنك ما علِمتُ لضَحُوكٌ مُقبِلاً كَسُوبٌ مُدبِراً خفيفٌ على مَتْن الفرس ثقيلٌ على العدوّ طويلُ العِمَاد كثيرُ الرَّماد راضِي الأهلِ والجانبِ، فاستَوْصِ ببنيك خيراً، ثم فارقته. فتزوّجها رجلٌ من بني عمِّها، فقال لها يوماً من الأيام: يا سلمى، أثْنِي عليّ كما أثْنيت على عروةَ ـ وقد كان قولُها فيه شُهِرَ ـ فقالت له: لا تُكَلِّفني ذلك فإني إن قلتُ الحقَّ غَضِبتَ ولا واللاَّتِ والعُزَّى لا أكذِبُ؛ فقال: عَزَمْتُ عليكِ لتَأْتِيِني في مجلس قومي فَلتُثْنِين عليّ بما تَعْلَمِينَ، وخرج فجلس في

---

(١) عمق: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٤/ ١٥٦). واستطار البرق: انتشر في السماء.
(٢) السرير: موضع في بلاد كنانة. (معجم البلدان ٣/ ٢١٨). (معجم البلدان ١٠/ ٢٥٣). وكير: جبلان في أرض غطفان. (معجم البلدان ٤/ ٤٩٧).
(٣) إمّرة: منزل في طريق مكة من البصرة وهو منهل.
(٤) نقير: موضع بين هجر والبصرة (معجم البلدان ٥/ ٣٠١).
(٥) آثر ذي أثير: أول كل شيء.

نَدِيّ[١] القوم، وأقبلتْ فرماها القومُ بأبصارهم، فوقفَتْ عليهم وقالت: أَنْعِمُوا صباحاً، إنّ هذا عزَم عليَّ أن أُثنِيَ عليه بما أعلمُ. ثم أقبلتْ عليه فقالت: والله إنّ شِمْلَتَكَ[٢] لالتِحاف، وإنّ شُرْبَكَ لاشتِفَاف[٣]، وإنك لتنامُ ليلةَ تخافُ، وتَشبَعُ ليلةَ تُضافُ، وما تُرضِي الأهلَ ولا الجانبَ، ثم انصرفَتْ. فلامَه قومُه وقالوا: ما كان أغناكَ عن هذا القول منها.

[زعيم الصعاليك]

أخبرني الأخفش عن ثعْلَب عن ابن الأعرابيّ قال: حدّثني أبو فَقْعَسٍ قال: كان عُرْوةُ بن الوَرْد إذا أصابتِ الناسَ سَنَةٌ شَديدةٌ تركوا في دارهم المريضَ والكبيرَ والضعيفَ، وكان عروة بن الورد يجمعُ أشباهَ هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يَحْفِرُ لهم الأَسْرابَ ويَكنُفُ عليهم الكُنُفَ[٤] ويَكْسِبُهم، ومَنْ قَوِيَ منهم - إما مريضٌ يبرأ من مرضه، أو ضعيفٌ تثُوبُ قوتُه - خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصَبَ الناسُ وأَلْبَنُوا[٥] وذهبتِ السَّنةُ أَلحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقسَم له نصيبَه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسانُ منهم أهلَه وقد استغنَى، فلذلك سُمّي عروةَ الصعاليكِ، فقال في ذلك بعضَ السنين وقد ضاقتْ حالُه: [الطويل]

لَعَلَّ ارْتِيَادِي في البلادِ وَبُغْيَتِي ... وَشَدِّي حَيَازِيمَ المَطِيَّةِ بالرَّحْلِ[٦]

سَيَدفَعُنِي يَوْماً إلى رَبِّ هَجْمَةٍ ... يُدَافِعُ عنها بالعُقُوقِ وبالبُخْلِ[٧]

فزعموا أن الله عز وجل قيَّضَ له وهو مع قوم من هُلاَّكِ[٨] عشيرته في شتاءٍ شديدٍ ناقتيْن دهْمَاوَيْنِ، فنحرَ لهم إحداهما وحَمَل متاعَهم وضُعفاءَهم على

(١) النديّ: النادي.
(٢) الشملة: كساء من صوف أو شعر يتغطى به.
(٣) الاشتفاف: شرب كل ما في الإناء.
(٤) الكنف: جمع كنيف، وهو الحظيرة.
(٥) ألبنوا: كثر اللبن عندهم.
(٦) الحيازيم: جمع حيزوم، الصدر أو وسطه.
(٧) الهجمة: العدد العظيم من الإبل.
(٨) الهلاك: الصعاليك.

الأُخرى، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان، وكان بين النَّقْرَة[١] والرَّبَذَة فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له: مَاوَانُ. ثم إن الله عز وجل قيَّضَ له رجلاً صاحبَ مائةٍ من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه ـ وذلك أوّل ما ألبنَ الناسُ ـ فقتله وأخذ إبلَه وامرأتَه، وكانت من أحسن النساء، فأتَى بالإبلِ أصحابَ الكَنِيفِ فحلبها وحمَلهم عليها، حتى إذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبل يَقْسِمُها بينهم وأخذ مثلَ نصيب أحدهم، فقالوا: لا واللاتِ والعُزَى لا نرضَى حتى تجعلَ المرأةَ نصيباً فمن شاء أخذها، فجعل يَهُمُّ بأن يحمِلَ عليهم فيقتلَهم وينتَزعَ الإبلَ منهم، ثم يذكُر أنهم صَنِيعتُه وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فَأَفْكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يردّ عليهم الإبلَ إلا راحلةً يحمِلُ عليها المرأةَ حتى يَلْحَقَ بأهله، فأبَوْا ذلك عليه، حتى انتدَبَ رَجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه؛ فقال عروةُ في ذلك قصيدتَه التي أوّلها: [الطويل]

ألا إنَّ أصْحابَ الكَنِيفِ وَجَدْتُهُمْ ... كما النَّاس لمّا أمْرَعُوا وتَموّلُوا[٢]

وإنـي لـمـدفُـوعٌ إلـيَّ وَلاَؤهُـمْ ... بِماوَانَ إذْ نَمْشِي وإذ نَتَمَلْمَلُ

وَإنِّـي وَإيّـاهُـمْ كـذِي الأمّ أَرْهـنَـتْ ... لَهُ ماءَ عَيْنَيْها تُفَدِّي وتَحْمِلُ

فَباتَتْ بِحَدِّ المِرْفَقيْن كِلَيْهِما ... تُوَحْوِحُ مِمّا نالَها وتُوَلْوِلُ

تُخَيَّرُ مِنْ أَمْرَيْنِ لَيْسَا بِغِبْطَةٍ ... هُوَ الثُّكْلُ إلا أنَّها قَدْ تَجَمَّلُ[٣]

[قوله في ليلى]

وقال ابنُ الأعرابيّ في هذه الرّواية أيضاً: كان عُرْوة قد سبَى امرأة من بني هِلاَل بن عامر بن صَعْصَعَة يقال لها: لَيْلَى بنتُ شَعواء، فمكثتْ عندَه زماناً وهي مُعْجبة له تُرِيه أنّها تحبّه، ثم استزارتْه أهلَها فحمَلها حتّى أتاهم بها، فلمّا أراد الرُّجوع أبتْ أن ترجع معه، وتوعّده قومُها بالقتل فانصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها: يا ليلى، خبِّري صواحبكَ عنِّي كيف أنا؛ فقالت: ما أرى لك عقلاً! أتُراني قد اخترتُ عليك وتقول: خبِّري عنّي! فقال في ذلك:

(١) النقرة: قرية بين أضاخ وماوان، وهي منازل حاج الكوفة. انظر معجم البلدان (٥/ ٢٩٨).
(٢) أمرع: أصابه الكلأ وأخصب. وتموّل: كثر ماله.
(٣) تَجَمَّل: تتصبر، وتتحمل. وقد حذفت تاء المضارعة.

[الطويل]

تَحِنُّ إلى لَيْلَى بِجَوِّ بِلاَدِها ... وَأَنْتَ عليها بالمَلاَ كنتَ أَقْدَرَا[1]
وَكَيْفَ تُرَجِّيها وَقَدْ حِيلَ دُونَها ... وقد جاوَزَتْ حيّاً بتَيْماءَ مُنْكَرا
لَعَلَّك يَوْماً أن تُسَرِّي نَدامَةً ... عَلَيَّ بما جَشَّمْتَنِي يَوْمَ غَضْوَرا[2]

وهي طويلة. قال: ثمّ إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عَبْس ثم من بني سُكَين يقال لها أسماء، فما لبِثتْ عندهم إلاّ يوماً حتّى استنقذَها قومُها؛ فبلَغ عروةَ أنّ عامر بن الطُّفَيْل فَخر بذلك وذكر أَخْذَه إيّاها، فقال عروة يعيّرهم بأخذه ليلى بنت شَعْواء الهلالية: [الطويل]

إن تأخُذوا أسْماء مَوْقِفَ ساعَةٍ ... فَمَأْخَذُ ليلَى وَهْي عَذْراءُ أَعْجَبُ
لَبِسْنا زماناً حُسْنَها وَشَبابَها ... وَرُدَّتْ إلى شَعْوَاءَ والرَّأسُ أَشْيَبُ
كَمَأْخذِنا حَسْناءَ كرهاً وَدَمْعُها ... غَدَاةَ اللِّوَى مَعصُوبَةً يَتَصَبَّبُ

وقال ابن الأعرابيّ: أَجْدَب ناس من بني عَبْس في سنة أصابتْهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوعٌ شديد وبؤس، فأتوا عُرْوَةَ بن الوَرْد فجلسوا أمامَ بيته، فلمّا بَصرُوا به صَرخوا وقالوا: يا أبا الصَّعَاليك، أغِثْنا؛ فرَقَّ لهم وخرج ليغزوَ بهم ويُصيبَ مَعاشاً، فنهتْه امرأته عن ذلك لِمَا تَخوّفتْ عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازياً، فمرّ بمالِك بن حِمَار الفَزَاريّ ثم الشَّمْخيّ؛ فسأله: أين يريد؟ فأخبره، فأمر له بجَزُور فنحَرها فأكَلوا منها؛ وأشار عليه مالكٌ أن يرجع، فعصاه ومضَى حتّى انتهى إلى بلاد بني القَيْن، فأغار عليهم فأصاب هَجْمَةً عاد بها على نفسه وأصحابه؛ وقال في ذلك: [الطويل]

أرى أمَّ حَسَّانَ الغَداةَ تَلُومُني ... تُخَوِّفُنِي الأعْداءَ والنَّفْسُ أَخْوَفُ
تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ لَسَرَّنا ... وَلَمْ تَدْرِ أنّي لِلْمُقَام أُطَوِّفُ
لَعَلَّ الّذي خَوَّفْتِنا مِنْ أَمَامِنا ... يُصادفه في أهله المُتَخَلِّفُ

وهي طويلة.

وقال في ذلك أيضاً: [الطويل]

أَلَيْسَ وَرائي أنْ أدِبَّ على العَصا ... فيَشْمَتَ أَعْدَائِي وَيَسْأَمَنِي أَهْلِي

(١) الملا: المتسع من الأرض.
(٢) تسري: تكشف. وغضور: مدينة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة وكنانة.

رَهِينَةَ قَعْرِ البَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِيَ الوِلْدانُ أَهْدَجَ كَالرَّأل[1]
أقِيمُوا بَنِي لُبْنَى صُدورَ رِكَابِكُمْ فَكُلُّ مَنَايا النَّفْسِ خَيْرٌ مِنَ الهُزْلِ[2]
فَإِنَّكُمُ لَن تبلُغوا كُلَّ هِمَّتِي ولا أرَبِي حتّى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْلِ
لَعَلَّ ارْتِيادِي فِي البِلاَدِ وَحِيلَتِي وَشَدِّي حَيَازِيمَ المَطِيَّةِ بالرَّحْلِ
سَيَدْفَعُنِي يَوْماً إلى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِع عَنْهَا بِالعُقُوقِ وَالبُخْلِ

[قصته مع الهذلي الذي أخذ فرسه]

نسختُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال: حدّثني حُرّ بن قَطَن أنّ ثُمامة بن الوليد دخل على المنصور؛ فقال: يا ثُمامة، أتحفَظ حديث ابن عمِّك عُرْوَةَ الصَّعاليك بن الوَرْد العَبْسيّ؟ فقال: أيُّ حديثِهِ يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثيرَ الحديثِ حَسَنه؛ قال: حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسَه؛ قال: ما يَحْضرُني ذلك فأرْويَه يا أمير المؤمنين؛ فقال المنصور: خرج عُرْوةُ حتّى دنا من منازل هُذَيل فكان منها على نحو مِيلين وقد جاع فإذا هو بأَرْنَبٍ فرماها ثم أَوْرى ناراً فشَواها وأكَلها ودفَن النّار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب اللّيْل وغارت النّجوم، ثمّ أتى سَرْحة[3] فصعِدَها وتخوّف الطّلبَ، فلما تغيّب فيها إذا الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البياتَ[4]، قال: فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركَز رُمحَه في موضع النّار وقال: لقد رأيتُ النّارَ ها هنا؛ فنزل رجل فحَفَر قدر ذِرَاع فلم يجد شيئاً، فأكبّ القومُ على الرّجل يَعْذُلونه ويعِيبون أمرَه ويقولون: عنَّيتنا في مثل هذه اللّيلة القَرّة[5] وزعَمتَ لنا شيئاً كذَبتَ فيه؛ فقال: ما كذبتُ، ولقد رأيت النار في موضع رُمْحي؛ فقالوا: ما رأيتَ شيئاً ولكنَّ تَحذلُقَك[6] وتَدَهِّيَك[7] هو الذي حَملك على هذا، وما نعجَب إلاّ لأنفسنا حينَ أطعنا أمرَكَ واتّبعناك؛ ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم. واتَّبعهم عروةُ، حتّى إذا ورَدوا منازلهم جاء عروة

(١) أهدج: أمشي مرتعشاً متثاقلاً. والرأل: الظليم (ولد النعام).
(٢) الهُزْل: الضعف، وقلة الشحم واللحم، نقيض السمن.
(٣) السرحة: الشجرة العظيمة.
(٤) البيات: الليل.
(٥) القَرّة: الباردة.
(٦) التحذلق: إظهار الحذق.
(٧) التدهي: استعمال الدهاء.

فتكَمَّن(١) في كِسْر بيت(٢)؛ وجاء الرّجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود، وعُروة ينظرُ، فأتاها العبد بعُلْبة فيها لبن فقال: اشرَبي؛ فقالت لا، أَوْ تَبدأ، فبدأ الأسود فشرِب؛ فقالت للرّجل حين جاء: لعَن الله صَلَفك(٣)! عنّيت قومَك منذ اللّيلة؛ قال: لقد رأيتُ ناراً، ثمّ دعا بالعُلبة ليشرب، فقال حين ذهب ليكرَع: ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة! فقالت امرأته: وهذه أُخرى، أيُّ ريحِ رجلٍ تجده في إنائك غيرَ رِيحك! ثم صاحت، فجاء قومها فأخبرتْهم خبره، فقالت: يتَّهمني ويظنّ بي الظُّنون! فأقبلوا عليه باللَّوم حتّى رجَع عن قوله؛ فقال عروة: هذه ثانية. قال ثم أوى الرجل إلى فراشه، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به، فضرب الفرسُ بيده وتحرّك، فرجع عروة إلى موضعه، ووثَب الرجل فقال: ما كنتَ لِتَكْذِبَني فمالَك؟ فأقبلت عليه امرأته لَوماً وعَذْلاً. قال: فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه الرجل، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم، فقال: لا أقوم إليكَ اللّيلةَ؛ وأتاه عُرْوة فحال في متنه(٤) وخرج ركْضاً، وركِب الرجلُ فرساً عنده أنثى. قال عروة: فجعلت أسمعه خَلْفِي يقول: الحَقِي فإنك من نَسله. فلما انقطع عن البيوت، قال له عُرْوة بن الوَرْد: أيّها الرجل قِفْ، فإنك لو عرفتَني لم تُقْدم عليّ، أنا عروة بن الورد، وقد رأيتُ اللّيلة منكَ عجباً، فأخبرني به وأردَّ إليك فرسك؛ قال: وما هو؟ قال: جئتَ مع قومكَ حتّى ركزتَ رُمحَك في موضع نارٍ قد كنتُ أوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيتَ وقد صَدقْتَ، ثم اتَّبعتُك حتّى أتيتَ منزلَك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتَها منهما، ثم شَممتَ رائحةَ رجل في إنائك، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء، وهو عبدُك الأسودُ وأظن أن بينهما ما لا تحبُّ، فقلتَ: ريحُ رجلٍ؛ فلم تزل تَثْنِيكَ عن ذلك حتى انثنَيتَ، ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه فاضطرب وتحرّك فخرجتَ إليه، ثم خرجتَ وخرجتَ، ثم أضربتَ عنه، فرأيتُك في هذه الخصَالِ أكملَ الناس ولكنك تَنْثَنِي وترجِعُ؛ فضَحِك وقال: ذلك لأخوال السَّوْء، والذي رأيتَ من صَرَامتي فمن قِبَل أعمامي وهم هُذَيلٌ، وما رأيتَ من كَعَاعَتي(٥) فمن قِبَل أخوالي وهم بطنٌ من خُزاعةَ، والمرأةُ التي رأيتَ

---

(١) تكمن: كمن.
(٢) كسر البيت: جانبه.
(٣) الصلف: التكبر، والإعجاب بالنفس.
(٤) حال في متن الفرس: وثب عليه، ركبه.
(٥) الكعاعة: الجبن.

عندي امرأةٌ منهم وأنا نازلٌ فيهم، فذلك الذي يَثْنِيني عن أشياءَ كثيرةٍ، وأنا لاحقٌ بقومي وخارجٌ عن أخوالي هؤلاء ومُخَلٍّ سبيلَ المرأةِ، ولولا رأيتَ من كَعَاعتِي لم يقوَ على مناوأة قومِي أحدٌ من العرب. فقال عروة: خُذْ فرسَك راشداً؛ قال: ما كنت لآخذه منك وعندي من نسله جماعةٌ مثلُه، فخذه مُباركاً لك فيه. قال ثُمامةُ: إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرةً ما سمعنا له بحديث هو أظرفُ من هذا.

[تعرّفه على ابنه]

قال المنصورُ: أَفَلا أُحدّثك له بحديث هو أظرفُ من هذا؟ قال: بلى يا أميرَ المؤمنين، فإن الحديثَ إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره؛ قال: خرج عروةُ وأصحابُه حتى أتى مَاوَانَ فنزل أصحابُه وَكَنَفَ عليهم كَنيفاً من الشجر، وهم أصحابُ الكَنيف الذي سمعتَه قال فيهم: [الطويل]

ألا إنَّ أصْحابَ الكَنيفِ وَجَدْتُهُمْ كما النّاس لمّا أمْرَعُوا وَتَمَوَّلُوا

وفي هذه الغَزَاةِ يقول عروةُ: [الطويل]

أقُولُ لِقَوْمٍ في الكَنِيفِ تَروّحُوا عَشِيَّةَ قِلْنَا حَوْلَ ماوانَ رُزَّحِ[1]

وفي هذه القصيدة يقول:

لِيَبْلُغَ عُذراً أوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً ومُبْلِغُ نَفْسٍ عُذرَها مِثْلُ مُنْجِحِ

ثم مضى يبتغِي لهم شيئاً وقد جُهِدُوا، فإذا بأبياتِ شَعَرٍ وبامرأةٍ قد خلا من سنِّها وشيخٍ كبيرٍ كالحِقَاء[2] المُلْقَى، فكمَن في كِسْرِ بيتٍ منها، وقد أجدبَ الناسُ وهَلَكَتِ الماشيةُ، فإذا هو في البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشْويَّةٍ ـ فقال ثُمَامةُ: وما السُّحُور؟ قال: الحلقومُ بما فيه ـ والبيتُ خالٍ فأكلها، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعتْه وقَوِيَ، فقال: لا أُبالِي مَنْ لَقِيتُ بعد هذا. ونظرت المرأةُ فظنَّتْ أنّ الكلبَ أكلها فقالتْ للكلب: أفعلتَها يا خبيثُ! وطردَتْه. فإنه لكذلك إذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأُفُق وإذا هي تَلتفِتُ فَرَقاً[3]، فعلم أن راعيَها جَلْدٌ

(١) الرزّح: جمع رازح، وهو الشديد الهزال.

(٢) الحِقاء: الإزار.

(٣) الفرق: الخوف.

شديدُ الضرب لها، فلما أتتِ المُناخَ بركَتْ، ومكثَ الراعي قليلاً ثم أتى ناقةً منها فَمَرَى[١] أخلافَها، ثم وضع العُلبةَ على ركبتيه وحلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخَ فسقاه، ثم أتى ناقةً أُخرى ففعل بها ذلك وسقَى العجوزَ، ثم أتى أُخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم التفع بثوب واضطجعَ ناحيةً، فقال الشيخُ للمرأة وأعجبه ذلك: كيف ترَيْنَ ابني؟ فقالت: ليس بابنك! قال: فابن مَنْ وَيْلك؟ قالت: ابنُ عروةَ بن الورد، قال: ومِنْ أينَ؟ قالت: أتذكر يومَ مَرَّ بنا يريدُ سوقَ ذِي المجاز فقلتَ: هذا عُروة بن الورد، وصفتَه لي بِجَلد فإني استطرقته. قال: فسكت، حتى إذا نوّم وثَب عروةُ وصاح بالإبل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألاّ يتْبَعه الغلام ـ وهو غلام حين بدا شاربُه ـ فاتّبعه. قال: فاتخذا[٢] وعالجه، قال: فضرب به الأرض فيقع قائماً، فتخوّفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به وبادره، فقال: إنّي عُروة بن الورد، وهو يريد أن يُعجِزَهُ عن نفسه. قال: فارتدعَ، ثم قال ما لكَ ويلَك! لستُ أشكُّ أنك قد سمعتَ ما كان من أمّي؛ قال قلت نعم، فاذهب معي أنت وأمك وهذه الإبلُ ودَعْ هذا الرجلَ فإنه لا ينهاك عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليلٌ، وأنا مقيمٌ معه ما بقي، فإن له حقّاً وذِمَاماً، فإذا هَلَك فما أسرعَني إليك، وخذ من هذه الإبِل بعيراً، قلتُ: لا يكفيني، إنّ معي أصحابي قد خَلَّفتُهم؛ قال: فثانياً، قلت لا، قال: فثالثاً، والله لا زِدتُكَ على ذلك. فأخذها ومضى إلى أصحابه، ثم إنّ الغلام لَحِقَ به بعد هَلاَك الشيخ. قال: والله يا أمير المؤمنين لقد زيَّنتَه عندنا وعظّمتَه في قلوبنا؛ قال: فهل أعقب[٣] عندكم؟ قال لا، ولقد كنا نتشاءمُ بأبيه، لأنه هو الذي أوقعَ الحربَ بين عَبْسٍ وفزارةَ بمراهنته حُذَيفَةَ، ولقد بلغني أنه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يؤثِرُه على عروة فيما يعطيه ويُقرِّبُه، فقيل له: أتؤثِرُ الأكبرَ مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال: أتَرَوْنَ هذا الأصغرَ، لئن بقي ما رأى من شدّة نفسه ليَصيرنّ الأكبرُ عِيَالاً عليه.

(١) مَرَى الضرع: عصره ليدرّ.

(٢) اتخذا: تعاركا، وهمّا بالقتال.

(٣) أعقب: أنجب أولاداً.

صوت

من المائة المختارة

[البسيط]

أَزْرَى بِنا أَنَّنا شالَتْ نَعامَتُنا فَخالَنِي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي
فَإِنْ تُصِبْكَ مِنَ الأَيّامِ جائِحَةٌ لَمْ أَبْكِ مِنْكَ على دُنيا ولا دِينِ

الشعر لذي الإصبع العَدْوانِيّ، والغناء لِفيلٍ مولى العَبَلات هزجٌ خفيفٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. معنى قوله أزرَى بنا: قصَّر بنا، يقال: زَرَيتُ عليه إذا عِبتَ عليه فِعلَه، وأزريتُ به إذا قصَّرتَ به في شيء. وشالَتْ نعامتُهم إذا انتقلوا بكُلِّيتهم، يقال: شالتْ نعامتُهم، وزَفَّ رألُهُمْ، إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء. وخالني: ظنني، يقال: خِلتُ كذا وكذا فأنا أخاله إذا ظننته، والجائحة: النازلة التي تجتاح ولا تُبقي على ما نزلَتْ به.

ذكر ذي الإِصبَع العَذوانِيّ ونسبُه وخبره

[توفي نحو ٢٢ ق هـ - ٦٠٠ م]

[اسمه ونسبه]

هو حُرْثانُ بنُ الحارث بن مُحرِّثِ بن ثَعْلَبة بن سَيّار بن رَبيعة بن هُبيرةَ بن ثعلبةَ بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يشْكُر بن عَدْوانَ بن عمر بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلانَ بن مُضَر بن نِزَار، أحدُ بني عَدْوانَ وهم بطنٌ من جَدِيلةَ. شاعرٌ فارسٌ من قُدَماء الشعراء في الجاهلية وله غاراتٌ كثيرةٌ في العرب ووقائعُ مشهورةٌ.

[بعض أخباره]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ وابنُ عَمّار والأسديّ قالوا: حدّثنا الحسنُ بن عُلَيل العنزِيّ قال: حدّثنا أبو عثمان المازِنيّ عن الأصمعيّ قال:

نَزلت عَدْوانُ على ماء فأحْصَوْا فيهم سبعينَ ألفَ غلام أَغْرَلَ[1] سِوَى من كان مختوناً لكثرة عددهم، ثم وقع بأسُهم بينهم فتفَانَوْا فقال ذو الإِصبع:

صوت [الهزج]

عَـذِيـرَ الـحـيّ مِـن عَـدْوا ... نَ كـانـوا حَـيَّـةَ الأَرضِ[2]

بَـغَـى بـعـضُـهُـم بـعـضـاً ... فـلـم يُـبْـقُـوا عـلـى بـعـضِ

فـقـد صـاروا أحـاديـثَ ... بِـرَفْـعِ الـقـولِ والـخـفـضِ

ومـنـهـم كـانـت الـسَّـادا ... تُ والـمُـوفُـونَ بـالـقَـرْضِ

---

(١) الأغرل: الذي لم يختن.

(٢) كانوا حية الأرض: أي كانوا منيعي الجانب.

ومنهم حَكَمٌ يقضي فلا يُنقَضُ ما يَقْضِي
ومنهم مَنْ يُجِيزُ النا سَ بالسُّنَّة والفَرضِ
ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي فلا يُنقَضُ ما يَقْضِي

غنّى في هذه الأبيات مالكٌ ثقيلاً أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمر.

وأما قولُ ذي الإصبع:

ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي

فإنه يعني عامرَ بن الظَّرِب العَدْوَانِيّ، كان حكماً للعرب تَحْتَكِم إليه.

حدّثنا محمدُ بن العَبّاس اليَزِيدِيّ عن محمد بن حَبِيبَ قال: قيسٌ تَدَّعِي هذه الحكومةَ وتقول: إنّ عامرَ بن الظَّرِب العَدْوانِيّ هو الحَكَم وهو الذي كانت العصا تُقرَعُ له، وكان قد كَبِرَ فقال له الثاني من ولده: إنك ربّما أخطأتَ في الحكم فيُحمَلُ عنك؛ قال: فاجعلوا لي أمارةً أعرِفُها فإذا زُغتُ فسمعتُها رجعتُ إلى الحكم والصواب، فكان يجلس قُدّامَ بيته ويقعدُ ابنُه في البيت ومعه العصا، فإذا زاغ أو هفا قَرَع له الجَفْنة فرجع إلى الصواب. وفي ذلك يقولُ المتلمِّسُ: [الطويل]

لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ ما تُقرَعُ العَصَا وَمَا عُلِّمَ الإنسان إلا لِيَعْلَمَا

قال ابنُ حَبِيبَ: وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام، واليَمنُ تدّعيه لربيعةَ بن مُخَاشِنٍ، وهو ذو الأعواد، وهو أوّلُ من جلس على منبر أو سرير وتكلّم؛ وفيه يقول الأَسْوَدُ بن يَعْفُر: [الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوَ انَّ عِلْمِي نافِعِي أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الأَعْوَادِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ أبو دُلَف قال: أخبرنا الرِّيَاشِيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ارتحلتْ عَدْوَانُ من منزلٍ، فعُدَّ فيهم أربعونَ ألفَ غلام أَقْلَف. قال الرياشيّ: وأخبرني رجل عن هِشَام بن الكَلْبِيّ قال: وقع على إيَادٍ البَقُّ[1] فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بَقَّتَانِ.

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال: حدّثني يعقوبُ بن نُعَيم قال: حدّثنا

(١) البق: نوع من الحشرات من فصيلة البعوضيات.

أحمدُ بن عُبَيدٍ أبو عَصِيدَة قال: أخبرني محمد بن زِيَاد الزِّيَادِيّ، وأخبرني به أحمد ابن عبد العزيز الجَوْهرِيّ قال: حدّثني عمرُ بن شبة ولم يُسنِدْه إلى أحد وروايتُه أتمّ: أنّ عبدَ الملك بنَ مَرْوانَ لما قَدِمَ الكوفةَ بعد قتله مُصعَبَ بنَ الزبير جلس لعرض أحياء العرب ـ وقال عمرُ بن شبة: إنّ مصعبَ بن الزبير كان صاحبَ هذه القصّة ـ فقام إليه مَعْبدُ بن خالد الجَدَلِيّ، وكان قصيراً دميماً، فتقدمه إليه رجل منا حسنُ الهيئة؛ قال معبدٌ: فنظر عبدُ الملك إلى الرجل وقال: ممن أنتَ؟ فسكتَ ولم يقل شيئاً وكان منّا، فقلتُ من خلفه: نحن يا أميرَ المؤمنين من جَدِيلَة؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: مِنْ أيّكم ذو الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري، قلت: كان عَدْوَانِيّاً؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال: لم سُمِّيَ ذا الإصبع؟ قال الرجل: لا أدرِي؛ فقلت: نهشتْه حيةٌ في إصبعه فيبِسَتْ، فأقبل على الرجل وتركني، فقال: وَبِمَ كان يسمَّى قبل ذلك؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يسمَّى حُرْثَانَ؛ فأقبل على الرجل وتركني فقال: مِنْ أيّ عَدْوَان كان؟ فقلت منْ خَلْفه: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر: [الطويل]

وأمـا بَـنُـو نـاجٍ فـلا تَـذْكُـرَنَّـهُـمْ ... ولا تُـتبِعَنْ عَيْنَيْكَ ما كان هالـكا

إذا قُـلْـتُ مَعْـروفـاً لأصلِـحَ بينـهـم ... يـقـولُ وُهَـيْـبٌ لا أُسَـالِـمُ ذلـكـا

وروى عمرُ بن شبة: لا أسَلِّم.

فأضْحَى كظَهْرِ الفَحْلِ جُبَّ سَنامُهُ ... يَـدِبُّ إلـى الأعْـداءِ أحْـدَبَ بـارِكَـا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشِدني قولَه:

عَـذِيـرَ الـحَـيِّ مـن عَـدْوانَ

قال الرجل: لستُ أَرْوِيها؛ قلت: يا أمير المؤمنين إن شئتَ أنشدتُك؛ قال: ادْنُ منّي، فإني أَراكَ بقومك عالماً، فأنشدتُه: [الهزج]

وَلَـيْـسَ الـمَـرْءُ فِـي شَـيْءٍ ... مـن الإبـرام والـنَّـقْـضِ

إذا أَبْـرَمَ أمـراً خـا ... لَـهُ يَـقْـضِـي ومـا يَـقْـضِـي

يـقـولُ الـيَـوْمَ أَمْـضِـيـه ... ولا يَـمْـلِـكُ مـا يُـمْـضِـي

عَـذِيـرَ الـحـيّ مـن عَـدْوا ... نَ كـانـوا حَـيَّـةَ الأرضِ

بَـغَـى بَـعْـضُـهُـمُ بـعـضـاً ... فـلـم يُـبْـقُـوا عـلـى بَـعْـضِ

فـقـد صـاروا أحـاديـثَ ... بِـرَفْـعِ الـقَـوْلِ والـخَـفْـضِ

ومـنـهـم كـانـت السّـادا ت وَالـمُـوفُـونَ بِـالـقَـرْضِ
ومـنـهـم حَـكَـمٌ يـقـضـي فـلاُ يـنـقـضُ مـاَ يـقْـضِـي
ومـنـهـم مـن يُـجِـيـزُ الـنـا سَ بـالـسُّـنَّـة والـفَـرْضِ
وهـم مَـنْ وَلَـدُوا أَشْـبَـوْا بِـسِـرِّ الـحَـسَـبِ الـمَـحْـضِ(١)
وَمِـمَّـنْ ولـدوا عـامِـ ـرُ ذُو الـطُّـول وَذُو الـعَـرْضِ
وَهُـمْ بَـوَّوْا ثَـقِـيـفـاً دا ر لا ذُلِّ ولا خَـفْـضِ(٢)

فأقبل على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فأقبل عليّ فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه وقال: اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا، فانصرفتُ بها.

وقوله: «ومنهم من يُجيزُ الناس» فإنّ إجازةَ الحج كانت لخُزَاعَة فأخذتْها منهم عَدْوانُ، فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سَيّارة أحدُ بني وابِش بن زيد بن عَدْوَانَ، وله يقول الراجز:

خَـلُّوا الـسَّـبِـيـلَ عَـنْ أَبِـي سَـيَّـارَهْ وعـن مَـوَالِـيـهِ بَـنِـي فَـزَارَهْ
حَـتّـى يُـجِـيـزَ سـالـمـاً حِـمَـارَهْ مُـسْـتَـقْـبِـلَ الـكَـعْـبَـةِ يَـدْعُـو جـارَهْ

قال: وكان أبو سيارة يُجيز الناس في الحج بأن يتقدّمَهُمْ على حمارٍ، ثم يَخطُبَهم فيقول: اللّهمَّ أصلحْ بين نسائنا، وعاد بين رِعائِنا، واجعل المالَ في سُمَحائنا(٣)، أوْفُوا بعهدكم، وأكرِمُوا جارَكم، واقرُوا ضيفَكم، ثم يقول: أَشْرِقْ ثَبِير كيما نُغير، وكانت هذه إجازتَه، ثم يَنْفِرُ ويتبعُه الناس. ذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ والكلبيّ وغيرُهما.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمرُ بن شبة قال: حدّثنا أبو بكر العُلَيْمِيّ قال: حدّثنا محمد بن داود الهِشَامِيّ قال: كان لذي الإِصبع أربعُ بنات، وكنّ يُخْطَبْنَ إليه فيَعرِضُ ذلك عليهنّ فيستَحِينَ ولا يزوّجهنّ، وكانت أُمُّهنّ تقول: لو زوّجتَهنّ! فلا يَفعلُ، قال: فخرج ليلةً إلى مُتَحَدَّثٍ لهنّ فاستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمْنَ فقلن: تعالَيْنَ نتمنّى ولْنَصدُقْ، فقالت الكبرى: **[الطويل]**

أَلا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أُناسٍ ذَوِي غِنًى حَدِيثُ الشَّبابِ طَيِّبُ الرِّيحِ والعِطْرِ

---

(١) أشبى فلان: ولد له ولد كيّس. والحسب المحض: الصافي، الخالص.

(٢) بَوَّوا: في الأصل بوأوا أي أنزلوا، وقد حذف الهمزة للتخفيف.

(٣) السمحاء: جمع السمح، وهو الرجل الكريم.

طَبِيبٌ بِأدْوَاءِ النِّساءِ كأنَّهُ خليفةُ جانٍ لا ينامُ على وِتْرِ

فقلن لها: أنتِ تُحِبِّين رجلاً ليس من قومك. فقالت الثانيةُ: [الطويل]

ألا هَلْ أراها لَيْلَةً وَضَجِيعُها أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّيْفِ غَيرُ مُبَلَّدِ
لَصُوقٌ بأكْبادِ النِّساءِ وَأَصْلُهُ إذا ما انْتَمَى مِنْ سِرِّ أَهْلِي وَمَحْتِدي[1]

فقلن لها: أنتِ تُحِبِّين رجلاً من قومك. فقالت الثالثةُ: [الطويل]

ألاَ لَيْتَهُ يَمْلاَ الجِفان لِضَيْفِهِ لَهُ جَفْنَةٌ يُسْقَى بها النِّيبُ وَالجُزْرُ[2]
لَهُ حَكَماتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَبْرَةٍ تَشِينُ ولا الفانِي ولا الضَّرِعُ الغَمْر[3]

فقلن لها: أنت تُحِبِّين رجلاً شريفاً. وقلن للصُّغرى: تمنَّيْ؛ فقالت: ما أريد شيئاً؛ قلن: والله لا تَبْرحينَ حتّى نعلَم ما في نفسك؛ قالت: زوج من عُود خيرٌ من قُعود. فلمّا سمِع ذلك أبوهنّ زوّجهنَّ أربعتَهنّ. فمكَثْنَ بُرهةً ثم اجتمعن إليه؛ فقال للكبرى: يا بُنيّة، ما مالُكم؟ قالت: الإبل؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، نأكل لحومها مُزَعاً[4]، ونشرَب ألبانها جُرَعاً، وتحملُنا وضعيفَنا معاً؛ قال: فكيف تَجدين زوجك؟ قالت: خيرُ زوج يُكرم الحَلِيلة، ويُعطي الوَسيلة؛ قال: مالٌ عميم وزوجٌ كريم. ثم قال للثانية: يا بُنَيَّة ما مالُكم؟ قالت: البقر؛ قال: فكيف تَجدونها؛ قالت: خير مال، تألف الفِناء، وتُوَدِّك[5] السِّقاء، وتملأ الإناء، ونِساءٌ في نساء؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله ويَنْسى فضلَه؛ قال: حَظِيتِ ورضيتِ. ثم قال للثالثة: ما مالُكم؟ قالت: المِعْزَى؛ قال: فكيف تَجدونها؟ قالت: لا بأسَ بها نُولِدها فُطُماً[6]، ونسلَخها أَدَماً؛ قال: فكيف تجدين زوجَك؟ قالت: لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر[7] ولا بالسَّمْح البَذِر، قال:

---

(١) المحتد: الأصل.
(٢) النيب: جمع ناب، وهي الناقة المسنّة. والجُزر: جمع جزور وهي الناقة المجزورة أي الصالحة للذبح.
(٣) الحكمات: التجارب. وهي في الأصل الحديدة التي في اللجام تمنع الفرس من مخالفة راكبه. وتشين: تعيب. والضَّرِع: الضعيف. والغَمْرُ: الذي لم يجرّب الأمور.
(٤) مزعاً: جمع مزعة، وهي القطعة من اللحم.
(٥) تودّك: تكثر فيه الدسم.
(٦) الفطم: جمع فطيم، وهو الذي يفصل عن الرضاع.
(٧) الحكر: المستبد بالشيء.

جَدْوَى[١] مُغْنِية. ثم قال للرابعة: يا بنية، ما مالُكم؟ قالت: الضَّأن؛ قال: وكيف تجدونها؟ قالت: شرّ مال، جُوفٌ[٢] لا يَشْبَعن، وهِيمٌ[٣] لا يَنْقَعْن[٤]، وصُمّ لا يَسْمَعن، وأَمْرَ[٥] مُغْوِيَتهنّ[٦] يَتْبَعن؛ قال: فكيف تجدين زوجَك؟ قالت: شرّ زوج، يُكْرِم نفسَه ويُهِين عِرْسه؛ قال: «أَشْبَهَ امرأً بَعْضُ بَزِّه».

وذكر الحسن بن عُلَيل العَنزي في خبر عَدْوانَ الذي رواه عن أبي عمرو بن العَلاَء أنه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبَع الضَّادِيّة إلاّ الأبياتُ التي أنشدها وأنّ سائرها مَنحولٌ.

أخبرني عمّي قال: حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل قال: حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه قال: عُمِّر ذُو الإصبَع العَدْوَانِي عمراً طويلاً حتى خرِفَ وأُهتر[٧] وكان يفرِّق مالَه، فعذَله أصهارهُ ولامُوه وأخذوا على يده[٨]؛ فقال في ذلك: [المنسرح]

أَهْلَكَنا اللَّيلُ وَالنَّهار مَعا ... والدّهر يَغْدُو مُصَمِّماً جَذَعا[٩]

فَلَيْسَ فيما أصابَنِي عَجَبٌ ... إن كُنْتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا

وَكُنْتُ إذ رَوْنَقُ الشَّباب بِهِ ... مَاءُ شَبَابِي تَخالُهُ شَرَعَا

وَالحَيُّ فيه الفَتاةُ تَرْمُقُنِي ... حَتَّى مَضَى شَأْوُ ذَاكَ فَانْقَشَعَا[١٠]

صوت

إنّكما صاحِبَيَّ لَمْ تَدَعا ... لَوْمِي وَمَهْما أَضِقْ فَلَنْ تَسَعا

---

(١) الجدوى: الفائدة.
(٢) الجوف: العظام الأجواف.
(٣) الهيم: العطاش، جمع أهيم وهيماء.
(٤) لا ينقعن: لا يروين.
(٥) أمْرَ: مفعول به مقدم للفعل «يتبعن».
(٦) مغويتهن: مغريتهن.
(٧) أُهْتِر: خرف.
(٨) أخذ على يده: حجر عليه.
(٩) الجذع: الشاب الحدث.
(١٠) انقشع: انجلى.

لَـمْ تَـعـقِـلا جَـفْـوَةً عَـلَـيَّ وَلَـم   أَشْـتُـمْ صَـدِيقـاً ولـم أَنَـلْ طَـبَـعَـا[١]
إلاّ بـأن تَـكْـذِبـا عَـلَـيَّ ومـا   أمْـلِـكُ أَنْ تَـكْـذِبـا وَأَنْ تَـلِـعَـا[٢]

لابن سُرَيج في هذه الأبيات لَحْنان: أحدهما ثاني ثقيلٍ بالسَّبَّابة والبِنْصر عن يحيى المكيّ، والآخرُ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامي.

وَإِنَّـنِـي سَـوْفَ أَبْـتَـدِي بِـنَـدًى   يـا صـاحِـبَـيَّ الـغَـدَاةَ فَـاسْـتَـمِـعَـا
ثُـمّ سَـلاَ جَـارَتِـي وَكِـنَّـتَـهَـا   هَـلْ كُـنْـتُ فِـيـمَـنْ أَرَابَ أو خَـدَعَـا[٣]
أَوْ دَعَـتـانِـي فَـلَـمْ أُجِـبْ، ولـقـد   تـأمَـنُ مِـنّـي حَـلِـيـلَـتِـي الـفَـجَـعَـا
آبَـى فـلا أقْـرَب الـخِـبَـاءَ إذا   مـا ربُّـهُ بَـعْـدَ هَـدْأَةٍ هَـجَـعَـا
ولا أَرُومُ الـفَـتَـاةَ زَوْرَتَـهَـا   إِن نـامَ عـنـهـا الـحَـلِـيـلُ أَوْ شَـسَـعَـا[٤]
وذاكَ فـي حِـقْـبَـةٍ خَـلَـتْ وَمَـضَـتْ   وَالـدَّهْـرُ يـأتِـي عَـلَـى الـفَـتَـى لُـمَـعَـا
إن تَـزْعُـمـا أَنَّـنِـي كَـبِـرْتُ فَـلَـمْ   أُلْـفَ ثَـقِـيـلاً نِـكْـسـاً ولا وَرَعَـا[٥]
إمّـا تَـرَيْ شِـكّـتِـي رُمَـيْـحَ أبـي   سَـعْـدٍ فَـقَـدْ أحْـمِـلُ الـسِّـلاحَ مـعَـا[٦]

أبو سعد: ابنُه، ورُمَيحٌ: عصاً كانت لابنه يلعَبُ بها مع الصِّبْيان يُطَاعِنُهم بها كالرُّمح، فصار يَتوكّأ هو عليها ويَقُوده ابنه هذا بها.

الـسّـيـفُ وَالـرّمْـحُ والـكِـنـانَـةُ قـد   أَكْـمَـلْـتُ فـيـهـا مَـعَـابِـلاً صُـنُـعَـا[٧]
وَالـمُـهْـرُ صَـافِـي الأَدِيـمِ أَصْـنَـعُـهُ   يَـطِـيـرُ عَـنْـهُ عِـفَـاؤه قَـزَعَـا[٨]
أُقْـصِـرُ مِـنْ قَـيْـدِهِ وَأَزْدَعُـهُ   حَـتَّـى إذا الـسِّـرْبُ رِيـعَ أو فَـزِعَـا

(١) الطَّبَع: الشين، العيب.
(٢) تلعا: تكذبا، من الولع وهو الكذب، يقال: ولع يلع ولعاً وولعاناً أي كذب.
(٣) أراب: كان منه شيء مريب.
(٤) شسع: بعد.
(٥) النكس: الضعيف، والمقصر عن النجدة. والورع: الجبان.
(٦) الشكّة: السلاح.
(٧) الكنانة: جعبة السلاح. والمعابل: جمع معبلة، وهي نصل طويل وعريض.
والصُّنُع: جمع صنيع، وهو المجرّب المجلوّ.
(٨) أصنع المهر: أحسن القيام عليه وترويضه. والعفاء: الشعر الطويل. والقزع: القطع المتفرقة.

كـانَ أَمَـامَ الـجِـيَـادِ يَـقْـدُمُـهـا يَـهُـزُّ لَـدْنـاً وَجُـؤجُـؤاً تَـلِـعَـا[١]
فَـغَـامَـسَ الـمَـوْتَ أو حَـمَى ظُـعُـنـاً أَوْ رَدَّ نَـهْـبـاً لأيِّ ذاك سَـعَـى[٢]

[وصيته لابنه عند احتضاره]

قال أبو عمرو: ولمّا احتُضِر ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً فقال له: يا بُنيّ، إن أباك قد فني وهو حيّ وعاش حتّى سَئم العيشَ، وإنّي مُوصِيك بما إن حفِظتَه بلغتَ في قومك ما بلَغتُه، فاحفَظ عنّي: ألِن جَانِبَك لقومك يحبّوك، وتواضَعْ لَهم يرفعوك، وابسُط لهم وَجْهَك يُطيعوك، ولا تَستأثر عليهم بشيء يُسَوِّدُوك؛ وأكرِم صِغارهم كما تُكرم كبارَهم يكرمْك كبارُهم ويكبَرْ على مودّتك صغارُهم، واسمَح بمالك، واحْمِ حَرِيمَك، وأعززْ جارَك، وأعن مَنِ استعان بك، وأكرم ضيفَك، وأسرع النَّهضةَ في الصَّريخ[٣]، فإن أجلاً لا يَعْدُوك، وصُنْ وجهَك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سُؤدَدُك؛ ثم أنشأ يقول: [مجزوء الكامل]

أَأُسَـيْـدُ إنْ مـالاً مَـلَـكْـ ـتَ فَـسِـرْ بـه سَـيْـراً جَـمِـيـلا
آخِ الـكِـرَامَ إن اسْـتَـطَـعْـ ـتَ إلـى إخـائـهـمُ سـبـيـلا
وَاشْـرَبْ بـكـأسِـهِـمُ وإنْ شَـرِبـوا بـه الـسُّـمّ الـثَّـمِـيـلا[٤]
أَهِـنِ الـلِّـئـام ولا تـكـنْ لإخـائـهـم جَـمَـلاً ذَلُـولا
إنَّ الـكـرام إذا تُـوا خِـيـهـمْ وجـدتَ لـهـم فُـضـولا
وَدَعِ الـذي يَـعِـدُ الـعَـشـيـ ـرةَ أن يـسـيـلَ ولـن يَـسـيـلا
أَبُـنَـيَّ إن الـمـالَ لا يَـبْـكِـي إذا فـقَـد الـبـخـيـلا

صوت

أَأُسَـيْـدُ إن أزمـعـتَ مـن بـلـدٍ إلـى بـلـدٍ رَحـيـلا
فـاحـفـظْ وإن شَـحـط الـمَـزا رُ أخـا أخـيـك أو الـزَّمـيـلا[٥]
واركَـب بـنـفـسـك إن هَـمَـمْـ ـتَ بـهـا الـحـزونـةَ والـسُّـهـولا

---

(١) اللَّدْن: اللَّيِّن. والجؤجؤ: الصدر: والتَّلِع: المنبسط.
(٢) غامس الموت: ورده وانغمس فيه.
(٣) الصريخ: الاستغاثة.
(٤) السمّ الثميل: السمّ الناقع.
(٥) الزميل: رفيق السفر.

وَصِلِ الكرام وكُن لمن ... تَرجو مَوَدَّتَهُ وَصولا

الغناء للهُذَلِي خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو.

وَدَعِ التَّوانِيَ في الأمو ... ر وكن لها سَلِساً ذَلُولا
وابْسُطْ يمينَكَ بالنَّدَى ... وامْدُدْ لها باعاً طويلا
وابسُطْ يَدَيكَ بما مَلَكْـ ... ـتَ وَشَيِّدِ الحَسَبَ الأثيلا[١]
واعْزِمْ إذا حاولتَ أمـ ... ـراً يَفرُجُ الهمَّ الدَّخِيلا
وابذُلْ لِضَيفكَ ذاتَ رَحْـ ... ـلِكَ مُكرِماً حتّى يَزُولا[٢]
واحلُلْ على الأيْفاعِ للـ ... ـعافِينَ واجْتَنِبِ المَسِيلا[٣]
وإذا القُرُومُ تخاطَرَتْ ... يوماً وأرعَدَتِ الخَصِيلا[٤]
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّـ ... ـبَ مِن فَريستهِ التَّلِيلا[٥]
وأنزِلْ إلى الهيجا إذا ... أبطالُها كَرِهوا النزولا
وإذا دُعِيتَ إلى المُهِـ ... ـمِّ فَكُنْ لِفَادِحِهِ حَمُولا

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمَريُّ عن العُتْبِيّ قال: جرى بين عبد الله بن الزُّبَير وعُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيان لِحَاءٌ[٦] بين يدي معاوية، فجعل ابن الزبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتبَةَ ويُعَرِّضُ بمعاويةَ، حتى أطال وأكثر من ذلك، فالتفتَ إليه معاويةُ متمثّلاً وقال: [الطويل]

ورامٍ بعُورانِ الكلام كأنها ... نوافِرُ صُبْحٍ نَفَّرَتْها المراتِعُ[٧]
وقد يَدْحَضُ المرءُ المُوارِبُ بالخَنَا ... وقد تُدرِكُ المَرْءَ الكريمَ المَصَانِعُ[٨]

ثم قال لابن الزُّبَير: مَنْ يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أتَرْوِيهِ؟ قال لا؛ فقال: مَنْ هَا هنا يَروِي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرْوِيها يا

---

(١) الحسب الأثيل: الحسب الأصيل.
(٢) ذات رحلك: مسكنك ومنزلك. ويزول: يمضي.
(٣) الأيفاع: الأمكنة المرتفعة.
(٤) القروم: جمع قرم، وهو السيد المعظم. والخصيل: جمع خصيلة، وهي كل قطعة لحم فيها عصب.
(٥) يهصر: يعصر بشدة. والليث: الأسد. والتليل: العنق.
(٦) اللحاء والملاحاة: الخصام والنزاع.
(٧) عوران الكلام: قبيح الكلام.
(٨) يدحض: يزلق. والخنا: الفحش في الكلام.

أمير المؤمنين؛ فقال: أنشِدني؛ فأنشدَه حتى أتى على قوله: [الطويل]

وساعٍ برجليه لآخرَ قاعدٍ ومُعْطٍ كريمٌ ذو يَسَارٍ ومانِعُ
وَبانٍ لأحسابِ الكرامِ وهَادِمٌ وَخافِضُ مولاهُ سَفَاهاً وَرَافِعُ
وَمُغْضٍ على بَعْضِ الخُطُوبِ وقد بَدت له عَوْرَةٌ مِنْ ذي القَرَابَةِ ضَاجِعُ
وطَالِبُ حُوبٍ باللِّسانِ وَقَلْبُهُ سِوَى الحَقِّ لا تَخْفَى عَلَيْهِ الشَّرائِعُ[1]

فقال له معاوية: كم عطاؤك؟ قال: سبعُمائة؛ قال: اجعلوها ألفاً، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتْبة.

قال أبو عَمْرو: وكان لذي الإصبع ابنُ عمّ يُعادِيه فكان يتدسَّسُ إلى مكارِهِه ويَمْشِي به إلى أعدائه ويُؤلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بني عمّه ويَبْغِيه عندهم شرّاً؛ فقال فيه ـ وقد أنشدَنا الأخفشُ هذه الأبيات أيضاً عن ثَعْلب والأَحْول السُّكَّريّ ـ:

[مجزوء الكامل]

يا صاحِبَيَّ قِفَا قَلِيلا وَتَخَبَّرَا عَنِّي لَمِيسَا
عَمَّنْ أصابَتْ قَلْبَهُ فِي مَرِّها فَغَدَا نَكِيسَا[2]
وَلِيَ ابْنُ عَمٍّ لا يزا لُ إلَيَّ مُنْكَرُهُ دَسِيسَا
دَبَّتْ له فأَحَسَّ بَعْـ ـدَ البُرْءِ مِنْ سَقَمٍ رَسِيسَا[3]
إمّا عَلانِيَةً وإمّـ ـا مُخْمَراً أكْلاً وَهِيسَا[4]
إنِّي رَأَيْتُ بَنِي أبِيـ ـكَ يُحَمِّجُون إليّ شُوسَا[5]
حَنَقاً عَلَيَّ وَلَنْ تَرَى لِيَ فِيهِمُ أثَراً بَئِيسَا[6]
أنْحَوْا عَلَى حُرِّ الوُجُو هِ بِحَدِّ مِئْشارٍ ضَرُوسَا[7]
لَوْ كُنْتَ مَاءً لم تَكُنْ عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا[8]

---

(١) الحوب: الإثم.
(٢) نكيساً: مريضاً، متنكساً.
(٣) رسيس الحمى: بدايتها.
(٤) مخمراً: مستتراً. والأكل الوهيس: الشديد.
(٥) يحمجون: يحملقون. والشُّوس: الذين ينظرون بغضب وغيظ.
(٦) البئيس: الشديد، الكريه.
(٧) المئشار: المنشار. والضروس: الطاحن.
(٨) الماء المسوس: الماء الذي بين العذب والملح.

مِـلْـحـاً بَـعِـيـدَ الـقَـعْـرِ قـد فَـلَّـتْ حِـجَـارتُـهُ الـفُـؤوسَـا
مَـنَّـاعُ مـا مَـلَـكَـتْ يـدا كَ وَسَـائِـلٌ لَـهُـمُ نُـحُـوسَـا

وأنشدَنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات ـ وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه يشبه معناه ـ: [الرجز]

لَـوْ كُـنْـتَ مـاءً كُـنْـتَ غـيـرَ عَـذْبِ أو كُنْتَ سَيْفاً كُنْتَ غير عَضْبِ[١]
أَوْ كُـنْـتَ طِـرْفـاً كُـنْـتَ غـيـرَ نَـدْبِ أَوْ كُنْتَ لَحْماً كُنْتَ لَحْمَ كَلْبِ[٢]

قال: وفي مثله أنشدنا: [الرجز]

لـو كُـنْـتَ مُـخّـاً كُـنْـتَ مُـخّـاً رِيـرَا أو كُـنْـتَ بَـرْداً كُـنْـتَ زَمْـهَـرِيـرا[٣]
أو كـنـت رِيـحـاً كـانـتِ الـدَّبـورَا[٤]

[سبب تفرق عدوان وتقاتلهم]

قال أبو عمرو: وكان السبب في تفرّق عَدْوَان وقتالِ بعضِهم بعضاً حتى تفَانَوْا، أن بني ناج بن يَشْكُر بن عَدْوانَ أغاروا على بني عَوْف بن سعد بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عَدْوان، ونَذِرتْ[٥] بهم بنُو عوف فاقتتلوا، فقتل بنو ناج ثمانيةَ نفرٍ، فيهم عُمَيرُ بن مالك سيِّدُ بني عوف، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سِنانُ بنُ جابر، وتفرّقوا على حرب. وكان الذي أصابوه من بني واثِلة بن عمرو ابن عباد وكان سيّداً، فاصطلح سائرُ الناس على الديات أن يتعاطَوْها ورَضُوا بذلك، وأبى مَريرُ بنُ جابر أن يقبلَ بسنان بن جابر ديةً، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومَنْ والاهم، وتَبِعه على ذلك كَرِبُ بن خالد أحد بني عَبْس بن ناج، فمشى إليهما ذو الإِصبع وسألهما قبولَ الدية وقال: قد قُتِلَ منَّا ثمانيةُ نفر فقبِلْنا الديّة وقُتِل منكم رجل فاقبلوا ديتَه؛ فأبَيا ذلك وأقاما على الحرب، فكان ذلك مبدأ

(١) العضب: القاطع.
(٢) الطِّرْف: الكريم من الخيل. والمهر الندب: النشيط.
(٣) ريراً: فاسداً.
(٤) الدبور: ريح تهب من الغرب.
(٥) نذرت بهم: علمت فحذرت.

حرب بعضهم بعضاً حتى تفانَوْا وتَقَطَّعُوا، فقال ذو الإصبع في ذلك: [الطويل]

ويا بُؤسَ للأيّام والدَّهْرِ هالِكا ... وَصَرْفِ اللَّيالِي يَخْتَلِفْنَ كَذَلِكا
أبَعدَ بني نَاجٍ وسَعْيِكَ فيهِمُ ... فلا تُتبِعَنْ عينيْكَ ما كان هالِكا
إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم ... يقولُ مَرِيرٌ لا أُحاوِلُ ذَلِكا
فأضحْوا كظهر العَوْدِ جُبَّ سَنامُهُ ... تَحُوم عليه الطَّيْرُ أحْدَبَ بارِكا
فَإن تك عَدْوَانُ بن عمرو تفرّقت ... فقد غَنِيَتْ دَهراً مُلُوكاً هُنَالِكا

وقال أبو عمرو: وفي مَرِير بن جابر يقول ذو الإصبع - وهذه القصيدة هي التي منها الغِناء المذكور - وأوّلها: [البسيط]

يا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدِ الهَمِّ مَحْزُونِ ... أمْسَى تَذَكَّرَ رَيَّا أُمِّ هَارُونِ
أَمْسَى تَذكَّرَهَا مِنْ بَعْدِ ما شَحَطَتْ ... وَالدَّهْرُ ذو غِلَظٍ حِيناً وذو لِين
فَإنْ يَكُنْ حُبُّها أمْسَى لَنَا شَجَناً ... وَأَصْبَحَ الوَلْيُ منها لا يُوَاتِينِي[(١)]
فَقَدْ غَنِينا وَشَمْلُ الدّار يَجْمَعُنَا ... أُطِيعُ رَيّا وَرَيّا لا تُعَاصِينِي[(٢)]
نَرْمِي الوُشَاةَ فلا نُخْطِي مَقَاتِلَهُمْ ... بخالِصٍ من صَفَاءِ الوُدِّ مَكْنُونِ
ولِي ابْنُ عَمٍّ على ما كان مِنْ خُلُقٍ ... مُخْتَلِفَانِ فأَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي[(٣)]
أزرَى بنا أنَّنا شالَتْ نَعامَتُنَا ... فخالَنِي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي[(٤)]
لاَهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ ... شَيْئاً ولا أنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي[(٥)]
ولا تَقُوتُ عِيَالِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ ... ولا بِنَفْسِكَ فِي العَزَّاءِ تَكْفِينِي[(٦)]
فَإن تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيا بِمَنْقَصَتِي ... فَإنَّ ذَلِكَ مِمّا لَيْسَ يُشجِينِي
ولا تَرَى فِيَّ غَيْرَ الصَّبْرِ مَنْقَصَةً ... وما سِوَاه فإنَّ الله يَكْفِينِي
لَوْلا أوَاصِرُ قُرْبَى لَسْتَ تَحْفَظُهَا ... وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِي مَوْلىً يُعَادِينِي
إذاً بَرَيتُكَ بَرْياً لا انجِبَارَ لَهُ ... إنِّي رأيتُكَ لا تَنْفَكُّ تَبرِينِي
إنَّ الَّذِي يَقبِضُ الدُّنيا وَيَبْسُطها ... إن كان أغناكَ عَنّي سوفَ يُغْنِينِي
اللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُنِي ... وَاللَّهُ يَجْزِيكُمُ عَنّي وَيَجْزِينِي

(١) الولي: القرب.
(٢) غنينا: أقمنا.
(٣) أقليه: أبغضه.
(٤) شالت نعامتنا: في الأصل: شالت النعامة: تهيأت للنكاح، وهنا بدأت الحرب بيننا أو كادت.
(٥) لاه ابن عمك: لله ابن عمك. والديّان: القاضي. وتخزوني: تقهرني.
(٦) المسغبة: المجاعة. والعزّاء: الشدة.

مـاذَا عَـلَـيَّ وَإن كُـنْـتُـمْ ذوِي رَحِـمـي ... ألاَّ أُحِـبَّـكُـمُ إن لـم تُـحِـبُّـونِـي
لـو تَـشـرَبُـونَ دَمِـي لـم يَـرْوَ شَـارِبُـكـم ... ولا دِمـاؤُكُـم جَـمْـعـاً تُـرَوِّيـنـي
ولـي ابنُ عـمٍّ لَـوَ انّ النّـاسَ فـي كَـبِدي ... لَـظَـلَّ مُـحْـتَـجِزاً بـالـنَّـبْـل يَـرْمِـيـنِـي
يا عـمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتِي ... أَضْرِبْكَ حتى تَقُولَ الهامةُ اسْقُونِي
كـلّ امـرِىءٍ صـائـرٌ يـومـاً لِـشِـيـمَـتِـه ... وَإن تَـخَـلَّـقَ أخـلاقـاً إلـى حِـيـنِ
إنّـي لَـعَـمْـرُكَ مـا بَـابـي بِـذِي غَـلَـقٍ ... عـن الـصَّـدِيـق ولا خَـيْـري بِـمَـمْـنُـونِ
ولا لِـسَـانِـي عـلـى الأَدْنَـى بِـمُـنْـطَـلِـقٍ ... بـالـمُـنْـكِـرَات ولا فَـتْـكِـي بـمـأمُـونِ
لا يُـخْـرِجُ الـقَـسْـرُ مِـنّـي غَـيْـرَ مَـغْـضَـبَـةٍ ... وَلاَ أَلِـيـنُ لِـمَـنْ لا يَـبْـتَـغِـي لِـيـنِـي
وأنـتُـمُ مَـعْـشَـرٌ زَيْـدٌ عـلـى مـائـةٍ ... فَـأَجْـمِـعُـوا أَمْـرَكُـمْ شَـتَّـى فَـكِـيـدُونـي
فإن عَلِمْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَانْطَلِقُوا ... وَإن غَبِيتُم طَرِيقَ الرُّشْدِ فَأْتُونِي[(١)]
يـا رُبَّ ثَـوْبٍ حَـوَاشِـيـهِ كـأَوْسَـطِـهِ ... لا عَيْبَ في الثَّوْبِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ لِينِ
يَـوْمـاً شَـدَدْتُ عـلـى فَـرْغَـاء فـاهـقـةٍ ... يـومـاً من الـدَّهْـرِ تـاراتٍ تُـمَـارِيـنِـي[(٢)]
مـاذا عَـلَـيَّ إذا تـدعـونَـنِـي فَـزَعـاً ... ألاَّ أُجِـيـبَـكُـمُ إذ لا تُـجِـيـبُـونِـي
وَكُـنْـتُ أُعـطِـيـكُـم مـالِـي وأَمْـنَـحُـكُـمْ ... وُدِّي على مُثْبَتٍ في الصَّدْرِ مَكْنُونِ
يـا رُبَّ حَـيٍّ شَـدِيـدِ الـشَّـغْـبِ ذِي لَـجَـبٍ ... ذَعـرْتُ مـن راهِـنٍ مـنـهـم ومَـرْهُـونِ[(٣)]
رَدَدتُ بـاطِـلَـهُـم فـي رأسِ قـائِـلِـهِـمْ ... حَـتَّـى يَـظَـلُّـوا خُـصـومـاً ذا أفـانِـيـنِ[(٤)]
يا عَـمْـرُو لـو كُـنْـتَ لـي أَلْـفَـيْـتَـنِـي يَـسَـراً ... سَمْحاً كَرِيماً أُجَازِي مَنْ يُجَازِينِي[(٥)]

[رثاؤه لقومه ورثاء ابنته لقومه]

قال أبو عمرو: وقال ذو الإصبع يَرثِي قومَه: [الهزج]

وَلَـيْـسَ الـمَـرْءُ فِـي شَـيْءٍ ... مِـنَ الإبْـرام وَالـنَّـقْـضِ
إذا يَـفْـعَـلُ شَـيْـئـاً خـا ... لَـهُ يَـقْـضِـي ومـا يَـقْـضِـي
جَـدِيـدُ الـعَـيْـشِ مَـلْـبُـوسٌ ... وقـد يُـوشِـكُ أن يُـنْـضَـى[(٦)]

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّماً في صدر هذه الأخبار، وتمامها:

(١) غبيتم: جهلتم.
(٢) الفرغاء: الواسعة. والفاهقة: الواسعة.
(٣) اللَّجب: الضجيج وارتفاع الأصوات.
(٤) الأفانين: الأساليب، الطرائق.
(٥) يسراً: مطواعاً.
(٦) ينضى: يبلى، وفي البيت إقواء.

وَأَمْرَ اليَوْمِ أَصْلِحْهُ ... ولا تَعْرِضْ لما يَمْضِي
فبينا المَرْءُ في عَيشٍ ... لَهُ مِنْ عِيشَةٍ خَفْضِ
أتاهُ طَبَقٌ يوماً ... على مَزْلَقَةٍ دَحْضِ[1]
وَهُمْ كانوا فلا تُكْذَبْ ... ذوِي القُوّةِ والنَّهْضِ
وَهُمْ إن وَلَدُوا أَشْبَوْا ... بِسِرٍّ الحَسَبِ المَحْضِ
لَهُم كانَتْ أعالِي الأرْ ... ض فالسّرَّان فالعِرْضِ
إلى ما حازه الحَزْنُ ... فما أسْهَلَ لِلْحَمْضِ
إلى الكَفْرَيْنِ مِنْ نَخْلَـ ... ـةَ فالدّاءَةِ فَالمَرْضِ
لَهُمْ كان جِمَامُ الما ... ءِ لا المُزْجَى ولا البَرْضِ
فكانَ النَّاسُ إذ هَمُّوا ... بِيُسْرٍ خاشعٍ مُغْضِي
تَنَادَوْا ثم ساروا بـ ... ـرئيسٍ لهُم مُرْضِي
فمَنْ سَاجَلَهُمْ حربـاً ... ففي الخَيْبَةِ والخَفْضِ
وهم نالُوا على الشَّنْآ ... نِ والشَّحْنَاءِ والبُغْضِ[2]
مَعَالِي لم يَنَلْهَا النَّا ... سُ في بَسْطٍ ولا قَبْضِ

قال أبو عمرو: قالت أُمامةُ بنتُ ذي الإصبع وكانت شاعرةً ترثِي قومَها:

كم مِن فَتًى كانَتْ له مَيْعَةٌ ... أبْلَجَ مِثْلِ القَمَرِ الزَّاهِرِ[3]
قد مَرَّتِ الخَيْلُ بحافاتِهِ ... كَمَرِّ غَيْثٍ لَجِبٍ ماطِرِ
قد لَقِيَتْ فَهْمٌ وَعَدْوَانُها ... قَتْلاً وَهُلْكاً آخِرَ الغابِرِ
كانُوا مُلُوكاً سادةً في الذُّرَى ... دَهْراً لها الفَخْرُ على الفاخِرِ
حتى تَسَاقَوْا كأسَهم بينهم ... بَغْياً فَيَا للشَّارِبِ الخاسِرِ
بادُوا فَمَنْ يَحْلُلْ بأوْطانِهِمْ ... يَحْلُلْ بِرَسْمٍ مُقْفِرٍ دائِرِ[4]

(١) الطبق: الشدة. والمزلقة: موضع انزلاق القدم.
(٢) الشنآن: البغض.
(٣) ميعة الصّبا: أوله وأنشطه.
(٤) دائر: زائل، بائد.

[من شعره يوم أسنّ وهرم]

قال أبو عمرو: ولأمامة ابنتِه هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكّأ على العصا فبكت فقال: [الكامل]

جَزِعَتْ أُمَامَةُ أن مَشَيْتُ على العصا وتَذَكَّرَتْ إذ نَحْنُ مِ الفِتْيَانِ

فَلَقَبْلَ ما رَامَ الإلٰهُ بِكَيْدِهِ إِرَماً وَهٰذا الحَيَّ مِنْ عَدْوَانِ

بعدَ الحُكُومَةِ وَالفَضِيلَةِ وَالنُّهَى طَافَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمُ بأَوَانِ

وَتَفَرَّقُوا وَتَقَطَّعَتْ أشْلاؤهم وَتَبَدَّدُوا فِرَقاً بِكُلِّ مَكَانِ

جَدَبَ البلادُ فَأُعْقِمَتْ أَرْحَامُهُم وَالدَّهْرُ غَيَّرَهُمْ مع الحِدْثَانِ

حَتى أبادهُمُ على أُخْرَاهم صَرْعَى بكلِّ نُقَيْرَةٍ وَمَكَانِ

لا تَعْجَبِنَّ أُمَامَ من حَدَثٍ عَرَا فَالدَّهْرُ غَيَّرَنا مع الأَزْمَانِ

ذكرُ قيلٍ مَوْلى العَبَلاتِ

[ولاؤه وغناؤه]

قال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك: أخبرني حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال: كان يحيى قَيْل عبداً للثُّرَيَّا ورُضَيًّا وأخواتهما بناتِ عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميةَ الأصغر بن عبد شمس مَوْلَيَاتِ الغَرِيض.

قال: وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال: حدّثني ابنُ أبي جَنَاح قال: حدّثنا مقاحف بنُ ناصِحٍ مولى عبد الله بن عباس قال: حدّثني هشامُ بن ٱلمُرِّية - وهي أُمُّهُ، وهو مولى بني مَخْزُوم - قال: كان يحيى قيل عبداً لامرأة من العَبَلات، وله من الغناء:

صوت [الطويل]

وَأَخْرَجْتُها من بَطْنِ مَكّة بعدما ... أَصَاتَ المُنادِي للصّلاةِ وأَعْتَمَا[1]

فَمَرَّتْ ببطنِ اللَّيثِ تَهْوِي كأنما ... تُبَادِرُ بالإِصْباح نَهْباً مُقَسَّمَا[2]

والشعرُ لأبي دَهْبلٍ الجُمَحِيّ. وأوّل هذه القصيدة.

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّم كَلْثَمَا

وأخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني

(١) أصات: أذن. وأعتم: دخل في العتمة. وصلاة العتمة صلاة العشاء.
(٢) الليث: وادٍ بأسفل السراة (معجم البلدان ٥/٢٨).

يحيى بن المِقْداد الزَّمْعِيّ قال: حدّثني عمّي موسى بن يعقوب الزَّمعِيّ قال: أنشدني أبو دَهْبلٍ الجُمَحِيّ لنفسه:

أَلا عَلِقَ القَلْبُ المُتَيَّمُ كَلْثَمَا ... لَجُوجاً وَلَمْ يَلْزَمْ من الحُبِّ مَلْزَمَا

خَرَجْتُ بها من بَطْنِ مكَّة بعدَما ... أصاتَ المُنادِي للصَّلاة وأعتَما

فما نامَ مِنْ راعٍ ولا ارتَدَّ سامِرٌ ... مِنَ الحَيِّ حتى جاوزَتْ بِي يَلَمْلَمَا[1]

وَمَرَّتْ ببطنِ اللَّيْثِ تَهْوِي كأنَّها ... تُبادِرُ بالإدلاجِ نَهْباً مُقَسَّمَا[2]

أجازتْ على البَزْوَاءِ وَاللَّيْلُ كاسِرٌ ... جناحَيْنِ بالبَزْوَاءِ وَرْداً وأَدْهَمَا[3]

فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ ... بِعُلْيَبَ نخلاً مُشرِفاً ومُخَيِّمَا[4]

ومرَّتْ على أشطانِ دُومةَ بالضُّحَى ... فما خَزَرَتْ للماء عيناً ولا فَمَا[5]

وما شَرِبَتْ حتى ثَنيتُ زِمَامَها ... وخِفْتُ عليها أن تُحَزَّ وَتُكْلَمَا[6]

فقلت لها قد تِعتِ غيرَ ذَمِيمةٍ ... وأصبحَ وادِي البِرْكِ غَيْثاً مُدَيَّمَا[7]

قال فقلت له: يا عمّ ما كنتَ إلا على الريح! فقال: يابن أخي إنّ عمَّك كان إذا همَّ فعل، وهي العَجَاجَةُ، أمَا سمعتَ قول أخي بني مُرَّة: [المتقارب]

إذا أقبلَتْ قُلتَ مَشْحونَةٌ ... أَقَلَّتْ لها الرِّيحُ قَلْعاً جَفُولاَ[8]

وإن أدبرَتْ قلتَ مَذعُورةٌ ... من الرُّمدِ تتبَعُ هَيْقاً ذَمُولاَ[9]

وإن أعرضَتْ خالَ فيها البَصيـ ... ـرُ ما لا يُكلِّفُه أن يَفِيلاَ[10]

---

(١) يلملم: موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد الصحابيّ معاذ بن جبل رضي الله عنه. (معجم البلدان ٥/ ٤٤١).

(٢) الإدلاج: السير من أول الليل، وسير الليل كله.

(٣) البزواء: موضع في طريق مكة قريب من الجحفة (معجم البلدان ١/ ٤١١). والورد: الأحمر الضارب إلى الصفرة، وأراد بالورد الفجر عند انبثاقه. وبالأدهم: آخر ما بقي من سواد الليل.

(٤) ذر قرن الشمس: ظهر. وعليب: موضع في تهامة (معجم البلدان ٤/ ١٤٨).

(٥) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل الطويل المفتول جيداً يستقى به من البئر. ودومة: وادٍ بين المدينة وخيبر (معجم البلدان ٢/ ٤٨٦) وخزرت العين: ضاقت وصغرت. وفي بعض النسخ «جدرت».

(٦) تحز: تقطع. وتكلم: تجرح.

(٧) تاع: أسرع في السير. ووادي البرك: ناحية باليمن (معجم البلدان ٥/ ٣٤٣).

(٨) القلع: شراع السفينة.

(٩) الرُّمد: جمع رمداء، وهي النعامة التي لونها كالرماد. والهيق: ذكر النعام. والذمول: السريع.

(١٠) أعرضت: رئيت من أحد جانبيها. ويفيل: يخطىء.

يَـداً سُـرُحـاً مـائـراً ضَـبْـعُـهـا تَـسُـومُ وتَـقْـدُمُ رِجـلاً زَجُـولاَ[١]
فـمـرّت عـلـى كـشـبٍ غُـدوةً ومـرَّتْ فُـوَيـقَ أَرِيـكٍ أصِـيـلاَ[٢]
تُـخَـبِّـطُ بـالـلَّـيْـلِ حِـزَّانَـهُ كـخَـبْـطِ الـقَـويِّ الـعـزيـزِ الـذَّلـيـلاَ[٣]

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزبيرُ بن بكّار قال: حدّثني ابن أصبغ السلميّ قال: جاء إنسان يُغنّي إلى عَيّاش المِنْقَريّ بالعَقيق فجعل يُغنّيه قولَ أبي دَهْبلٍ:

ألا عَـلِـقَ الـقـلـبُ الـمـتـيّـمُ كَـلْـثَـمـا

وجعل يعيدُه فلما أكثر قال له عيّاشٌ: كم تُنذِر بالعجوزِ عافاكَ اللَّهُ! اسم أمي كلثمُ، قال: وتسمعُ العجوزُ، فقالت: لا والله ما كان بيني وبينه شيء.

قال: ومن غنائه: [البسيط]

أزْرَى بـنـا أنّـنـا شَـالَـتْ نَـعـامَـتُـنـا فـخَـالَـنِـي دُونَـهُ بَـلْ خِـلْـتُـهُ دونِـي
فَـإن تُـصِـبْـكَ مـن الأيـامِ جـائِـحَـةٌ لا نَـبْـكِ مـنـكَ عـلـى دنـيـا ولا دِيـنِ

وأوّل هذه الأبيات فيما أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب.

صوت

من المائة المختارة

[البسيط]

لـيَ ابـنُ عـمٍّ عـلـى مـا كـان مـن خُـلـقٍ مـخـتـلـفـانِ فـأَقْـلِـيـهِ ويَـقْـلِـيـنِـي[٤]
لاَهِ ابـنُ عـمِّـكَ لا أفْـضَـلْـتَ فـي حَـسَـبٍ عَـنِّـي ولا أنـتَ ديّـانِـي فَـتَـخْـزُونِـي

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقِيل بالوُسْطى.

وقد عَجِبتُ وما في الدَّهرِ من عَجَبٍ يَـدٌ تَـشُـجُّ وأُخـرَى مِـنْـكَ تَـأسُـونِـي[٥]

(١) مائراً ضبعها: أي نشيطة سريعة في سيرها. والضبع. ما بين الإبط إلى نصف العضد، وقيل العضد. وتسوم: تعدو على وجهها. والزجول: المرفوعة.

(٢) كشب: جبل مما يلي حدود اليمن (معجم البلدان ٤/ ٤٦٢) وأريك: جبل في بلاد بني مرة (معجم البلدان ١/ ١٦٥).

(٣) الحِزّان: الأمكنة الغليظة من الأرض. جمع حزين.

(٤) أقليه: أبغضه.

(٥) تأسوني: تداويني.

صوت
من المائة المختارة

إرْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يحرْ بكَ ضَعْفُهُ يوماً فتدرِكَهُ العواقبُ قد نَمَا
يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليكَ وإنَّ مَنْ أثْنَى عليكَ بما فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

عَروضُه من الكامل. الشعرُ لغَرِيض اليهودي وهو السموألُ بن عادِيَاء، وقيل إنه لابنه سَعْيَة بن غَرِيض، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نُفَيلٍ، وقيل إنه لورَقة بن نَوْفلٍ، وقيل إنه لزُهَيرِ بن جَنَابٍ، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجَرْمِيّ الذي يقال له: مَدْرَجُ الرّيح، والصحيحُ أنه لغَرِيضٍ أو لابنه.

خبر غَريض اليهوديّ

وغَرِيضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عِمْرانَ عليه السلام، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجَّه جيشاً إلى العَمَاليق وكانوا قد طَغَوْا وبلغت غاراتُهم إلى الشام وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يَقتلوهم أجمعين، فظَفِروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن لملكِهم كان غلاماً جميلاً فرحِمُوه واستَبْقَوْه، وقَدِموا الشأم بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه؛ فقالوا: أنتم عصاةٌ لا تَدخلون الشأمَ علينا أبداً، فأَخْرَجوهم عنها. قال بعضهم لبعض: ما لنا بلدٌ غيرُ البلد الذي ظفِرنا به وقتلنا أهلَهُ؛ فرجعوا إلى يَثْرِبَ فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأَوْس والخَزْرَج إياها عند وقوع سَيل العَرِم باليمن، فمنْ هؤلاء اليهودِ قُرَيظةُ والنَّضيرُ وبنو قَيْنُقاع وغيرُهم، ولم أجد لهم نسباً فأذكرَه لأنهم ليسوا من العرب فتُدَوِّنَ العربُ أنسابَهُمْ إنما هم حُلفاؤُهم، وقد شَرَحْتُ أخبارهم وما يُغَنَّى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب.

والغناء في اللحن المختار لابن صاحبِ الوضوءِ واسمه محمد وكنيتُه أبو عبد الله، وكان أبوه على المِيضأة[1] بالمدينة فعُرِفَ بذلك، وهو يسيرُ الصناعةِ ليس ممن خَدمَ الخلفاءَ ولا شُهِرَ عندهم شُهرةَ غيرِه، وهذا الغناء ماخوريّ بالبِنْصر، وفيه ليونُس ثاني ثقيل بالبنصر.

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليَزِيديّ قال: حدّثنا الرِّياشيّ وعبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّنَاد عن هِشَام بن عُروة قال:

إرفَـعْ ضَـعِـيـفَـكَ لا يـحـرْ بِـكَ ضـعـفُـه

(١) الميضأة: مطهرة كبيرة يتوضأ منها.

لغريض اليهودي.

وأخبرنا أحمدُ بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمرُ بن شَبة قال: حدّثنا أحمد بن عيسى قال: حدّثنا مؤمّل بن عبد الرحمن الثَّقَفِيّ قال: حدّثني سهل بن المُغيرةِ عن الزُّهْرِيّ عن عروة عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول اللهﷺ وأنا أتمثّلُ بهذين البيتين: [الكامل]

إرفَعْ ضَعِيفَكَ لا يحرْ بك ضَعْفُهُ ... يَوْماً فتُدرِكَهُ العواقِبُ قد نَما
يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليكَ وإنّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بما فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقالﷺ: «رُدِّي عليّ قولَ اليهوديّ قاتله اللّهُ! لقد أتاني جبريلُ برسالةٍ من ربي: أَيُّما رجل صنعَ إلى أخيه صنيعةً فلم يجِدْ له جزاءً إلا الثناءَ عليه والدعاءَ له فقد كافأه».

قال أبو زيد: وقد حدّثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لوَرَقة بنِ نَوْفل، وقد ذكر الزُّبير بن بكّار أيضاً أنّ هذا الشعرَ لورَقَة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدةٍ أوّلُها: [الكامل]

رَحَلَتْ قُتَيْلَةُ عِيرَها قبلَ الضُّحَىٰ ... وأخالُ أنْ شَحَطَتْ بجارتِك النَّوى[1]
أَوَ كُلَّما رَحَلَتْ قُتَيْلَةُ غُدْوَةً ... وَغَدَتْ مُفَارِقَةً لأرْضِهِمُ بكَى
وَلَقَدْ رَكِبْتُ على السَّفِينِ مُلجِّجاً ... أَذَرُ الصَّدِيقَ وأنتَحِي دارَ العِدا[2]
ولقد دَخَلْتُ البَيْتَ يُخشَى أهْلُهُ ... بعد الهُدُوءِ وبعدَ ما سَقَطَ النَّدَى
فَوَجَدْتُ فيهِ حُرَّةً قد زُيِّنَتْ ... بالحَلْيِ تحسَبُه بها جَمْرَ الغَضا
فَنَعِمْتُ بالاً إذ أَتَيْتُ فِرَاشَها ... وَسَقَطْتُ منها حِينَ جِئْتُ على هَوَى
فَلِتِلْكَ لَذّاتُ الشَّبَابِ قَضَيْتُها ... عَنِّي فسَائِلْ بَعْضَهُمْ ماذا قَضَى
فرج الرَّباب فليس يؤدي فرجه ... لا حاجَةً قَضَّى ولا ماءً بغَى[3]
فارفَعْ ضَعِيفَكَ لا يحرْ بِكَ ضعفُه ... يَوْماً فَتُدْرِكَهُ العواقِبُ قد نَمَا
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عليكَ وَإنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بما فَعَلْتَ فقد جَزَىٰ

(١) شحطت: بعدت. والنوى: البعد.
(٢) ملججاً: خائضاً اللجّة. واللجّة: معظم الماء. وأذر: أترك.
(٣) كذا في النسخ التي بين يدينا، ومعناه غامض.

ذكر وَرَقَة بن نوفَل ونسبه

[توفي نحو ١٢ ق هـ - ٦١١ م]

[اسمه ونسبه وبعض أخباره وشعره]

هو ورقةُ بن نَوْفَل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، وأمه هندٌ بنتُ أبي كَثِير ابن عَبْد بن قُصَيّ. وهو أحدُ من اعتزل عبادةَ الأوثان في الجاهلية وطلب الدِّينَ وقرأ الكتبَ وامتنعَ من أكل ذبائح الأوثان.

نسبةُ ما في هذا الشعر من الغناء

غير (ارفع ضعيفَك......)

صوت

[الكامل]

ولقد طَرَقْتُ البَيْتَ يُخْشَى أهْلُهُ ... بعدَ الهُدُوءِ وبعدَ ما سَقَطَ النَّدَى
فَوَجَدْتُ فيه حُرّةً قَدْ زُيِّنَتْ ... بِالحَلْيِ تَحْسَبُه بها جَمْرَ الغَضا

الشعرُ لورقةَ بن نَوْفَل، والغناء لابن مُحْرِز من القَدْرِ الأوسط من الثقيل الأوّل بالخِنْصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبرنا الطُّوسِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكّار قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ معاذٍ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَة بن الزُّبَير قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن ورَقَة بن نوْفل كما بلَغنا فقال: «قد رأيتُه في المنام كأن عليه ثياباً بِيضاً فقد أظنّ أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياضَ».

قال الزبير: وحدّثنا عبد الله بن مُعَاذ عن مَعْمَر عن الزُّهريّ عن عائشة: أنَّ خديجةَ بنتَ خُوَيلدٍ انطلقَتْ بالنبيّ ﷺ حتى أتت به وَرَقَة بن نَوْفَل بن أَسَد بن عبد

العُزَّى وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها، وكان امرأً تنصَّر[١] في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبرَانيّ فيكتُب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتبَ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ، فقالت خديجةُ: أي ابنَ عمٍّ، اسمعْ من ابن أخيك؛ قال ورقةُ يابن أخي ماذا تَرى؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى فقال ورقةُ: هذا الناموس[٢] الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى؛ يا ليتني فيها جَذَع، ليتني أكون حياً إذ يُخرجُكَ قومُكَ؛ قال رسول الله ﷺ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ» قال ورقةُ: نعم، لم يأت رجل قطُّ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودِيَ، وإن يُدرِكْنِي يومُكَ لأنصرنَّكَ نَصْراً مُؤَزَّراً، ثم لم يَنشَبْ ورقَةُ أن تُوُفِّي.

قال الزُّبَيْر: حدّثني عثمان عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: قال عروة: كان بِلاَلٌ[٣] لجاريةٍ من بني جُمَح بن عمرو، وكانوا يعذّبونه برَمْضاء[٤] مكة، يُلْصِقُون ظهرَه بالرَّمْضاء ليُشرِكَ بالله؛ فيقول: أحد أحدٌ؛ فيمرّ عليه ورَقة بن نوفل وهو على ذلك يقول: أحد أحد، فيقول ورقة بن نوفل: أحَدٌ أحدٌ والله يا بلال! والله لئن قتلتموه لأتّخذنّه حنَاناً[٥] كأنه يقول: لأتمسّحنَّ به. وقال وَرقة بن نوفل في ذلك: [البسيط]

لقد نَصَحْتُ لأقوامٍ وَقُلْتُ لهم … أنا النَّذِيرُ فلا يَغْرُرْكُمُ أَحَدُ

لا تَعبُدُنَّ إلهاً غيرَ خالِقِكُمْ … فإن دَعَوْكُمْ فقولوا بيننا حَدَدُ[٦]

سُبحانَ ذي العَرْشِ سبحاناً نَعُوذُ بِهِ … وَقَبْلُ قد سَبَّحَ الجُودِيُّ والجُمُدُ[٧]

مُسَخَّرٌ كلُّ ما تَحْتَ السَّماءِ له … لا يَنْبَغِي أن يُنَاوِي مُلكَهُ أَحَدُ[٨]

لا شَيْءَ مِمّا ترى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ … يبقَى الإلَهُ ويُودِي المالُ والوَلَدُ

لم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يوماً خَزَائِنُهُ … والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا

---

(١) تنصر: اعتنق النصرانية.
(٢) الناموس: صاحب سرّ الوحي، وأراد جبريل عليه السلام.
(٣) بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ.
(٤) الرمضاء: الأرض التي حميت من شدة وقع الشمس.
(٥) لأتخذنّه حناناً: لأجعلنه موضع تبرّك راجياً بالتمسح به رحمة الله.
(٦) الحدد: المنع.
(٧) الجودي: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح (معجم البلدان ١/ ١٧٩).
والجمد: جبل بنجد (معجم البلدان ٢/ ١٦١).
(٨) يناوي: ينافس.

ولا سُلَيمانَ إذا دانَ الشُّعُوبُ لَه وَالجنُّ والإِنْسُ تَجْرِي بينها البُرُدُ[١]

[نهي النبيّ ﷺ عن سبّه]

قال الزبير: حدّثني عمي قال: حدّثنا الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد عن هشام بن عروة: أنّ رسول الله ﷺ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه: «شعَرتُ أنّي قد رأيتُ لِوَرَقة جَنَّةً، أو جنّتين» يشكّ هشام.

قال عروة: ونَهى رسول الله ﷺ عن سَبِّ وَرَقة.

وقال الزبير: وحدّثني عمّي قال: حدّثني الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُروة عن أبيه: أن خَديجة كانت تأتي ورقَة بما يُخبرها رسولُ الله ﷺ أنه يأتيه، فيقول ورقة: لئن كان ما يقول حقّاً إنه ليأتيه الناموسُ الأكبر ناموسُ عيسى ابن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن، ولئن نَطَقَ وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنَّ فيه للَّهِ بَلاَءً حَسَناً.

(١) البُرُد: الرسل جمع بريد.

خبر زيد بن عمرو ونسبه

[توفي نحو ١٧ ق هـ - ٦٠٦ م]

[اسمه ونسبه وبعض أخباره وشعره]

هو زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رِيَاح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عدِيّ بن كَعْب بن لُؤيّ بن غالب. وأمه جَيْداء بنت خالد بن جابر بن أبي حَبِيب بن فَهْم. وكانت جيداء عند نُفَيل بن عبد العُزَّى فولدت له الخَطّاب أبا عُمَر ابن الخطّابِ وعبد نُهْم، ثم مات عنها نُفَيْل فتزوّجها ابنُه عمر فولدتْ له زيداً، وكان هذا نِكاحاً ينْكِحه أهلُ الجاهليَّة. وكان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادةَ الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم، وكان يقول: يا معشر قريش، أيُرسِلُ الله قَطْرَ السَّماء ويُنبت بَقْل الأرض ويخْلُق السائمة فترعَى فيه وتذبحوها لغيره! والله ما أعلمُ على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري.

أخبرنا الطُّوسِيُّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني عمِّي مصعَب بن عبد الله ومحمد بن الضحَّاك عن أبيه، قالا: كان الخطّاب بن نُفَيل قد أخرج زيدَ بن عمرو من مكة وجماعةٌ[1] من قريش ومنَعوه أن يدخُلها حين فارق أهلَ الأوثان، وكان أشدُّهم عليه الخطّابَ بن نُفَيل. وكان زيد بن عمرو إذا خلصَ إلى البيت استقبله ثم قال: لَبَّيْكَ حقّاً حقّاً، تعبُّداً ورِقّاً، البِرَّ أرجو لا الخال[2]، وهل مُهَجِّرٌ[3] كمن قال[4]! ثم يقول: [الرجز]

عُـذْتُ بـمـا عـاذَ بـه إبـراهِـيـمُ مُـسْـتَـقْـبِـلَ الـكَـعْـبَـةِ وَهْـوَ قَـائِـمُ

(١) جماعةٌ: بالرفع معطوفة على «الخطابُ».

(٢) الخال: الكبرياء، الخيلاء.

(٣) المهجر: السائر في الهاجرة.

(٤) قال: نام وقت القائلة أي وقت الظهيرة.

يــقــولُ أنــفِــي لــك عَــانٍ راغِــمُ مــهــمــا تُــجَــشِّــمْــنــي فــإنــي جَــاشِــمُ(١)

ثم يسجد. قال محمد بن الضحّاك عن أبيه: وهو الذي يقول: [الرجز]

لا هُــــمَّ إنّــــي حَــــرَمٌ لا حِــــلَّــــهْ وإن داري أوْسَــطُ الــمَــحَــلَّــهْ(٢)
عــنــد الــصَّــفَــا لــيــســت بــهــا مَــضَــلَّــهْ

قال الزبير: وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمانَ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: قال هشام بن عُروة عن أبيه عن أسماءَ بنت أبي بكر أنها قالت: قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل: [الوافر]

عَــزَلْــتُ الــجِــنَّ والــجِــنَّــان عــنِّــي كــذلــك يَــفْــعَــلُ الــجَــلْــدُ الــصَّــبُــورُ
فــلا الــعُــزَّى أديــنُ ولا ابــنــتَــيــهــا ولا صَــنَــمَــيْ بــنــي غَــنــم أزورُ
ولا هُــــبَــــلاً أدِيــــنُ وكــــان رَبّــــاً لــنــا فــي الــدَّهْــرِ إذ حِــلْــمِــي صَــغِــيــرُ
أربّــــاً واحــــداً أم ألــــفَ ربٍّ أديــنُ إذا تــقُــسِّــمــتِ الأُمُــورُ
ألــم تَــعْــلَــمْ بــأنَّ الله أفْــنَــى رجــالاً كــان شــأنَــهُــمُ الــفُــجُــورُ
وَأَبْــقَــى آخَــرِيــنَ بِــبِــرِّ قــوم فَــيَــرْبُــو مــنــهــمُ الــطِّــفْــلُ الــصَّــغِــيــرُ
وَبَــيْــنــا الــمَــرْءُ يَــعْــثُــرُ ثــابَ يــومــاً كــمــا يَــتَــرَوَّحُ الــغُــصْــنُ الــنَّــضِــيــرُ

فقال ورَقة بن نَوْفَل لزيد بن عمرو بن نُفَيْل: [الطويل]

رَشِدْتَ وأنــعــمــتَ ابــنَ عــمــرو وإنّــمــا تَــجَــنّــبْــتَ تَــنُّــوراً مــن الــنــار حــامــيــا
بــدِيــنــك ربّــاً لــيــس ربٌّ كــمــثــلــه وتَــرْكِــكَ جِــنّــان الــجــبــالِ كــمــا هــيــا
أقــولُ إذا مــا زُرْتُ أرْضــاً مَــخُــوفَــةً حَــنَــانَــيْــك لا تُــظْــهِــرْ عــلــيَّ الأعــاديَــا
حَــنَــانَــيْــكَ إنّ الــجِــنَّ كــانَــتْ رجــاءَهُــم وَأَنْــتَ إلٰــهِــي رَبَّــنــا وَرَجَــائِــيَــا
أديــنُ لــربٍّ يَــسْــتَــجِــيــبُ ولا أرَى أدِيــنُ لــمــن لا يَــسْــمَــعُ الــدَّهْــرَ داعــيــا
أقــولُ إذا صــلَّــيْــتُ فــي كــلِّ بِــيــعَــةٍ تــبــارَكْــتَ قــد أكْــثَــرْتَ بــاسْــمِــكَ داعــيَــا

يقول: خلقتَ خَلْقاً يدعُون باسمك.

قال الزُّبَير: وحدّثني مصعَب بن عبد الله قال: حدّثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقْبَة قال: سمعتُ مَنْ أرْضَى يحدِّث أن

(١) تجشمني: تكلفني على مشقة.
(٢) حرم وحلّه: حرام وحلال.

زيد بن عمرو كان يَعِيب على قُريش ذبائحهم ويقول: الشاة خَلَقها اللَّهُ وأنزل من السماء ماءً وأنبتَ لها من الأرض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

[لقاؤه رسول اللهﷺ]

قال الزبير: وحدّثني مصعَب بن عبد الله عن الضَّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله ابن عمر يحدِّث عن رسول اللهﷺ أنه لقِيَ زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بلْدَح[١]، وكانَ قبلَ أن ينزل على رسول اللهﷺ الوحيُ، فقدّم إليه رسول اللهﷺ سُفْرة[٢] فيها لَحم، فأبى أن يأكُل، وقال: إنّي لا آكل إلاّ ما ذُكِر اسم الله عليه.

[اعتناقه دين إبراهيم الخليل]

قال الزبير: وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبد الله قال: قال موسى: لا أُراه إلاّ حدّثه عن عبد الله بن عمر: أن زيد بن عمرو خرج إلى الشأم يسأل عن الدِّين، ويتَّبعه، فلقيَ عالماً من اليهود فسأله عن دِينهم فقال: لعلِّي أدين بدينكم فأخبِرْني بدينكم، فقال اليهوديّ: إنّك لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غَضب الله، فقال زيد بن عمرو: لا أفرّ إلاّ من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تَدُلُّني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلَمه إلا أن يكون حَنِيفاً، قال: وما الحَنيف؟ قال: دينُ إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه. فأتى عالماً من علماء النّصارَى فقال له نحواً مما قال لليهوديّ، فقال له النَّصرانيّ: إنكَ لن تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، فقال: إني لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلُّني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قال اليهوديّ: لا أعلمه إلا أن يكون حَنِيفاً؛ فخرج من عندهما وقد رضي بما أخبراه واتّفقا عليه من دين إبراهيم، فلما بَرَزَ رفع يديه وقال: اللهم إنِّي على دين إبراهيم.

---

(١) بلدح: وادٍ في مكة من جهة الغرب (معجم البلدان ١/ ٤٨٠).

(٢) السفرة: الطعام الذي يصنع للمسافر.

قال الزبير: وحدّثني مصعَب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: قال هشام بن عُرْوَة: بَلغنا أنّ زيد بن عمرو كان بالشأم، فلما بَلَغه خبرُ النبيّ ﷺ أقبل يريده فقتله أهل مَيْفَعة[١].

قال الزُّبير: وحدّثني مصعَب بن عبد الله عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد عن هشام بن عرْوة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال: سألت أنا وعمرُ بن الخطاب رسولَ الله ﷺ عن زيد فقال: «يأتي يومَ القيامة أمّةً وَحْدَه».

وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحِزَامِيّ عن أبيه لزيد بن عمرو: [المتقارب]

أسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أسْلَمَتْ ... لـه الـمُزْنُ تَحْمِل عَذْباً زُلالا
وأسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أسْلَمَتْ ... لـه الأرْضُ تَحْمِل صَخْراً ثِقَالا
دَحاها فَلَمّا اسْتَوَتْ شَدَّها ... سَواءً وأرْسَى عَلَيْهَا الجِبَالا

[زهير بن جناب الكلبي وبعض شعره]

وأما زهيرُ بن جَناب الكلبيّ فإنّه أحد المعمَّرين، يقال: إنه عُمِّر مائةً وخمسين سنة وهو ـ فيما ذُكِر ـ أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم، وكان قد بلغ من السنّ الغايةَ التي ذكرناها. فقال ذاتَ يوم: إنّ الحيّ ظاعن. فقال عبد الله ابن عُلَيم بن جناب: إن الحي مقيم؛ فقال زُهير: إن الحيّ مقيم، فقال عبد الله: إنّ الحيّ ظاعن، فقال: مَنْ هذا الذي يخالفني منذُ اليوم! قيل: ابن أخيك عبد الله ابن عُلَيم، فقال: أو ما هاهنا أحدٌ ينهاه عن ذلك! قالوا: لا، فغضب وقال: لا أُراني قد خولفت، ثم دعا بالخمر فشربها صِرْفاً بغير مِزَاج وعلى غير طعام حتّى قتلته. وهو الذي يقول في ذمّ الكِبَر وطول الحياة: [مجزوء الكامل]

الـمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى ... فَلْيَهْلِكَنْ وَبِهِ بَقِيَّهْ
مِنْ أن يُرى الشَّيْخَ البَجَا ... لَ إذا تَهَادَى بالعَشِيَّهْ[٢]
أبَنِيَّ إنْ أهلِكْ فَقَدْ ... أورثْتُكُمْ مَجْداً بَنِيَّهْ
وَتَرَكْتُكُمْ أبناءَ سا ... داتٍ زِنَادُكُمُ وَرِيَّهْ

(١) ميفعة: قرية من أرض البلقاء (معجم ما استعجم ٥٦٩).
(٢) الشيخ البجال: الكبير العظيم المبجل.

بَـلْ كُـلَّ مـا نـالَ الـفَـتَـى ... قـد نِـلْـتُـهُ إلا الـتَّـحِـيَّـةْ[١]

[مدرج الريح]

وأمّا مَدْرَج الرِّيح فاسمه عامر بن المجنون الجَرْمِيّ، وإنما سمّي مدرجَ الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ، وأنّها تسكنُ الهواء وتتراءى له، وكان محمَّقاً؛ وشعرُه هذا:

لابـنـة الـجِـنّـيّ فـي الـجَـوِّ طَـلَـلْ ... دارسُ الآيـاتِ عـافٍ كـالـخَـلَـلْ
دَرَسَـتْـهُ الـرِّيـحُ مِـنْ بَـيْـنِ صَـبـاً ... وَجَـنُـوبٍ درَجـتْ حِـيـنـاً وطَـلْ

صوت

الغناء فيه لحنَين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وابنِ المكيّ، وذكر حَبش أنّه لمَعْبد، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حُنَين من خَفيف الثَّقيل الأوّل بالبِنْصر. وأخبار عامر بن المجنون تُذْكَر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

[سعية بن غريض وبعض أخباره وشعره]

وأما سَعْيَة بن غَرِيض فقد كان ذُكِرَ خبرُ جدِّه السموأل بن غَريض بن عَادِيا في موضع غير هذا. وكان سَعْيَة بن غَريض شاعراً، وهو الذي يقول لمّا حضرته الوفاةُ يَرْثِي نفسَه:

صوت

[الكامل]

يـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي حـيـن يُـذكَـر ... مـاذا تُـؤَبِّـنُـنِـي بـه أَنـواحـي[٢]
أَيَـقُـلْـنَ لا تـبـعَـدْ، فَـرُبَّ كـريـهـةٍ ... فَـرَّجْـتُـهـا بـبـشـارة وسَـمَـاحِ
وإذا دُعِـيـتُ لِـصَـعْـبَـةٍ سَـهَّـلْـتُـهـا ... أُدْعَـى بـأفْـلِـحْ تـارةً ونَـجَـاحِ

ـ غنّاه ابنُ سُرَيج ثانيَ ثَقِيلٍ بالبِنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ـ

(١) التحية: البقاء (لسان العرب: مادة حيي).

(٢) أنواحي: النائحات عليّ.

وأسلم سَعْيَة وعُمِّر عمراً طويلاً، ويقال: إنّه مات في آخرِ خلافة معاويةَ.

فأخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ قال: حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال: حدّثني أحمد بن معاوية عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال: حجّ معاويةُ حجّتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلةً يحُجّ عليها نساؤُه وجواريه. قال: فحجّ في إحداهما فرأى شيخاً يُصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا: سَعْيَة بن غَرِيض، وكان من اليهود، فأرسل إليه يدعوه، فأتاه رسولُه فقال: أجِبْ أميرَ المؤمنين؛ قال: أو ليس قد مات أميرُ المؤمنين! قيل: فأجب معاوية؛ فأتاه فلم يسلِّم عليه بالخلافة؛ فقال له معاوية: ما فعلتْ أرضُك التي بتَيْماء؟ قال: يُكْسَى منها العارِي ويُردّ فَضْلُها على الجار؛ قال: أفتبيعها؟ قال: نعم؛ قال: بكَمْ؟ قال: بستين ألفَ دِينَار، ولولا خَلّة[1] أصابت الحيّ لم أبِعْها؛ قال: لقد أغليتَ! قال: أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتَها بستمائة ألف دينار ثم لم تُبَل[2]! قال: أجلْ، وإذ بخلتَ بأرضك فأنشدني شعرَ أبيك يَرْثِي به نفسه؛ فقال: قال أبي: [الكامل]

يا لَيْتَ شِعْرِي حين أُنْدَبُ هالكاً ... ماذا تُؤبّنني به أنواحِي
أيقلن لا تَبْعَدْ، فرُبّ كَرِيهَةٍ ... فرَّجْتُها بشجاعةٍ وسَماحِ
ولقد ضَرَبْتُ بفضلِ مالي حَقَّهُ ... عند الشِّتاءِ وَهَبَّةِ الأرواحِ[3]
ولقد أخَذْتُ الحَقَّ غير مخاصَمٍ ... ولقد رَدَدْتُ الحَقَّ غيرَ مُلاَحِي[4]
وإذا دُعِيتُ لصَعْبَةٍ سهّلتُها ... أُدْعَى بأفْلِحْ مرّةً ونَجاحِ

فقال: أنا كنتُ بهذا الشعرِ أوْلَى من أبيكَ؛ قال: كذبتَ ولَؤُمْتَ؛ قال: أمّا كذبتُ فَنَعمْ، وأمّا لَؤُمْتُ فَلِمَ، قال: لأنك كنتَ مَيّتَ الحقّ في الجاهلية وميّتَه في الإسلام، أمّا في الجاهلية فقاتلتَ النبيَّ ﷺ والوَحْيَ حتى جعل الله عزّ وجلّ كيدَك المردود، وأمّا في الإسلام فمنعتَ ولدَ رسولِ الله ﷺ الخلافة، وما أنتَ وهي! وأنتَ طَلِيقٌ ابن طَلِيقٍ! فقال معاويةُ: قد خَرِفَ الشيخُ فأقيمُوه، فَأُخِذَ بيده فَأُقِيم.

وسَعْيَةُ هذا هو الذي يقولُ:

(١) الخلّة: الفقر، والحاجة.

(٢) لم تبلْ: لم تبالِ.

(٣) الأرواح: الرياح.

(٤) الملاحاة: المناظرة.

صوت

[البسيط]

يا دارَ سُعْدَى بأقْصَى تَلْعَةِ النَّعَمِ حُيِّيتِ داراً على الإقْواء والقِدَمِ[1]
وما بِجِزْعِكِ إلا الوَحْشُ ساكِنَةً وهَامِدٌ من رَمَادِ القِدْرِ والحُمَمِ
عُجْنَا فما كَلَّمَتْنا الدّارُ إذ سُئِلَتْ وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صَمَمِ

الشعر لسَعْيَةَ بن غَرِيض، والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البِنْصَر.

(١) تلعة النعم: موضع بالبادية (معجم البلدان ٢/٤٢) وأقوت الدار: خلت من سكانها.

أخبار ابنِ صاحب الوَضُوءِ ونسبه

[اسمه وكنيته وبعض أخباره]

اسمه محمدُ بن عبد الله، ويُكْنَى أبا عبد الله، مولى بني أميّة، وهو من أهل المدينة؛ وكان أبوه على مِيضَأَةِ المدينة فسُمّيَ صاحبَ الوَضُوء. وهو قليلُ الصّنعةِ لم يذكر له إسحاقُ إلا صوتين كلاهما في خفيفِ الثقيل المعروف بالماخُورِيّ، ولا ذكَر له غيرُ إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصلَ له، وفي كتاب حَبَشٍ الصينيّ. وهو رجل لا يُحصِّلُ ما يقولُه ويَرْوِيه.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن جدّه عن سِياط عن يُونُس الكاتب قال: غنى ابنُ صاحب الوَضوء في شعر النابغة: [الطويل]

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتِينَةٍ ... تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نَوَازعُ[1]

وفي شعر بعض اليهود: [الكامل]

إرفع ضعيفَك لا يَحِرْ بِكَ ضعفُهُ ... يَوْماً فَتُدْرِكَهُ العواقِبُ قد نَمَا

فأجاد فيهما ما شاء وأحسنَ غايةَ الإحسان؛ فقيل له: ألا تَزِيدُ وتصنعُ شيئاً آخرَ؟ فقال: لا والله حتى أرى غيري قد صنعَ مثلَ ما صنعت وأَزيد، وإلاّ فَحسبِي هذا.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وإسماعيل بن يونس الشّيعي قالوا: حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حدّثنا عيسى بن عبد

(١) خطاطيف: جمع خطاف، وهو كل حديدة معوجة. وحُجْنٌ: جمع أحجن وحجناء، وهو المعوجّ.

الله بن محمد بن عمر بن عليّ ـ قال ابنُ عمار في خبره: وكان يُسمَّى المبارَكَ ـ قال: حدّثنا أبو مَسْلَمة المَصْبَحِيّ قال: قَدِمَ علينا أَسْوَدُ من أهل الكوفة فغنّى:[الكامل]

إرفَعْ ضعيفَكَ لا يحرْ بك ضعفُه يوماً فتدركَه العواقب قد نَمَا

قال: فمررت بعبد الله بن عامر الأسلَمي، وكان يؤمّنا وهو قائم يُصلّي الظهر، فقلت له: قدِم علينا أسودُ من الكوفة يُغنّي كذا وكذا فأجاده؛ فأشار إليّ بيده أن اجلسْ؛ فلما قضى صلاتَه قال: أَخَذْتَه عنه؟ قلت: نعم؛ قال: فأمِرَّهُ عليّ، ففعلتُ؛ قال: فلما كان بالليل صلَّى بنا فأدّاه في المحراب.

صوت

من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى

[مجزوء الكامل]

يا لَيْلَتِي تَزْدادُ نُكْرَا مِنْ حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكْرَا

حَوْراءُ إن نَظَرَتْ إلَيـ ـكَ سَقَتْك بِالعَيْنَيْنِ خَمْرَا

الشعر لبَشّار، والغناءُ في اللحن المختار ليَزيد حَوْراء رَمَلٌ بالبِنْصر عن عمرو ويحيى المكيّ وإسحاق. وفيه لسِيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى عن عمرو وإبراهيمَ المَوْصِليّ.

أخبار بشار بن برد ونسبه

[٩٥ ـ ١٦٧ هـ/٧١٤ ـ ٧٨٤ م]

[اسمه وكنيته ولقبه ونسبه]

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن غيلان الشّعوبيّ، بَشّار بن بُرد بن يَرْجُوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فَيْروزَ بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهرداد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن ادريوس بن يستاسب بن لهراسف. قال: وكان يَرْجُوخ من طُخَارُستان[1] من سَبْي المُهَلَّب بن أبي صُفْرة. ويُكْنَى بَشّارٌ أبا مُعَاذ. ومَحَلُّه في الشعر وتَقَدُّمه طبقاتِ المُحْدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياستُه عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله. وهو من مُخَضْرَمي شعراء الدولتين العبّاسية والأُمَوية، قد شُهِر فيهما ومدح وهَجَا وأخذ سَنِيّ الجوائز مع الشعراء.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجم قال: قال حميد بن سعيد: كان بشّار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: وهو بشّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: وكان يُكنَى أبا مُعَاذ.

[ولاؤه لبني عقيل]

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمدُ بنِ عِمْرانَ الصَّيْرفيّ وغيرُهما عن الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ عن خالد بن يزيدَ بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال: كان بشارُ

(١) طخارستان: ولاية من نواحي خراسان. (معجم البلدان ٤/ ٢٣).

بن بُرْدْ بن يَرْجُوخ وأبوه بُرْدٌ من قِنّ خِيرَة القُشَيرِيّةِ امرأةِ المهلّب بن أبي صُفْرَةَ، وكان مُقِيماً لها في ضَيْعَتها بالبصرةِ المعروفةِ «بِخيرَتَان»[1] مع عَبيدٍ لها وإماء، فوهَبَتْ بُرداً بعد أن زوّجته لامرأةٍ من بني عُقَيلٍ كانت مُتّصِلةً بها، فولدتْ له امرأتُه وهو في مِلْكِها بشاراً فأعتقته العُقَيلِيّةُ.

وأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: كان بُردٌ أبو بشارٍ مَولى أُمّ الظّباء العُقَيلِيّة السَّدُوسِية، فادَّعى بشارٌ أنه مَوْلَى بني عُقَيل لنزوله فيهم.

وأخبرني أحمد بن العبّاس العَسْكريّ قال: حدّثنا العَنزِيُّ قال: حدّثني رجلٌ من ولد بشارٍ يقال له حَمدانُ كان قَصّاراً[2] بالبصرة، قال: وَلاَؤُنا لبني عُقَيلٍ؛ فقلتُ: لأيّهم؟ فقال: لبني رَبيعة بنِ عُقَيلٍ.

وأخبرني وَكِيعٌ قال: حدّثني سليمانُ المَدَنِيّ قال: قال أحمدُ بن مُعاويةَ الباهليّ: كان بشارٌ وأمُّه لرجل من الأزْد، فتزوّج امرأةً من بني عُقَيلٍ، فساق إليها بشاراً وأُمَّه في صَدَاقها، وكان بشّار وُلِدَ مكفوفاً فأعتقته العُقَيليّةُ.

أخبرني محمدُ بنِ عِمرانَ الصَّيْرفيّ قال: حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزي قال: حدّثنا قَعْنَبُ بنُ المُحْرِزِ الباهليّ قال: حدّثني محمد بن الحَجّاج قال: باعتْ أُمُّ بشّارٍ بشّاراً على أُمّ الظّباء السَّدُوسِيَّةِ بدينارين فأعتقتْه. وأُمُّ الظباءِ امرأةُ أَوْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ أحدِ بني تَيْم اللاّت بن ثَعْلَبَة، وهو صاحبُ قصر أَوْسٍ بالبصرة؛ وكان أوسٌ أحد فُرسَانِ بَكْر بن وائلٍ بخُرَاسان.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفّاف قال: حدّثنا العَنزيُّ قال: حدّثنا محمد بن زيد العِجْلِيّ قال: أخبرني بَدْر بن مُزَاحِم أنّ بُرْداً أبا بشّار كان طَيّاناً يَضرِبُ اللَّبِنَ، وأراني أبي بيتَينِ لنا فقال لي: لَبِنُ هذين البيتين من ضَرْبِ بُرْدٍ أبي بشّار. فسمع هذه الحكايةَ حمّادُ عَجْرِدٍ فهجاه فقال: [الخفيف]

يـابـنَ بُـردٍ إخْـسَـأْ إلـيـكَ فَـمِـثْـلُ الـ ... كـلـبِ فـي الـنـاسِ أنـتَ لا الإنـسـانِ

(١) خيرتان: ضيعة بالبصرة كانت لخيرة القشيرية زوجة المهلب بن أبي صفرة. (معجم البلدان ١/ ٤٣٥).

(٢) القصّار: الذي يبيّض الثياب.

بل لَعَمْرِي لأنْتَ شَرٌّ من الكَلْـ ـبِ وَأوْلَى منه بِكُلِّ هَوَان
وَلَرِيحُ الخِنْزِيرِ أَهْوَنُ من رِيـ ـحِكَ يابْنَ الطَّيَّانِ ذِي التُّبَّانِ[1]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن أبي الصَّلْتِ البَصْريّ عن أبي عَدْنانَ قال: حدَّثني يحيى بنُ الجَوْنِ العَبْدِيُّ رَاوِيةُ بشَّارٍ قال: قال: لما دَخَلْتُ على المَهدِيّ قال لِي: فيمَنْ تَعْتَدُّ يا بشَّارُ؟ فقلتُ: أمّا اللِّسانُ والزِّيُّ فعربيَّانِ، وأمّا الأصلُ فعَجميّ، كما قلتُ في شعري يا أميرَ المؤمنينَ: [المتقارب]

ونُبِّئْتُ قَوْماً بِهِمْ جِنَّةٌ يقولونَ مَنْ ذا وَكُنْتُ العَلَم
ألا أيُّها السّائِلي جاهِداً لِيَعْرِفَنِي أنا أنفُ الكَرَمْ
نَمَتْ في الكِرَام بَنِي عامرٍ فُرُوعِي وأَصْلِي قُرَيْشُ العَجَمْ
فإنِّي لأُغْنِي مَقَامَ الفَتَى وأُصْبِي الفَتاةَ فما تَعتَصِمْ[2]

قال: وكان أبو دُلاَمَةَ حاضراً فقال: كَلا! لَوَجْهُكَ أقبحُ من ذلك ووجهي مع وجهك؛ فقلتُ: كلاًّ! والله ما رأيتُ رجلاً أصدقَ على نفسه وأكذبَ على جليسه منكَ، والله إني لطويلُ القامة عظيمُ الهامَة تامّ الألواح أسجحُ[3] الخدَّينِ، ولَرُبَّ مُسترْخِي المِذْرَوَينِ[4] للعين فيه مَرَادٌ قد جلس من الفتاة حَجْرَةً[5] وجلستُ منها حيث أُرِيدُ، فأنتَ مثلي يا مَرْضَعَانَ[6] قال: فسكت عنّي. ثم قال لي المهديّ: فمِنْ أيِّ العجم أصلُك؟ فقلتُ: مِن أكثرها في الفُرسان، وأشدِّها على الأقران، أهل طُخَارُسْتَان؛ فقال بعضُ القوم: أولئك الصُّغْدُ؛ فقلت: لا، الصُّغْدُ تِجَارٌ؛ فلم يَرْدُدْ ذلك المهديُّ.

وكان بشّار كثيرَ التلوّنِ في وَلائه، شَدِيدَ الشَّغْب والتعصُّبِ للعجم، مرَّةً يقول يفتخِرُ بولائه في قيس: [الوافر]

أَمِنْتُ مَضَرَّةَ الفُحَشَاء أنّي أَرَى قَيْساً تَضُرُّ ولا تُضَارُ

(١) التبّان: سراويل صغير يلبسه الفلاحون والمصارعون.
(٢) أصبي الفتاة: أستميلها.
(٣) أسجح الخد: لين الخد.
(٤) المذروان: الجانبان.
(٥) حجرةً: ناحيةً.
(٦) المرضعان: اللئيم، الخسيس.

كـأنَّ الـنّـاسَ حـيـنَ تَـغِـيـبُ عـنـهـم ... نـبـاتُ الأرضِ أخـطـأهُ الـقِـطـارُ[١]
وقـد كـانـتْ بـتَـدْمُـرَ خَـيْـلُ قَـيْـسٍ ... فـكـانَ لِـتَـدْمُـرٍ فـيـهـا دَمَـارُ[٢]
بِـحَـيٍّ مـن بَـنِـي عَـيْـلانَ شُـوسٍ ... بَسِيرُ المَوْتُ حَيْثُ يُقَالُ سَارُوا[٣]
ومـا نَـلْـقَـاهُـمُ إلا صَـدَرْنـا ... بِـرِيٍّ مـنـهـمُ وهُـمُ حِـرَارُ[٤]

ومرَّةً يتبرَّأُ من وَلاَءِ العرب فيقولُ: [الكامل]

أصْبَحْتُ مولَى ذي الجَلالِ وبَعْضُهُمْ ... مولَى العُرَيبِ فَخُذْ بفضلكَ فافْخَرِ
مَـولاكَ أكْـرَمُ مـن تَـمِـيـمٍ كُـلِّـهـا ... أهْلِ الفَعَالِ ومن قُريش المَشْعَرِ
فَـارْجِـعْ إلـى مـولاكَ غـيـرَ مُـدَافَـعٍ ... سُـبْـحـانَ مَـوْلاكَ الأجَـلِّ الأكـبـرِ

وقال يفتخِرُ بولاء بني عُقَيلٍ:

إنَّـنِـي مـن بَـنِـي عُـقَـيـلِ بـنِ كَـعْـبٍ ... مَوضِعَ السَّيفِ مِنْ طُلَى الأعْناقِ[٥]

ويُكنَى بَشّارٌ أبا مُعَاذٍ، ويُلقَّبُ بالمَرعَّثِ.

أخبرني عمّي ويحيى بن عليّ قالا: حدّثنا أبو أيوب المَدينيّ قال: حدّثني محمد بن سلاّم قال: بشّارٌ المرعَّثُ هو بشارُ بنُ بُردٍ، وإنما سُمِّي المرعَّثَ بقوله: [مجزوء الخفيف]

قَـالَ رِيـمٌ مُـرَعَّـثٌ ... سـاحِـرُ الـطَّـرْفِ وَالـنَّـظَـرْ
لَـسْـتَ وَالـلَّـهِ نـائِـلِـي ... قُـلْـتُ أو يَـغْـلِـبُ الـقَـدَرْ
أنْـتَ إن رُمْـتَ وَصْـلَـنـا ... فَـانْـجُ، هـل تُـدْرِكُ الـقَـمَـرْ

قال أبو أيّوب: وقال لنا ابنُ سلاّم مرَّةً أُخرى: إنّما سُمّي بشّارٌ المرعَّثَ، لأنه كان لقميصه جَيبانِ: جَيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شماله، فإذا أراد لُبسَه ضَمّه عليه من غير أن يُدخِلَ رأسَه فيه، وإذا أراد نزعَه حلَّ أزرارَه وخرج منه، فشُبِّهتْ تلك الجيوبُ بالرِّعاثِ لاسترسالها وتَدَلِّيها، وسُمِّيَ من أجلها المرعَّثَ.

(١) القطار: المطر، جمع قطر.
(٢) تدمر: مدينة قديمة في بادية الشام (معجم البلدان ٢/ ١٧).
(٣) شوس: جمع أشوس، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه.
(٤) حرار: جمع حرّان، وهو العطشان.
(٥) الطُّلى: جمع طلية أو طلاة، وهي صفحة العنق وأصله.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدَّثنا عليّ بنُ مهديّ قال: حدّثني أبو حاتم قال: قال لي أبو عُبَيدَةَ: لُقِّبَ بشّارٌ بالمُرَعَّثِ لأنه كان في أُذنه وهو صَغير رِعَاثٌ. والرِّعَاث: القِرَطَةُ، واحدتها رَعْثَةٌ وجمعُها رِعَاثٌ، ورَعَثَاتٌ. ورَعَثَاتُ الديكِ: اللحم المتدلِّي تحت حنكه؛ قال الشاعر: [الوافر]

سَقَيْتُ أبا المُصَرَّعِ إذ أتانِي ... وذُو الرَّعَثَاتِ مُنتَصِبٌ يَصِيحُ
شراباً يهرُبُ الذِّبَّانُ منه ... ويَلْثَغُ حين يشرَبه الفَصِيحُ

قال: والرَّعثُ: الاسترسالُ والتساقطُ. فكأنّ اسم القِرَطَةِ اشتُقَّ منه.

أخبرني محمد بن عِمْرانَ قال: حدّثني العَنزِيُّ قال: حدّثنا محمد بن بدر العِجْلِيّ قال: سمعتُ الأصمعيّ يذكر أن بشّاراً كان من أشدّ الناسِ تبرُّماً بالناس، وكان يقول: الحمد لله الذي ذهبَ ببصَرِي؛ فقيل له: ولِمَ يَا أبا مُعاذٍ؟ قال: لئلاّ أَرَى مَنْ أُبْغِضُ. وكان يلبَسُ قميصاً له لِبْنَتَانِ[1]، فإذا أراد أن ينزِعَه نزعه من أسفله، فبذلك سُمّيَ المرعَّثَ.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ أبو دُلَفَ الخُزَاعيّ قال: حدّثنا قَعْنَبُ بنُ مُحْرِز عن الأصمعيّ قال: كان بشّارٌ ضَخْماً، عظيمَ الخلق والوجه، مَجدُوراً، طويلاً، جاحظَ المُقْلَتَينِ قد تغشَّاهما لحمٌ أحمرُ، فكان أقبحَ الناس عَمىً وأفظَعَهُ مَنْظَراً، وكان إذا أراد أن يُنشِدَ صفَّق بيديه وتنحنح وبَصق عن يمينه وشماله ثم يُنشِدُ فيأتِي بالعجَب.

[عماه]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيُّوب المدينّي عن محمد بن سلاَّم قال: وُلِدَ بشَّارٌ أعمى، وهو الأكمه. وقال في تَصْدَاقِ ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه: [الطويل]

وَعَبْدِي فَقَا عينيكَ في الرِّحْمِ أيرهُ ... فَجِئْتَ ولم تَعلَم لعينيكَ فَاقِيَا
أأُمُّكَ يا بَشّارُ كانت عفيفةً؟ ... عليّ إذاً مَشْيِي إلى البَيْتِ حَافِيا

قال: ولم يزل بَشّارُ منذ قال فيه هذين البيتين مُنكسِراً.

أخبرنا هاشم بن محمد قال: حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: وُلِد بَشّار أعمى فما نَظَر إلى الدنيا قطُّ، وكان يُشَبِّه الأشياء بعضَها ببعض في شعره فيأتي بما

(١) اللبنة: بنيقة القميص.

لا يقدِر البُصَرَاء أن يأتوا بمثله؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله: [الطويل]

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤوسنا ... وَأَسْيَافَنا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ[١]

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قطّ ولا شيئاً فيها؟ فقال: إن عدم النظر يُقَوِّي ذكاءَ القلب ويقطَع عنه الشغلَ بما يُنظَرُ إليه من الأشياء فيتوفّر حِسّه وتذكو قريحتُه؛ ثم أنشدهم قولَه: [الطويل]

عَمِيتُ جَنِيناً والذَّكاءُ مِنَ العَمَى ... فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ للعلم مَوْئلاَ

وَغَاضَ ضِياءُ العَيْنِ لِلْعِلْم رافداً ... لِقَلْبٍ إذا ضَيَّع النّاسُ حَصّلا[٢]

وشِعْرٍ كَنَوْرِ الرَّوْضِ لاَءَمْتُ بينَه ... بقولٍ إذا ما أَحْزَنَ الشعرُ أسْهَلا[٣]

أخبرنا هاشم قال: حدّثنا العَنزيّ عن قَعْنَب بن مُحْرِز عن أبي عبد الله الشرادنيّ قال: كان بشّارٌ أعمى طويلاً ضخماً آدَم مجدوراً.

وأخبرني يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المَدِينيّ قال: قال الحمرانيّ: قالت لي عمتي: زرتُ قرابةً لي في بني عُقَيْل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنْشِد: [الوافر]

مِنَ المَفْتونِ بَشّارِ بنِ بُرْدٍ ... إلى شَيْبانَ كَهْلِهِمُ ومُرْدِ

بأنَّ فَتاتَكُمْ سَلَبَتْ فؤادِي ... فنِصْفٌ عِنْدَها والنِّصْفُ عِنْدِي

فسألت عنه فقيل لي: هذا بَشّار.

أخبرني محمد بن يحيى الصَّيْرَفِيّ قال: حدّثنا العنزيّ قال: حدّثنا أبو زيد قال: سمعت أبا محمد التَّوَّزِيّ يقول: قال بشّار: أزرى بشعري الأذان. يقول: إنه إسلاميّ.

وأخبرني حَبيب بن نَصْر المُهَلَّبيّ قال: حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال: قال أبو عُبَيدة: قال بشّار الشعرَ ولم يبلغ عَشْرَ سنين، ثم بلغ الحلم وهو مَخْشِيّ مَعَرَّةِ لِسانه[٤]. قال: وكان بشّار يقول: هجوتُ جريراً فأعرض عنّي واستصغرني، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس.

---

(١) تهاوى: تتهاوى، حذف حرف المضارعة. والنقع: الغبار.

(٢) غاض: غاب.

(٣) النَّوْر: الزهر الأبيض.

(٤) المعرة: الأذى، المساءة، المكروه.

[أقوال علماء اللغة والأدب فيه]

وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: كان الأصمعيّ يقول: بشّارٌ خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضَّلتُه على كثيرٍ منهم.

قال أبو زيد: كان راجزاً مُقَصِّداً[1].

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال: حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطّاح قال: حدّثني أبو عُبَيدة قال: سمعت بشّاراً يقول وقد أُنشِد في شعر الأعشَى: [البسيط]

وأنكَرَتْني وما كانَ الذي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوَادِثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع ما يُشْبِه كلامَ الأعشى؛ فعَجِبتُ لذلك. فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس، فقال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنَع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشَى: [البسيط]

وأنْكَرتني وما كانَ الذي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوَادِثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

فجعلت حينئذ أزداد عَجَباً من فِطْنة بشّار وصحّة قريحته وجَوْدة نَقْده للشعر.

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرَانيّ قال: حدّثني أبو حاتم عن أبي عُبَيدَة قال: قال بشار: لي اثنَا عَشَرَ ألفَ بيتٍ عَيْنٍ؛ فقيل له: هذا ما لم يكن يَدّعِيه أحدٌ قطُّ سواك؛ فقال: لي اثنتا عَشْرَة ألفَ قصيدةٍ، لَعَنها اللّهُ ولعن قائلَها إن لم يكن في كل واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ.

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا عليّ بن مَهْدِيّ عن أبي حاتم قال: قلتُ لأبي عُبَيدة: أَمَرْوَانُ[2] عندك أشعرُ أم بَشّار؟ فقال: حَكَم بَشّارٌ لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عَشَرَ ألفَ بيتٍ جَيِّد، ولا يكون عددُ الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة والإسلام هذا العددَ، وما أحسبهم بَرَّزُوا في مثلها، ومَرْوانُ أمدحُ للملوك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: قال بَشّار الشعرَ وله عَشْرُ سنين، فما بَلَغَ الحُلُمَ إلاّ وهو مَخْشِيٌّ مَعَرَّةِ اللسان

(١) مقصِّداً: شاعر قصيد.

(٢) مروان: هو مروان بن أبي حفصة الشاعر الأموي. أدرك العصر العباسي ومدح المهديّ والرشيد. (انظر الأعلام للزركلي ٧/٢٠٨).

بالبَصْرَة. قال: وكان يقول: هَجَوتُ جريراً فاستصغرني وأعرض عنّي، ولو أجابني لكنتُ أشعر أهل زماني.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا أبو العَوَاذِلِ زكريّا بن هارون قال: قال بَشّار: لي اثنا عَشَرَ ألفَ بيت جيّدةٌ؛ فقيل له: كيف؟ قال: لي اثنَتَا عَشْرَةَ ألفَ قصيدةٍ، أما في كلّ قصيدةٍ منها بيتٌ جَيِّد!

وقال الجاحظ في كتاب البَيَان والتبيين وقد ذكره: كان بَشّارٌ شاعراً خطيباً صاحبَ منثورٍ ومُزْدَوجٍ[1] وسَجْعٍ ورسائلَ، وهو من المطبوعين أصحابِ الإبداع والاختراع المُفْتَنِّينَ في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضُرُوبه، قال الشعرَ في حياة جرير وتَعَرَّض له، وحُكِيَ عنه أنه قال: هجوتُ جريراً فأعرض عنّي، ولو هاجاني لكنتُ أشعرَ الناس.

قال الجاحظ: وكان بَشّار يَدِين بالرَّجْعة[2] ويُكَفِّر جميع الأمة، ويصوِّب رأي إبليس في تقديم النار على الطِّين، وذكَر ذلك في شعره فقال: [البسيط]

الأَرْضُ مُظْلِمَةٌ والنارُ مُشْرِقَةٌ ... والنّارُ معبودةٌ مُذْ كانَتِ النّارُ

قال: وبلغه عن أبي حُذَيْفة واصِل بن عَطَاء إنكارٌ لقوله وهَتْفٌ به، فقال يهجوه: [البسيط]

ما لي أُشايِعُ غَزّالاً لَهُ عُنُقٌ ... كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وَإنْ مَثَلا[3]
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالِي وبالُكُم ... تُكَفِّرُون رجالاً كَفَّرُوا رَجُلا!

قال: فلما تَتَابع على واصلٍ منه ما يَشْهد على إلحاده خَطَبَ به واصلٌ، وكان أَلْثَغ على الراء فكان يجتنبها في كلامه، فقال: أمَا لهذا الأعمى المُلْحد، أمَا لهذا المُشَنَّف المَكْنِيّ بأبي مُعاذ من يقتله؟ أمَا والله لولا أن الغِيلةَ سَجِيَّةٌ[4] من سَجَايا الغَالِية لَدَسَسْتُ إليه من يَبْعج بطنَه في جوف منزلِه أو في حَفْله[5]، ثم كان لا يتولّى

(١) المزدوج: ما أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن.
(٢) الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت.
(٣) الغزّال: واصل بن عطاء لقب بالغزال لجلوسه في سوق الغزّالين. والنقنق: ذكر النعام والدوّ: الفلاة الواسعة.
(٤) السجيّة: الطبيعة، الخلق.
(٥) الحفل: الجمع من الناس.

ذلك إلا عُقَيْليٌّ أو سَدُوسِيٌّ! فقال أبا مُعَاذ ولم يقل بَشّاراً، وقال المُشَنَّفَ ولم يقل المُرَعّث، وقال: من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة، وقال: في منزله ولم يقل في داره، وقال: يبعج بطنه ولم يقل يَبْقُر، للّثغة التي كانت به في الرّاء.

قال: وكان واصلٌ قد بَلَغ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أنْ حَذَفَ الراء من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانَها ما يقوم مَقَامها.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثني أبي عن عافيةَ بن شَبِيب قال: حدّثني أبو سُهَيْل قال: حدّثني سَعيد بن سَلاّم قال: كان بالبَصْرة ستّةٌ من أصحاب الكلام: عمرو بن عُبَيْد، وواصل بن عطاء، وبشّارٌ الأعمى، وصالح بن عبد القُدُّوس، وعبد الكريم بن أبي العَوْجاء، ورجلٌ من الأَزْد ـ وقال أبو أحمد: يعني جريرَ بن حازم ـ فكانوا يجتمعون في منزل الأزديّ ويختصمون عنده. فأمّا عَمْرو وواصلٌ فصارا إلى الاعتزال. وأمّا عبدُ الكريم وصالح فصحَّحَا التوبة. وأمّا بَشّار فَبقِيَ متحيِّراً مُخَلِّطاً. وأمّا الأَزْديّ فمال إلى قول السُّمنية[1]، وهو مذهب من مذاهب الهند، وبقي ظاهرُه على ما كان عليه. قال: فكان عبد الكريم يُفسد الأحداثَ؛ فقال له عمرو بن عُبيد: قد بَلَغني أنّك تخلو بالحَدَث من أحداثنا فتُفسدُه وتستزلُّه[2] وتُدْخِلُه في دينك، فإن خرجتَ من مصرنا وإلاّ قمتُ فيك مَقاماً آتِي فيه على نفسك، فلحِق بالكوفة، فدَلّ عليه محمدُ بن سليمان فقتَله وصلبَه بها، وله يقول بشّار: [الخفيف]

قلْ لعبد الكريم يابْنَ أبي العَوْ	جاء بِعْتَ الإِسْلاَمَ بِالكُفْرِ موقا[3]
لا تُصَلِّي ولا تَصُومُ فإن صُمْـ	ـتَ فَبَعْضَ النَّهارِ صوماً رَقِيقَا
لا تُبَالِي إذا أصَبْتَ من الخَمْـ	ـرِ عَتِيقاً ألاّ تكونَ عَتِيقَا
ليتَ شِعْرِي غَداةَ حُلّيتَ في الجيـ	ـد حَنِيفاً حُلّيت أم زِنديقَا
أنت ممّن يَدُورُ في لَعنة اللَّـ	ـهِ صديقٌ لِمَنْ يَنِيكُ الصَّديقَا

(١) السمنية: نسبة إلى سمنات، وهي بلدة بالهند، وهم ملحدون دهريون لا يؤمنون بالآخرة ويقولون بقدم الدهر، وينسبون إليه الحوادث.

(٢) تستزله: توقعه في الزلل.

(٣) موقاً: حمقاً.

[أقوال الأصمعي فيه]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثني الرِّياشِيّ قال: سئل الأصمعيّ عن بَشّار ومَرْوَان أيّهما أشعر؟ فقال: بشّار؛ فسئل عن السبب في ذلك، فقال: لأنّ مروان سلَك طريقاً كثُر من يَسْلُكه فلم يلحَق من تقدّمه، وشَرِكَه فيه من كان في عصره، وبشّار سلَك طريقاً لم يُسلَك وأحسنَ فيه وتفرّد به، وهو أكثر تصرّفاً وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسعُ بَديعاً، ومروان لم يَتجاوز مذاهب الأوائل.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني العَنزيّ عن أبي حاتم قال: سمعت الأصمعيّ وقد عاد إلى البَصْرة من بغداد فسأله رجل عن مَرْوانَ بن أبي حَفْصَة، فقال: وجدَ أهلَ بغداد قد خَتموا به الشّعراء وبشّار أحقُّ بأن يَخْتِموهم به من مروان؛ فقيل له: ولِمَ؟ فقال: وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشّار يقول شعراً حتّى يُصلحَه له بَشّار ويُقوِّمَه! وهذا سَلْمٌ الخاسِرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز، وسَلْم مُعترف بأنه تَبَعٌ لبشّار.

أخبرني جَحْظَةُ قال: سمعت عليّ بن يحيى المُنجِّم يقول: سمعتُ مَن لا أُحصِي من الرّواة يقولون: أحسنُ الناس ابتداء في الجاهليّة امرؤ القيس حيث يقول: [الطويل]

ألا انعِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلل البالِي

وحيث يقول: [الطويل]

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

وفي الإسلام القَطاميّ حيث يقول: [البسيط]

إنّا مُحَيّوكَ فاْسلَمْ أيُّها الطّللُ

ومن المُحدثين بشّار حيث يقول:

صوت

[الطويل]

أبَى طَلَلٌ بالجِزْعِ أن يَتَكلّما ... وماذا عليه لو أجابَ مُتَيَّما

وَبـالـفـرعِ آثـارٌ بَـقِـيـنَ وبـالـلِّـوَى مَـلاَعِـبُ لا يُـعـرَفْـنَ إلا تَـوهُّـمـا[1]

وفي هذين البيتين لابن المَكِّي ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه. وفيهما لابن جُؤذَرٍ رَمَلٌ.

أخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن أبي حاتم قال: كان الأصمعيّ يُعْجَبُ بشعر بَشّار لكثرة فنونه وسعة تصرُّفه ويقول: كان مطبوعاً لا يُكلّف طَبْعه شيئاً متعذّراً لا كمن يقول البيت ويحكّكه[2] أياماً. وكان يُشبِّه بشّاراً بالأعشى والنّابغةِ الذُّبْيانيّ، ويشبِّه مروانَ بزُهيرَ والحُطَيئة، ويقول: هو متكلِّف.

قال الكُرَانيّ: قال أبو حاتم: وقلت لأبي زيد: أيُّما أشعرُ بشّارٌ أم مروان؟ فقال: بشّار أشعر، ومروان أكفر.

قال أبو حاتم: وسألت أبا زيد مرّة أُخرى عنهما فقال: مروان أَجَدُّ وبشّارٌ أَهْزَلُ؛ فحدّثت الأصمعيّ بذلك؛ فقال: بشارٌ يصلُحُ للجِدّ والهزل، ومروان لا يصلحُ إلاّ لأحدهما.

[شعره وإعجاب الناس به]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال: حدّثنا عليّ بن مهديّ قال: حدّثنا نجمُ بن النَّطّاح قال:

عَهدي بالبصرة وليس فيها غَزِل ولا غَزِلَةٌ إلاّ يَرْوِي من شعر بشّار ولا نائحةٌ ولا مُغنّيةٌ إلاّ تتكسَّب به، ولا ذو شرفٍ إلاّ وهو يَهابُه ويَخاف مَعرّةَ لسانه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني أحمد بن المُبارك قال: حدّثني أبي قال: قلتُ لبشّار: ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلاّ وقد قال فيه شيئاً استنكرتْه العربُ من ألفاظهم وشُكّ فيه، وإنه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه، قال: ومن أين يأتيني الخطأ! وُلِدتُ هاهنا ونشأتُ في حُجور ثمانين شَيْخاً من فُصحاء بني عُقَيل ما فيهم أحدٌ يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلتُ

---

(١) الفرع: قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة. (معجم البلدان ٤/ ٢٥٢). واللّوى: وادٍ من أودية بني سليم (معجم البلدان ٥/ ٢٣).

(٢) حكّك الشعر: نقحه وأعاد صياغته.

إلى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم، وأيفعت[١] فأُبدِيتُ[٢] إلى أن أدركتُ، فمن أين يأتيني الخطأ!

أخبرني حَبيب بن نَصْر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان الأصمعيّ يقول: إنّ بشّاراً خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضَّلتُه على كثير منهم.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثني أبو الفَضْل المَرْوَزِيّ قال: حدّثني قَعْنَب ابن المُحْرِز الباهليّ قال: قال الأصمعيّ: لَقِيَ أبو عمرو بن العَلاَء بعضَ الرّواة فقال له: يا أبا عمرو، مَنْ أبدعُ الناسِ بيتاً؟ قال: الذي يقول: [الرمل]

لم يَطُلْ لَيْلِي ولٰكِنْ لم أنَمْ ... وَنَفَى عنِّي الكَرَى طيفٌ ألَمّ
رَوِّحِي عنّي قَلِيلاً واعلَمِي ... أنَّنِي يا عَبْدَ من لَحْمٍ وَدَمْ

قال: فَمَنْ أمدحُ الناس؟ قال: الذي يقول: [الطويل]

لَمَسْتُ بِكَفّي كفَّه أبْتَغِي الغِنَى ... ولم أدْرِ أنّ الجُودَ من كَفِّهِ يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغِنَى ... أفَدْتُ وَأعْدانِي فأتْلَفْتُ ما عِندي

قال: فمَنْ أهْجَى الناسِ؟ قال: الذي يقول: [الطويل]

رأيت السُّهيْلَينِ استوَى الجُودُ فيهما ... على بُعْد ذا من ذاك في حُكم حاكمِ
سُهَيلُ بنُ عثمانٍ يَجُودُ بمالهِ ... كما جادَ بالوَجْعا سُهَيلُ بن سالمِ[٣]

قال: وهذه الأبيات كلُّها لبَشّار.

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغَنَّى فيها

صوت

لم يَطُلْ ليلي وَلٰكِنْ لم أنَمْ ... وَنَفَى عنّي الكرى طَيفٌ ألَمّ
وإذا قُلْتُ لها جُودِي لنا ... خَرَجَتْ بالصَّمْتِ عن لا ونعَمْ
نفِّسِي يا عَبْدَ عنّي واعْلَمِي ... أنَّنِي يا عَبْدَ من لَحْمٍ وَدَمْ

---

(١) أيفع: شبّ.
(٢) أبديت: أسكنت البادية.
(٣) الوجعاء: الدُّبُر.

إنَّ فـي بُـرْدَيَّ جِـسْـمـاً نَـاحِـلاً لـو تَـوَكَّـأتِ عـلـيـهِ لانْـهَـدَمْ
خَـتَـمَ الـحُـبُّ لـهـا فـي عُـنُـقـي مَـوْضِـعَ الـخَـاتَـمِ مـن أَهْـلِ الـذِّمَـمْ

غناه إبراهيم هَزجاً بالسَّبّابة في مجرى الوُسْطى عن ابن المكيّ والهشاميّ، وفيه لقَعْنب الأسْود خفيفُ ثقيلٍ. فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدحُ الناس وأوّلها:

لَـمَـسْـتُ بـكـفِّـي كـفَّـه أبـتـغِـي الـغِـنَـى

فإنه ذكر أنها لبَشّار، وذكر الزُّبيرُ بنُ بَكّار أنها لابن الخَيّاط في المَهْدِيّ، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخيّاط في هذا الكتاب.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا عليّ بن مَهْدِيّ الكِسْروِيّ قال: حدّثنا أبو حاتم قال: كان بشارٌ كثير الوُلُوع بدَيْسَم العَنزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءَه، وكان دَيْسَمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّادٍ وأبي هشام الباهليّ في بشّارٍ، فبلغه ذلك فقال فيه:

أَدَيْسَـمُ يـابْنَ الـذِّئـبِ مِـن نَـجْـلِ زَارعٍ أَتَرْوِي هَجَائي سَادِراً غيرَ مُقْصِرِ[1]

قال أبو حاتم: فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيتَ وسألتُه ما يقولُ فيه، فقال: لمنْ هذا الشعر؟ فقلتُ: لبشار يقوله في دَيْسَم العنزيّ؛ فقال: قاتله الله ما أعلَمه بكلام العرب! ثم قال: الدَّيسمُ: ولدُ الذئب من الكَلبةِ، ويقال للكلاب: أولادُ زَارعٍ، والعِسْبَارُ: ولدُ الضّبُعِ من الذئب. والسِّمْعُ وَلَدُ الذئب من الضبع. وتزعمُ العربُ أن السِّمْعَ لا يموتُ حتفَ أنفِه، وأنه أسرَعُ من الريح وإنما هلاكُه بعَرَض من أعراض الدنيا.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرنا حبيبُ بن نصرٍ المهلَّبيّ قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال: كان بالبصرة رجلٌ يقال له: حَمْدانُ الخرّاطُ، فاتّخذ جاماً[2] لإنسان كان بشّارٌ عنده، فسأله بشار أن يتخِذَ له جاماً فيه صُوَرُ طيرٍ تطيرُ، فاتّخذه له وجاءه به، فقال له: ما في هذا

(١) سادراً: غير مبالٍ ولا مهتمّ.
(٢) الجام: إناء للشراب من فضة ونحوها.

الجام؟ فقال: صُوَرُ طيرٍ تَطِيرُ؛ فقال له: قد كان ينبغي أن تتخذَ فوق هذه الطيرِ طائراً من الجوارح كأنه يُريدُ صيدَها، فإنه كان أحسنَ؛ قال: لم أعلم؛ قال: بلى قد علمتَ، ولكن عَلِمْتَ أني أعمى لا أُبصِرُ شيئاً! وتهدّده بالهجاء، فقال له حَمْدانُ: لا تفعَلْ فإنك تندَمُ، قال: أَوَ تُهَدِّدُني أيضاً! قال: نعم؛ قال: فأيّ شيْءٍ تستطيعُ أن تَصنعَ بي إن هجوتُك! قال: أُصَوِّرُكَ على باب داري بصُورتِكَ هذه وأجعَلُ مِنْ خلفكَ قِرداً يَنْكِحُكَ حتى يَراكَ الصَّادِرُ والوارِدُ؛ قال بشارٌ: اللّهمَّ أَخزِهِ أنا أُمازِحُهُ وهو يأبَى إلا الجِدَّا.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى والحسنُ بن عليّ ومحمدُ بنُ عِمْرانَ الصَّيْرَفِيّ قالوا: حدّثنا العَنزِيّ قال: حدّثني جعفر بن محمد العدويّ عن محمد بن سَلاّم قال: حدّثني مَخْلَدٌ أبو سفيانَ قال: كان جريرُ بنُ المُنْذِرِ السَّدُوسِيّ يُفاخِرُ بشّاراً؛ فقال فيه بشّارٌ: [المتقارب]

أَمِثْلُ بَنِي مُضَرٍ وَائِلٌ فَقَدتُكَ من فاخِرٍ ما أَجَنْ
أَفِي النَّوْمِ هذا أبا مُنْذِرٍ فَخَيْراً رأيتَ وخيراً يَكُنْ
رأيتُكَ وَالفَخْرَ في مثلِهَا كعاجِنَةٍ غيرَ ما تَطْحِنْ

وقال يحيى في خبره: فحدّثني محمد بن القاسم قال: حدّثني عاصم بنُ وهبٍ أبو شِبْلٍ الشاعر البُرْجُمِيّ قال: حدّثني محمدُ بن الحجّاج السراداني قال: كنّا عند بَشّار وعنده رجلٌ ينازعه في اليمانِيَةِ المُضَرِيَّةِ إذ أذّن، فقال له بشار: رُوَيداً، تَفَهَّمْ هذا الكلامَ، فلما قال: أشهدُ أنّ محمداً رسولُ اللّهِ، قال له بشّار: أهذا الذي نُودي باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مُضرَ هو أم من صُداءٍ وعَكٍّ وحِمْيَر؟ فسكتَ الرجلُ.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا الرِّياشيّ قال: أُنشِدَ بشارٌ قول الشاعر: [الطويل]

وقد جَعل الأعداءُ ينتقِصُونَنا وتطمَعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ
ألا إنّما ليلى عَصَا خَيزُرَانَةٍ إذا غَمَزُوها بالأكُفّ تَلِينُ

فقال: والله لو زعم أنها عَصا مُخّ أو عصا زُبْدٍ، لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَةً بعد أن جعلها عصاً! ألا قال كما قلتُ: [الوافر]

ودَعْجاءِ المَحَاجِرِ من مَعَدٍّ كأنّ حديثَها ثَمَرُ الجِنَانِ

إذا قامَتْ لِمشيتها تثنَّتْ كأنَّ عظامَها من خَيْزُرَانِ

أخبرني حَبيبُ بن نَصْر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عمر بنُ شَبَّة قال: أخبرني محمد ابن صالح بن الحجاج قال: قلتُ لبشار: إنِّي أنشدتُ فلاناً قولكَ: [الطويل]

إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مِرَاراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ النَّاسِ تَصفُو مَشَارِبُهْ

فقال لي: ما كنتُ أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لي بشار: ويلك! أفلا قلتَ له: هو والله لأكبرِ الجنِّ والإنسِ!.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال: حدّثني أبو الشِّبْل عن محمد بن الحجاج قال: كان بَشّارٌ يَهوَى امرأةً من أهل البصرة فراسلَها يسألُها زيارتَه، فوعدتْه بذلك ثم أخلفَتْه، وجعل ينتظرها ليلتَه حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها يُعاتبُها، فاعتذَرتْ بمرض أصابها، فكتب إليها بهذه الأبيات: [مجزوء الكامل]

يا لَيْلَتي تَزْدَادُ نُكْرا مِنْ حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكْرَا
حَوراءُ إنْ نظرت إليـ ـكَ سَقَتْكَ بالعينينِ خَمْرا
وكأنَّ رَجْعَ حَدِيثِها قِطَعُ الرِّياض كُسِينَ زَهْرَا
وكأنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هاروتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرَا[1]
وتَخالُ ما جَمَعَتْ عليـ ـهِ ثيابَها ذَهَباً وعِطْرا
وَكَأنَّها بَرْدُ الشَّرا ب صَفَا ووافَقَ منك فِطْرَا
جِنِّيَّةٌ إنْسيَّةٌ أو بَيْنَ ذاكَ أجَلُّ أمْرَا
وكفاكَ أنّي لم أُحِطْ بِشَكاةِ مَنْ أَحْبَبْتُ خُبْرا
إلا مقالةَ زائرٍ نَشَرَتْ لِيَ الأحزانَ نَشْرا
مُتَخَشِّعاً تَحْتَ الهَوَى عشراً وتحت الموتِ عَشْرا

حدّثني جَحْظةُ قال: حدّثني عليّ بن يحيى قال: كان إسحاقُ الموصليّ لا يَعتَدُّ ببشارٍ ويقول: هو كثيرُ التخليط في شعره، وأشعارُه مُختلفةٌ لا يُشبِه بعضُها بعضاً؛ أليس هو القائل: [الرمل]

إنما عَظْمُ سُلَيمَى حِبَّتِي قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظْمُ الجَمَلْ

(١) هاروت وماروت: ملكان يعلمان السحر.

وَإذا أدْنَيتَ مِنها بَصَلاً غَلَبَ المِسْكُ على رِيحِ البَصَلْ

لو قال كلَّ شيء جيّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيَّفَهُ. قال: وكان يُقدِّمُ عليه مَرْوانَ ويقول: هذا هو أشدُّ استواءً شِعْرٍ منه، وكلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها، وكان لا يَعُدُّ أبا نواس البتةَ ولا يَرى فيه خيراً.

[هجاؤه أبا جعفر المنصور]

حدّثنا محمد بن عليّ بن يحيى قال: حدّثنا محمد بن زكريّا قال: حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال: دخل بشّار إلى إبراهيم بنِ عبد الله بن حسن، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ ويُشيرُ عليه برأيٍ يستعمله في أمره، فلما قُتِلَ إبراهيمُ خاف بشارٌ، فقلبَ الكنيةَ، وأظهر أنه كان قالَها في أبي مُسلم وحَذف منها أبياتاً وأوّلُها: [الطويل]

أبا جَعفرٍ ما طُولُ عَيْشٍ بِدَائِمِ ولا سالِمٌ عمَّا قَلِيلٍ بسَالِمِ

قلب هذا البيت فقال: «أبا مسلم».

على المَلِك الجَبّار يَقْتَحِمُ الرَّدَى وَيَصْرَعُهُ في المأزِقِ المتلاحِمِ
كأنَّكَ لم تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَّجٍ عَظِيمٍ ولم تَسْمعْ بِفَتْكِ الأعاجِمِ
تَقَسَّمَ كِسْرَى رَهْطُهُ بِسُيوفِهِمْ وَأَمْسَى أبو العَبَّاسِ أحْلامَ نَائِمِ

يعني الوليد بن يزيدَ.

وقد كانَ لا يَخْشَى انْقِلاَبَ مَكِيدَةٍ عليهِ ولا جَرْيَ النُّحُوسِ الأشائِمِ
مُقِيماً على اللَّذَّاتِ حَتَّى بَدَتْ لَهُ وُجُوهُ المنايا حاسِرَاتِ العَمَائِمِ
وقد تَرِدُ الأيامُ غُرّاً ورُبَّمَا وَرَدْنَ كُلُوحاً باديات الشَّكائمِ[١]
وَمَرْوانُ قد دارَتْ على رأسِهِ الرَّحَى وكانَ لِمَا أجْرَمْتَ نَزْرَ الجَرَائِمِ[٢]
فأصْبَحْتَ تجري سادراً في طَرِيقِهِمْ ولا تَتَّقِي أشْباهَ تِلْكَ النَّقائِمِ
تَجَرَّدْتَ للإسْلاَمِ تَعفُو سَبِيلَه وَتُعْرِي مَطَاهُ لِلُّيوثِ الضرَّاغِمِ[٣]
فما زِلت حتّى اسْتَنْصَرَ الدِّينُ أَهْلَهُ عليكَ فعاذُوا بالسُّيُوفِ الصَّوارِمِ

(١) كلوحاً: عابسات كالحات. وباديات الشكائم: ظاهرات القوة.
(٢) مروان: هو مروان بن محمد الملقب بالحمار، آخر الخلفاء الأمويين. والنزر: القليل.
(٣) تعفو سبيله: تمحو سبيله. ومطاه: ظهره.

فَرُمْ وَزَراً يُنْجِيكَ يابْنَ سَلاَمةٍ فَلَسْتَ بِنَاجٍ من مَضِيمٍ وضَائِمِ

جعل موضع «يابنَ سلامة» «يابن وشيكة» وهي أمّ أبي مسلم.

لَحَا الله قوماً رأسُوكَ عَلَيْهِمُ وما زِلتَ مَرْؤوساً خَبِيثَ المطاعِمِ
أَقُولُ لِبَسَّامٍ عليه جَلاَلَةٌ غَدَا أَرْيحيّاً عاشِقاً للمكارِمِ[1]
من الفاطميّينَ الدّعاةِ إلى الهُدَى جِهَاراً ومَنْ يَهْدِيكَ مثلُ ابنِ فاطِمِ

هذا البيتُ الذي خافه وحذفه بشارٌ من الأبيات.

سِراجٌ لِعَيْنِ المُسْتَضِيءِ وتارةً يكون ظَلاَماً للعَدُوِّ المزاحِمِ
إذا بَلَغَ الرَّأيُ المَشُورةَ فاسْتَعِنْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أو نَصِيحةِ حازمِ
ولا تجعَلِ الشُّورَى عليكَ غَضَاضَةً فإنَّ الخَوَافِي قُوّةٌ للقَوَادِمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أُخْتَها وما خَيْرُ سَيْفٍ لم يُؤيَّدْ بقائِمِ[2]
وخَلِّ الهُوينَا للضَّعيف ولا تكُنْ نَؤُوماً فإن الحَزْمَ ليس بنائمِ
وحَارِبْ إذا لم تُعطَ إلا ظُلاَمةً شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبُول المظالمِ[3]

قال محمد بن يحيى: فحدّثني الفضلُ بن الحُبَاب قال: سمعتُ أبا عثمانَ المازنيّ يقول: سمعتُ أبا عبيدة يقول: مِيميَّةُ بشارٍ هذه أحب إليّ من ميميَّتَيْ جريرٍ والفرزدقِ.

قال محمد: وحدّثني ابنُ الرِّيَاشيّ قال: حدّثني أبي قال: قال الأصمعيّ: قلت لبشّار: يا أبا مُعاذٍ، إن الناس يَعجَبُونَ من أبياتك في المَشُورةِ؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إن المُشَاوِر بين صَوابٍ يفوزُ بثمرته أو خَطأٍ يُشَارَكُ في مكروهه؛ فقلت له: أنت واللّهِ في قولكَ هذا أشعرُ منكَ في شعرك.

[بعض ما جرى لبشار، وبعض نوادره]

حدّثني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا الفَضْلُ بنُ محمد اليَزيديّ عن إسحاقَ، وحدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر عن حَمّاد عن أبيه قال: كان بشارٌ جالساً

---

(١) الأريحي: الواسع الخلق، النشيط إلى المعروف، المرتاح للندى.
(٢) الغلّ: القيد. الجامعة.
(٣) شبا الحرب: نارها.

في دار المهدِيّ[١] والناسُ يَنتظرونَ الإذنَ، فقال بعضُ موالي المهديّ لمن حضر: ما عندكم في قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ فقال له بشارٌ: النَّحلُ التي يعرفُها الناسُ؛ قال: هيهاتَ يا أبا مُعاذٍ، النحلُ: بنو هاشم، وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ يعني العلمَ؛ فقال له بشّار: أراني اللّهُ طعامَكَ وشرابَكَ وشِفاءَكَ فيما يخرجُ من بطون بني هاشم، فقد أوسَعتنَا غَثَاثَةً[٢]؛ فغَضِبَ وشتَم بشّاراً؛ وبلغ المهديَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدّثه بَشّارٌ بها؛ فضحِكَ حتى أمسكَ على بطنِه، ثم قال للرجل: أَجَلْ! فجعل اللّهُ طعامَكَ وشرابكَ مما يخرجُ من بطون بني هاشم، فإنّكَ باردٌ غَثٌّ. وقال محمد بن مَزْيَد في خبره: إنّ الذي خاطبَ بشّاراً بهذه الحكايةِ وأجابه عنها مِنْ موالِي المهديّ المُعلّى بنُ طَرِيفٍ.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخل يَزيدُ بنُ منصور الحِمْيَرِي على المَهْدِيّ وبشّارٌ بين يديه يُنشِدهُ قصيدةً امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بن منصور الحِمْيَرِيّ، وكانت فيه غَفْلَةٌ، فقال له: يا شيخُ، ما صناعتُكَ؟ فقال: أثقُبُ اللؤلؤ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشّار: أَعْزُب[٣] ويلكَ؛ أتتنادَرُ على خالي! فقال له: وما أصنعُ به! يرى شيخا أعمى يُنشِدُ الخليفةَ شِعراً ويسأله عن صناعته!.

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال: وقف على بشّار بعضُ المُجّانِ وهو يُنشِدُ شعراً؛ فقال له: اسْتُر شعرَكَ هذا كما تسترُ عورتَكَ؛ فصفَّقَ بشّارٌ بيديه وغضِب وقال له: من أنت ويلك؟ قال: أنا أعزّكَ الله رجل من باهِلة، وأخوالي من سَلُول وأصهاري عُكْل[٤]، واسمي كلبٌ، ومولدي بأُضّاخ[٥]، ومنزلي بنَهر بلال[٦]؛ فضحك بشّارٌ ثم قال: اذهب ويلكَ! فأنت عَتِيقُ لؤمِك،

---

(١) المهدي: هو ابن أبي جعفر المنصور، وقد تولى الخلافة بعده.
(٢) الغثاثة: رديء الكلام وفاسده.
(٣) أعزب: أغرب، ابتعد.
(٤) باهلة وسلول وعكل: قبائل.
(٥) أضاخ: قرية من قرى اليمامة (معجم البلدان ١/ ٢١٣).
(٦) نهر بلال: نهر بالبصرة احتفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وجعل على جانبيه حوانيت، ونقل إليه السوق.

قد علم اللَّهُ أنك استترتَ منّي بحصونٍ من حديد.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني الفضلُ بنُ سَعيد قال: حدّثني أبي قال: مرّ بشار بقاصٌ بالبصرة فسمعه يقولُ في قَصصهِ: مَنْ صام رجباً وشعبانَ ورمضانَ بنى اللَّهُ له قصراً في الجنّة صَحنُه ألفُ فرسخ في مثلها، وعُلْوُه ألفُ فرسخ، وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصِره عشرةُ فراسخ في مثلها، قال: فالتفتَ بشارٌ إلى قائده فقال: بئستْ واللَّهِ الدارُ هذه في كانون الثاني.

قال الفضلُ بنُ سَعيد: وحدّثني رجلٌ من أهل البصرة ممن كان يتزوّج بالنّهاريّاتِ[1] قال: تزوّجتُ امرأةً منهن فاجتمعتُ معها في عُلْوِ بيتٍ وبشّار تحتنا، أو كنا في أسْفل البيت وبشارٌ في عُلْوِه مع امرأةٍ، فنهَق حمارٌ في الطريق فأجابه حمار في الجيرانِ وحمارٌ في الدار فارتجّتِ الناحيةُ بنهيقها، وضربَ الحمارُ الذي في الدار الأرضَ برجله وجعل يَدُقُّها بها دقّاً شديداً فسمِعتُ بشّاراً يقول للمرأة: نُفِخَ ـ يعلم الله ـ في الصُّورِ، وقامتِ القيامةُ، أما تسمَعِينَ كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها! قال: ولم يلبث أن فَزَعت شاةٌ كانت في السطح فقطعَتْ حبلَها وعَدَت فألقَتْ طبقاً وغَضَارة[2] إلى الدار فانكسرا، وتطاير حمامٌ ودَجَاجٌ كنّ في الدار لصوت الغضارةِ وبكى صبيٌ في الدار؛ فقال بشّار: صحَّ والله الخبرُ ونُشِرَ أهلُ القبور من قبورهم، أَزِفَتِ ـ يشهدُ اللَّهُ ـ الآزفةُ[3] وزُلزِلَتِ الأرضُ زِلْزَالها؛ فعجِبْتُ من كلامه وغاظني ذلك؛ فسألتُ مَنِ المتكلم؟ فقيل لي: بشارٌ، فقلت: قد علمتُ أنه لا يتكلّم بمثل هذا غيرُ بشّارٍ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن محمد جدار قال: حدّثني قُدَامةُ بن نُوح قال: مرّ بشارٌ برجل قد رَمحته بغلةٌ[4] وهو يقول: الحمد لله شكراً، فقال له بشّار: استَزِدْهُ يَزِدْكَ.

قال: ومرّ به قومٌ يحملون جنازة وهم يُسرعونَ المشيَ بها فقال: ما لهم مُسرِعينَ! أَتُراهُمْ سَرَقُوه فهم يخافونَ أن يُلْحَقُوا فيؤخذَ منهم!

---

(١) النهاريات: نساء، لعلهن من بني النهاري، وهي قبيلة من اليمن.

(٢) الغضارة: القصعة الكبيرة.

(٣) أزفت الآزفة: قامت القيامة.

(٤) رمحته: رفسته.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافِيةَ بن شَبيب، وأخبرني به وكيعٌ عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمهُور، قالا: تُوُفّيَ ابنٌ لبشار فجزِعَ عليه؛ فقيل له: أجرٌ قدّمتَهُ، وفَرَطٌ افترطتَه، وذُخْرٌ أحرزْتَه، فقال: وَلَدٌ دَفَنتهُ، وثُكْلٌ تعجّلتُه، وَغيبٌ وعُدِتُه فانتظرتُهُ، والله لئن لم أجزَعْ للنقص لا أفرحُ للزيادة. وقال يَرثيه: [الطويل]

أَجَـارَتَـنـا لا تَـجْـزَعِـي وَأنـيـبِـي ... أتانِي منَ المَوْتِ المُطِلِّ نَصِيبي[1]

بُنَيِّي عَلَى رَغْمِي وسُخْطي رُزِئْتُه ... وبُـدِّلَ أحْـجـاراً وجـالَ قَـلِـيـبِ[2]

وكـانَ كَـريـحـانِ الـغُـصُـون تَـخـالُـهُ ... ذَوَى بـعـدَ إشْـراقٍ يَـسُـرُّ وطِـيـبِ

أُصِـيـبَ بُـنَـيِّـي حـيـن أورَقَ غُـصْـنُـهُ ... وأَلْـقَـى عَـلَـيَّ الـهَـمَّ كُـلُّ قَـريـبِ

عَـجِـبـتُ لإِسْـراعِ الـمَـنِـيَّـةِ نَـحْـوَهُ ... ومـا كـانَ لـو مُـلِّـيـتُـهُ بـعَـجِـيـبِ

أخبرني يحيى بن عليّ قال: ذكر عافيةُ بنُ شَبيب عن أبي عثمانَ اللّيثيّ، وحدّثني به الحسنُ بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبي مُسلم، قالا: رفَع غلامُ بشّارٍ إليه في حساب نفقته جِلاءَ مِرْآةٍ عَشَرَة دراهِمَ، فصاح به بشّارٌ وقال: والله ما في الدنيا أعجبُ من جِلاَء مِرْآةِ أعمى بعشرَةِ دراهمَ، والله لو صَدِئَتْ عينُ الشمس حتى يبقَى العالَمُ في ظُلْمةٍ ما بلغَتْ أجرةُ مَنْ يَجْلوها عَشرةَ دراهم.

أخبرنا محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني المُغيرةُ بن محمد المهلَّبيّ قال: حدّثنا أبو مُعاذ النُّميريّ قال: قلت لبشّار: لِمَ مَدَحتَ يزيدَ بنَ حاتم ثم هجَوْتَه؟ قال: سألني أن أنيكَه فلم أفعل؛ فَضحِكتُ ثم قلتُ: فهو كان ينبغي له أن يغضَبَ، فما موضعُ الهجاء! فقال: أظُنّك تُحِبُّ أن تكون شريكَه، فقلت: أعوذ بالله من ذلكَ ويْلَك!

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثنا أحمد بن خَلاَّد، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمْرانَ الصَّيرَفِيّ، قالا: حدّثنا العَنزِيّ قال: حدّثنا أحمد بن خَلاَّد قال: حدّثني أبي قال: قلتُ لبشّارٍ: إنّكَ لَتجيءُ بالشيءِ الهَجِينِ[3] المتفَاوِتِ، قال: وما ذاكَ؟ قال قلتُ: بينما تقول شعراً تُثِيرُ به النقعَ

(١) أنيبي: توبي، ارجعي.
(٢) جال القليب: جانب البئر.
(٣) الهجين في الأصل: من كان أبوه عربياً وأمه أعجمية، وهنا الشعر الهجين: المستغرَب.

وتخلَعُ به القلوبَ، مثل قولك: [الطويل]

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أو تُمْطِرَ الدِّمَا
إذا ما أَعَرْنا سَيِّداً من قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبرٍ صَلَّى علينا وسَلَّمَا[1]

تقول: [الهزج]

رَبَابَةُ رَبَّةُ البَيْتِ تَصُبُّ الخلَّ في الزَّيْتِ
لها عَشْرُ دَجَاجَاتٍ ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال: لكُلٍّ وَجهٌ وموضعٌ، فالقولُ الأوّلُ جِدٌّ، وهذا قُلتُه في رَبابَة جاريتي، وأنا لا آكلُ البيضَ من السُّوقِ ورَبَابَةُ هذه لها عَشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمعُ لي البيضَ وتحفَظُه عندها، فهذا عندها مِنْ قولي أحسَنُ مِنْ:

(قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ) عندكَ.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثني أحمدُ بن محمد جِدَار قال: حدّثني قُدامةُ بن نوح قال:

كان بشّار يحشُو شِعرَه إذا أعوزَتْه القافيةُ والمعنى بالأشياء التي لا حقيقةَ لها، فمن ذلك أنه أنشدَ يوماً شعراً له فقال فيه:

غَنِّني للغَرِيضِ يابنَ قنانِ

فقيل له: مَنِ ابنُ قنان هذا، لسنا نعرفه من مُغنِّي البصرة؟ قال: وما عليكم منه! ألكم قِبلَهُ دينٌ فتطالبوه به، أو ثأرٌ تُريدون أن تُدرِكوه، أو كَفَلتُ لكم به فإذا غاب طالبتُموني بإحضاره؟ قالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، وإنما أردنا أن نَعرِفَه، فقال: هو رجل يُغَنِّي لي ولا يخرُجُ من بيتي؛ فقالوا له: إلى متَى؟ قال: مُذ يومَ وُلِدَ وإلى يوم يموتُ. قال: وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة:

.... ووافا ني هِلالُ السّماء في البَرْدانِ

فقلنا: يا أبا مُعاذٍ. أين البردان هذا؟ لسنا نعرفُه بالبصرة، فقال: هو بيت في بيتي سمّيتُه البردان، أفعليكم مِنْ تَسميتي داري وبيوتَها شيء فتسألوني عنه!

(١) ذرى: جمع ذروة، وهي القمة.

حدّثني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثني أبو غَسَّانَ دَمَاذ ـ واسمه رَفِيعُ ابن سَلَمَة ـ قال: حدّثني يحيى بنُ الجَوْنِ العَبْديّ رَاوِيةُ بشّارٍ قال: كنا عند بشّار يوماً فأنشدَنا قولَه: [المتقارب]

وجاريةٍ خُلِقَتْ وَحْدَها ... كأن النِّساءَ لَدَيْها خَدَمْ
دُوَار العذارَى إذا زُرْنَها ... أَطَفْنَ بحَوْراءَ مثلِ الصَّنَمْ[١]
ظَمِئتُ إليها فلم تَسْقِني ... بِرِيٍّ ولم تَشْفِنِي من سَقَمْ
وقالت هَوِيتَ فمتْ راشِداً ... كما مات عُروةُ غمّاً بغَمّ[٢]
فلما رأيتُ الهوى قاتِلي ... ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عَمّ
دَسَسْتُ إليها أبا مِجْلَزٍ ... وأيّ فتىً إن أصابَ اعتَزَمْ
فما زال حتى أثابتْ له ... فراح وحلَّ لنا ما حَرُمْ

فقال له الرجل: ومَنْ أبو مجْلزٍ هذا يا أبا مُعاذٍ؟ قال: وما حاجتك إليه! لك عليه دينٌ أو تُطالبُه بطائلةٍ[٣]، هو رجل يتردّدُ بيني وبين مَعارِفِي في رسائلَ. قال: وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا.

[أحداث جَرَت فَجَرَّت شعراً]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: كانتْ بالبصرة قَيْنَةٌ لبعض وَلَدِ سليمان بن عليّ وكانت مُحسِنةً بارعةَ الظَّرفِ، وكان بشّار صديقاً لِسيِّدها ومَدَّاحاً له، فحضر مجلسَه يوماً والجاريةُ تُغَنِّي؛ فَسُرَّ بحضوره وشَرِب حتى سكِر ونام، ونَهَض بشّارٌ؛ فقالت: يا أبا مُعاذ، أُحِبُّ أن تَذكُرَ يومنا هذا في قصيدةٍ ولا تذكُرَ فيها اسمي ولا اسمَ سيّدي وتَكْتُبَ بها إليه؛ فانصرف وكتب إليه: [البسيط]

وذاتِ دَلٍّ كأنَّ البَدْرَ صُورَتُها ... باتَتْ تُغنّي عَمِيدَ القَلْبِ سَكْرانَا[٤]
(إنّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْننا ثمَّ لم يُحيِينَ قتلانَا)
فَقُلْتُ أحسنْتِ يا سُؤْلِي ويا أَمَلِي ... فَأسْمِعيني جَزَاكِ اللّهُ إحسانَا

---

(١) دوار: صنم كان العرب يدورون حوله تبركاً، واستعمله هنا على وجه التشبيه.
(٢) عروة: هو عروة بن حزام أحد شعراء بني عذرة ومتيميهم.
(٣) الطائلة: الثأر.
(٤) عميد القلب: مريض القلب من الحبّ.

(يا حَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّانِ من جَبَلٍ وَحَبَّذا ساكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كانَا)[١]
قالتْ فَهلاّ، فَدَتْكَ النَّفسُ، أَحْسَن مِنْ هذا لِمَنْ كان صبَّ القلبِ حَيرانَا
(يا قَوْمِ أُذْنِي لِبَعْضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ والأذنُ تَعشَقُ قبلَ العَيْنِ أحيانَا)
فقلتُ أَحْسَنْتِ أنتِ الشَّمْسُ طالعةً أضرَمْتِ في القلب والأحشاءِ نِيرانَا
فأسْمِعِينِيَ صوتاً مُطرِباً هَزَجاً يزيدُ صَبّاً مُحِبّاً فيكِ أشجانَا[٢]
يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُفّاحاً مُفَلَّجةً أوْ كُنْتُ من قُضبِ الرَّيحان رَيحانَا[٣]
حتى إذا وَجَدَتْ رِيحِي فأعْجَبَها ونحنُ في خَلْوَةٍ مُثِّلْتُ إنسانَا
فَحَرَّكَتْ عُودَها ثم انثنَتْ طَرَباً تَشْدُو به ثم لا تُخفِيه كتمانَا
(أصبَحْتُ أطْوعَ خَلْقِ الله كُلِّهِمِ لأكثرِ الخلق لي في الحبّ عِصيانَا)
فَقُلْتُ أطربتِنا يا زَيْنَ مجلِسنا فهاتِ إنكِ بالإحسانِ أولاَنَا
لو كنتُ أعلَمُ أنَّ الحُبَّ يقتُلُنِي أعْدَدْتُ لي قَبْلَ أنْ ألقاكِ أكفانَا
فَغَنَّتِ الشَّرْبَ صَوْتاً مُؤْنِقاً رمَلاً يُذْكِي السُّرُورَ ويُبْكِي العَيْنَ ألوانَا[٤]
(لا يَقتُلُ اللَّهُ مَنْ دامَتْ مَوَدّتُهُ وَاللَّهُ يقتُلُ أهلَ الغَدْرِ أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيّدُها بألفَيْ دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً.

[هجاؤه أعرابياً عند مجزأة بن ثور السدوسي]

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال: حدّثني الحسنُ بن عُلَيلٍ قال: حدّثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال: حدّثني أبو عبد الله المقرىء الجَحْدَرِيّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال: دخلَ أعرابِيّ على مَجْزَأة بنِ ثور السَّدُوسيّ وبشّارٌ عنده وعليه بِزَّةُ الشعراءِ، فقال الأعرابيّ: مَنِ الرّجلُ؟ فقالوا: رجلٌ شاعرٌ؛ فقال: أَمَوْليٌ هو أمْ عَرَبيّ؟ قالوا: بل مولًى، فقال الأعرابيّ: وما للموالي وللشعر! فغضِبَ بشّارٌ وسكتَ هُنيهةً، ثم قال: أتأذَنُ لي يا أبا ثورٍ؟ قال: قل ما شئتَ يا أبا مُعاذٍ؛ فأنشأ بشّارٌ يقول:

---

(١) جبل الريان: مواضع متعددة في جزيرة العرب (انظر معجم البلدان ٢/ ١٠٢).
(٢) الهزج: كل صوت فيه ترنم وتطريب.
(٣) مفلجة: مقسمة، مقطعة.
(٤) المؤنق: المعجب. والشَّرْب: الجماعة الشاربون.

[الوافر]

خليلي لا أنامُ على اقتسارِ ... ولا آبى على مَوْلًى وجارِ[1]
سأُخبِرُ فاخرَ الأعراب عنّي ... وعنهُ حِينَ تأذنُ بالفَخارِ
أحِينَ كُسِيتَ بعد العُرْي خزّاً ... ونادَمْتَ الكِرَامَ على العُقَارِ[2]
تُفَاخِرُ يابنَ راعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرار حَسبُكَ مِنْ خَسَارِ
وكنتَ إذا ظَمِئْتَ إلى قَرَاحٍ ... شَرِكْتَ الكلبَ في وَلْغِ الإطارِ[3]
تُريغُ بخُطْبَةٍ كَسْرَ الموالي ... ويُنْسِيكَ المَكارمَ صَيْدُ فَارِ[4]
وتَغْدُو لِلْقَنَافِذِ تَدَّرِيهَا ... وَلَمْ تَعْقِلْ بدَرَّاج الدِّيارِ[5]
وتتَّشحُ الشِّمالَ لِلابِسيها ... وتَرْعَى الضَّأنَ بالبلدِ القِفَارِ[6]
مُقَامُكَ بيننا دَنَسٌ علينا ... فليتَكَ غائِبٌ في حَرِّ نارِ
وَفَخْرُكَ بينَ خِنْزِيرٍ وكَلْبٍ ... عَلَى مِثْلِي من الحَدَثِ الكُبَارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيّ: قَبَحَكَ اللَّهُ! فأنتَ كَسَبْت هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالك!.

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال: حدّثني العَنَزِيّ عن الرِّياشيّ قال: حضرَ بشّارٌ بابَ محمد بن سليمان، فقال له الحاجبُ: اصبِر؛ فقال: إنّ الصبرَ لا يكون إلا على بليّةٍ؛ فقال له الحاجبُ: إنّي أظنُّ أنّ وراءَ قولكَ هذا شرّاً ولن أتعرَّض له؛ فقم فادخُل.

[بينه وبين هلال الرأي]

أخبرني وكيعٌ قال: حدّثنا أبو أيّوبَ المدِينيّ عن محمد بن سلاّم قال: قال هلال الرأي[7] - وهو هلالُ بنُ عطيةَ - لبشّارٍ وكان له صديقاً يمازحه: إنّ اللَّهَ لم يُذْهِبْ بصرَ أحدٍ إلا عَوّضه بشيء، فما عوّضكَ؟ قال: الطويلَ العريضَ؛ قال: وما هذا؟ قال: ألاّ أراك ولا أمثالك من الثقلاء. ثم قال له: يا هلال أتُطِيعُنِي في

(١) الاقتسار: القهر، الغلبة.
(٢) الخز: ما ينسج من الصوف والإبريسم. والعقار: الخمر.
(٣) الإطار: لعله هنا ما حول البيت.
(٤) تريغ: تطلب، تريد.
(٥) تدّريها: تداريها.
(٦) الشمال: جمع شملة، وهي كساء يشتمل به.
(٧) هلال الرأي: أحد فقهاء المذهب الحنفي.

نصيحةٍ أَخُصُّكَ بها؟ قال نعم؛ قال: إنك كنتَ تسرِقُ الحميرَ زماناً ثم تُبْتَ وصِرتَ رافِضيّاً، فعُدْ إلى سَرقةِ الحمير، فهي والله خيرٌ لك من الرَّفْضِ.

قال محمدُ بن سَلاّم: وكان هلال يُسْتثقلُ، وفيه يقول بشّارٌ: [الوافر]

وكيفَ يَخِفُّ لي بصري وسمعي ... وحَوْلِي عَسكَرانِ مِنَ الثِّقالِ
قُعُوداً حولَ دَسْكَرتي وعندي ... كأنّ لهم عَلَيَّ فُضولَ مالِ[1]
إذا ما شِئتُ صَبَّحَني هِلالٌ ... وأيُّ النّاس أثقل من هلالِ

وأخبرني أبو دُلَفَ الخُزَاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشةَ، فذكر أنّ الذي خاطب بشّاراً بهذه المخاطبة ابنُ سَيّابةَ، فلما أجابه بشّار بالجواب المذكور، قال له: من أنت؟ قال: ابن سَيّابةَ؛ فقال له: يابن سَيّابةَ، لو نُكِحَ الأسدُ ما افترَسَ؛ قال: وكان يُتَّهمُ بالأُبْنةِ[2].

قال أيوب: وحدّثني محمدُ بن سلاّم وغيره قالوا: مرّ ابن أخي بشّارٍ به ومعه قومٌ؛ فقال لرجل معه: مَنْ هذا؟ فقال: ابنُ أخيك؛ قال: أشهد أن أصحابه أنذالٌ؛ قال: وكيف علِمتَ؟ قال: ليستْ لهم نِعالٌ.

أخبرنا محمد بن عليّ قال: حدّثني أبي قال حدّثني عافيةُ بنُ شَبيب عن أبي دُهمانَ الغَلاَبِيّ، قال: مررتُ ببشّار يوماً وهو جالس على بابه وحدَه وليس معه خَلقٌ وبيده مِخْصَرَةٌ[3] يَلعبُ بها وقُدَّامَه طبقٌ فيه تُفّاحٌ وأُترجٌّ[4]، فلما رأيتُه وليس عنده أحدٌ تاقَتْ نفسِي إلى أن أسرِقَ ما بين يديه، فجئتُ قليلاً قليلاً وهو كافٌّ يدَه حتى مَددْتُ يدي لأتناوَلَ منه، فرفَع القضيبَ وضرب به يدي ضربةً كاد يكسِرُها، فقلتُ له: قطعَ اللّهُ يدَكَ يابن الفاعلةِ، أنتَ الآن أعمَى! فقال: يا أحمقُ، فأين الحِسُّ!.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثني العَنزيّ قال: حدّثني خالدُ بنُ يزيدَ بن وهب بن جرير عن أبيه قال: كان لبشّار في داره مجلسانِ: مجلسٌ يَجلِسُ فيه بالغداة يُسَمِّيهِ «البردَانَ» ومجلسٌ يَجلسُ فيه بالعَشِيّ اسمه «الرَّقيقُ»، فأصبح ذاتَ يومٍ

---

(١) الدسكرة: بناء كالقصر، أو الأرض المستوية.
(٢) الأبنة: العيب.
(٣) المخصرة: شيء يتوكأ عليه.
(٤) الأترج: ثمر من جنس الليمون.

فاحتجمَ وقال لغلامه: أمسكْ عليّ بابِي واطبُخْ لي مِنْ طَيِّبِ طعامي وصَفِّ نَبِيذِي؛ قال: فإنه لكذلك إذ قُرِع البابُ قرعاً عنيفاً؛ فقال: ويحكَ يا غلامُ! انظُرْ مَنْ يَدُقّ البابَ دَقَّ الشُّرَطِ؛ قال: فنظر الغلامُ، فقال له: نِسْوَةٌ خَمسٌ بالباب يَسألْنَ أن تقولَ لهنَّ شِعراً يَنُحْنَ به؛ فقال: أَدْخِلْهُنَّ، فلمّا دخَلنَ نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى في قَنَانِيِّه في جانب بيتِه؛ قال: فقالت واحدةٌ منهنّ: هو خمرٌ، وقالت الأُخرى: هو زبيبٌ وعسلٌ، وقالت الثالثة: نقيعُ زبيبٍ؛ فقال: لستُ بقائلٍ لكنّ حرفاً أو تَطْعَمْنَ من طعامي وتَشرَبْنَ من شرابِي؛ قال: فتماسَكْنَ ساعةً، ثم قالت واحدةٌ منهنّ: ما عليكنَّ! هو أعمى فكُلْنَ مِنْ طعامه واشرَبْنَ من شرابه وخُذْنَ شِعْرَهُ؛ فبلغ ذلك الحسن البصريَّ فعابه وهَتَف ببشّارٍ، فبلغه ذلك ـ وكان بشّار يُسمِّي الحسنَ البصريّ القَسَّ ـ فقال: [مجزوء الكامل]

لَمّا طَلَعْنَ من الرَّقِيـ ... ـقِ عَلَيَّ بالبَرْدانِ خمسا
وَكَأنَّهُنَّ أهِلَّةٌ ... تَحتَ الثيابِ زَفَفْنَ شَمْسا
باكَرْنَ عِطْرَ لَطِيمةٍ ... وَغَمِسْنَ في الجَادِيِّ غَمْسا[1]

صوت

لمّا طَلَعْنَ حَفَفْنَها ... وأصَخْنَ ما يَهْمِسْنَ هَمْسا[2]
فسألْنَنِي مَنْ في البُيُو ... تِ فقلتُ مَا يُؤْوِينَ إنْسا
لَيْتَ العُيُونَ الطارفا ... تِ طُمِسْنَ عَنّا اليومَ طَمْسا
فَأصَبْنَ من طُرَفِ الحَدِيـ ... ـثِ لَذاذَةً وخَرَجْنَ مُلْسا[3]
لولا تَعَرُّضُهُنَّ لي ... يا قَسُّ كُنْتُ كأنْتَ قَسّا

غنّى في هذه الأبيات يحيى المكيّ، ولحنُه رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو.

أخبرنا يحيى قال: حدّثني العَنزِيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد قال: حدّثني جعفر بن محمد النّوفَليّ ـ وكان يَروِي شعرَ بشّار بنِ بُردٍ ـ قال: جئتُ بشّاراً ذاتَ يوم فحدّثني، قال: ما شعَرتُ منذ أيّام إلا بقارع يقرَع بابي مع الصُّبْح، فقلت: يا جاريةُ انظُري مَنْ هذا، فرجعتْ إليّ وقالت: هذا مالكُ بن دينار؛ فقلت: ما هو من

(١) اللطيمة: نافجة المسك (وعاؤه). والجادي: الزعفران.
(٢) حفّ به: أحاط. وأصاخ: استمع.
(٣) مُلساً: أي ليس فيهن عيب.

أشكالي ولا أضرابي، ثمّ قلت: ائذَني له، فدخل فقال: يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتُشبِّب بنسائهم! فلم يكن عندي إلاّ أن دفعتُ عن نفسي وقلت: لا أعود، فخرج عنّي، وقلتُ في أثره: [المتقارب]

غَدَا مالِكٌ بملاماتِهِ ... عَلَيَّ وما باتَ من باليَهْ

تَناول خَوْداً هَضِيمَ الحَشَى ... من الحُورِ مَحْظُوظَةً عاليَهْ

فَقُلْتُ دَعِ اللَّوْمَ في حُبِّها ... فَقَبْلَكَ أعْيَيْتُ عُذّالِيَهْ

وإنِّي لأكْتُمُهُمْ سِرَّها ... غَداةَ تقولُ لها الجَالِيَهْ[1]

عُبَيدةُ ما لكِ مَسْلُوبَةً ... وَكُنْتِ مُعَطَّرة حاليَهْ

فقالَتْ على رِقْبةٍ: إنّني ... رَهَنْتُ المُرعَّثَ خَلخاليَهْ[2]

بِمَجْلِسِ يَوْمٍ سأُوفي به ... وَلَوْ أجْلَبَ النّاسُ أحْوَالِيَهْ[3]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا العنزيّ قال: حدّثني السَّميدَع بن محمّد الأزديّ قال: حدّثني عبد الرحمن بن الجَهْم عن هِشَام بن الكَلْبِيّ قال: كان أوّلُ بَدْء بشّار أنّه عشِق جارية يقال لها فاطمةُ، وكان قد كُفّ وذَهب بصرهُ، فسمعها تغني فهَويها وأنشأ يقول: [الرمل]

دُرّةٌ بَحْرِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ ... مَازَها التّاجِرُ من بَيْنِ الدُّرَرْ[4]

عَجِبَتْ فَطْمَةُ مِنْ نَعْتِي لها ... هَلْ يُجِيدُ النَّعْتَ مَكْفُوفُ البَصَرْ

أمَتَا بَدَّدَ هٰذا لُعَبِي ... وَوِشاحِي حَلَّهُ حَتَّى انتثَرْ[5]

فَدَعِيني مَعَهُ يا أمتَا ... عَلَّنا في خَلْوةٍ نَقْضِي الوَطَرْ

أقْبَلَتْ مُغْضَبَةً تَضْرِبُها ... وَاعْتَراها كَجُنُون مُسْتَعِرْ

بأبي وَالله ما أحْسَنَهُ ... دَمْعُ عَيْنٍ يَغْسِلُ الكُحْلَ قَطَرْ

أيُّها النُّوّام هُبُّوا ويحكُمْ ... وَاسْألُونِي اليَوْمَ ما طَعْمُ السَّهَرْ

---

(١) الجالية: الماشطة التي تجلو المرأة وتزينها.

(٢) على رقبة: على تحفظ واحتراس.

(٣) أجلب الناس: اجتمعوا وضجوا. وأحواليه: حولي.

(٤) مازها: اختارها.

(٥) أمتا: أمتي، قلبت ياء المتكلم ألفاً.

[بينه وبين رجل من عكل]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفِيّ قال: حدّثنا العَنزيّ قال: حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال: حدّثني أبي عن الحكم بن مَخْلِد بن حازِم قال: مررتُ أنا ورجل من عُكْل من أبناء سوَّار بن عبد الله بقصر أوس، فإذا نحن ببشّار في ظلّ القصر وحدَه، فقال لي العُكْليّ: لا بدّ لي من أن أعبث بِبشّار؛ فقلت: وَيْحك، مَهْ لا تُعرِّض بنفسك وعِرْضِك له؛ فقال: إنّي لا أجده في وقتٍ أخلَى منه في هذا الوقت؛ قال: فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال: يا بشّار، فقال: من هذا الذي لا يَكْنِيني ويدعوني باسمي؟ قال: سأخبرك من أنا، فأَخْبِرْني أنت عن أمّك: أولَدتْك أَعْمَى أم عَمِيتَ بعدما ولدتْك؟ قال: وما تريد إلى ذلك؟ قال: وَدِدتُ أنّه فُسِح لك في بصرك ساعة لتنظُر إلى وجهك في المرآة، فعسى أن تُمْسِكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قَدْرَك؛ فقال: ويْحَكم! مَن هذا؟ أما أحدٌ يُخبرني مَن هذا؟ فقال له: على رِسلك، أنا رجل من عُكْل وخالي يبيع الفَحم بالعَبْلاء[1] فما تقدر أن تقول لي؟ قال: لا شيء، إذْهَبْ، بأبي أنت، في حِفْظ الله.

أخبرني عليّ بن سُلَيمان الأخْفش قال: حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال: حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال: حدّثني العبّاس بن خالد البَرْمَكِيّ قال: كان الزُّوّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن بَرْمك السُّؤَّالَ؛ فقال خالد: هذا والله اسم أستثقله لطُلاّب الخير، وأرفَع قدرَ الكريم عن أن يُسمَّى به أمثالَ هؤلاء المؤمِّلين لأنّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النَّعيم، ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضلُ أدباً، ولكنّا نسمِّيهم الزُّوّار، فقال بشّار يمدَحه بذلك: **[الطويل]**

حَذا خالِدٌ في فِعْلِهِ حَذْوَ بَرْمكٍ ... فَمَجْدٌ له مُسْتَطْرَفٌ وأَصِيلُ
وكان ذوو الآمالِ يُدْعَوْن قَبْلَهُ ... بِلَفْظٍ عَلى الإعْدامِ فيه دَلِيلُ
يُسمَّون بالسُّؤَّال في كُلِّ مَوْطِنٍ ... وإن كان فيهم نابِهٌ وجَلِيلُ
فَسَمّاهُمُ الزُّوّارَ سَتْراً عَلَيْهِمُ ... فأسْتَارُهُ في المُجْتَدِينَ سُدُولُ[2]

قال: وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا

(١) العبلاء: موضع، أو بلد بأرض تبالة، وقيل بديار بكر. (معجم البلدان ٤/ ٨٠).
(٢) المجتدين: طالبي المعروف. وسدول: مرخاة.

الكلام في أمر الزّوّار، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم.

أخبرني عمّي قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني أبو شِبْل عاصم بن وهب قال: نَهَق حِمارٌ ذاتَ يوم بقرب بشّار، فخطر بباله بيتٌ فقال:

[البسيط]

مـا قـام أيْـرُ حِـمـارٍ فـامْـتَـلا شَـبَـقـاً إلا تَـحَـرّك عِـرْقٌ فـي ٱسْـتِ تَـسْـنِـيـم

قال: ولم يُرِد تَسْنيماً بالهجاء؛ ولكنه لمّا بلغ إلى قوله: «إلا تحرَّك عِرْقٌ» قال: في ٱسْتِ مَنْ؟ ومرّ به تسنيم بن الحواري وكان صديقَه فسلّم عليه وضحك، فقال: في استِ تسنيم عَلم الله؛ فقال له: أيش[1] ويْحَك! فأنشده البيتَ، فقال له: عليك لعنةُ الله! فما عندك فَرْقٌ بين صديقك وعدوّك، أيّ شيء حملك على هذا! ألا قلت: «في ٱست حمّاد»، الذي هجاك وفَضَحَكَ وأعْياك، وليست قافيتك على الميم فأَعْذِرَكَ! قال: صدقتَ واللّهِ في هذا كلّه، ولكن ما زلتُ أقول: في ٱست من؟ في ٱست من؟ ولا يخطُر ببالي أحد حتّى مررتَ وسلّمت فرُزِقته؛ فقال له تسنيم: إذا كان هذا جوابَ السّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلَّمتُ عليك؛ وجعل بشّار يضحَك ويُصفِّق بيديه وتَسنيمٌ يشتُمه.

أخبرنا عيسى بن الحُسَين قال: حدّثنا عليّ بن محمّد النَّوْفليّ عن عمّه قال: قالت امرأة لبشّار: ما أدري لِمَ يَهابُك الناسُ مع قُبْح وجهك! فقال لها بشّار: ليس من حُسْنِه يُهاب الأسدُ.

أخبرني حَبيب بن نَصْر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا محمد ابن الحَجّاج قال: دخل بشّار على عُقْبة بن سَلْم، فأنشده بعضَ مدائحه فيه وعنده عقبة بن رُؤْبة يُنْشِده رجزاً يمدَحه به، فسمِعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ، ثم أقبل على بشّار فقال: هذا طِرَازٌ لا تُحْسِنه أنت يا أبا مُعاذ؛ فقال له بشّار: أَلِي يُقال هذا! أنا والله أَرْجَزُ منك ومن أبيك وجدّك؛ فقال له عقبة: أنا والله وأبي فتَحْنا للناس باب الغريب وباب الرّجز، ووالله إني لخليق أن أَسُدّه عليهم؛ فقال بشّار: ارحَمْهم رحمك الله! فقال عقبة: أتستخفُّ بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن

(١) أيش: أي شيء.

شاعر ابن شاعر! فقال له بشّار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهّرهم تطهيراً؛ ثمّ خرج من عنده عقبةُ مُغْضَباً. فلما كان من غدٍ غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رُؤبة، فأنشده أرجوزتَه التي مدحه فيها: [الرجز]

يا طَلَلَ الحَيِّ بذاتِ الصَّمْدِ ... بِاللّهِ خبِّرْ كيفَ كُنْتَ بَعْدِي[1]
أَوْحَشْتَ مِنْ دَعْدٍ وَتِرْب دَعْدِ ... سَقْياً لأَسْماءَ ابْنَةِ الأَشَدِّ
قامَتْ تَراءَى إذ رأتْني وَحْدِي ... كالشَّمْسِ تَحْتَ الزِّبْرِجِ المُنْقَدِّ[2]
صَدَّتْ بِخَدٍّ وَجَلَتْ عن خَدِّ ... ثم انْثَنَتْ كالنَّفَسِ المُرْتَدِّ
عَهْدِي بها سَقْياً له من عَهْدِ ... تُخْلِفُ وَعْداً وَتَفِي بِوَعْدِ
فَنَحْنُ مِنْ جَهْدِ الهَوَى في جَهْدِ ... وزاهِرٍ من سَبِطٍ وجَعْدِ
أَهْدَى له الدَّهْرُ وَلَمْ يَسْتَهْدِ ... أفْوافَ نَوْرِ الحِبَرِ المُجَدِّ[3]
يَلْقَى الضُّحَى رَيحانُهُ بسَجْدِ ... بُدِّلْتُ من ذاكَ بُكىً لا يُجْدِي
وافَقَ حَظّاً مَنْ سَعَى بِجَدِّ ... ما ضرَّ أهلَ النَّوْكِ ضعفُ الجِدِّ[4]
الحُرُّ يُلْحَى وَالعَصا لِلْعَبْدِ ... وَلَيْسَ لِلمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ[5]
والنَّصْفُ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعَدِّي ... وصاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ[6]
حَمَلْتُهُ في رُقْعَةٍ من جِلْدِي ... أرْقُبُ منهُ مثلَ يومِ الوِردِ[7]
حتّى مَضَى غيرَ فَقِيدِ الفَقْدِ ... وما دَرَى ما رَغْبَتِي من زُهْدِي
اسْلَمْ وَحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ ... مِفْتَاحَ بابِ الحَدَثِ المُنْسَدِّ
مُشْتَرَكَ النَّيْلِ وَرِيَّ الزَّنْدِ ... أَغَرَّ لَبَّاسَ ثيابِ الحَمْدِ
ما كان مِنّي لكَ غَيْرُ الوُدِّ ... ثم ثَناءٌ مِثْلُ رِيحِ الوَرْدِ
نَسَجْتُهُ في مُحْكَماتِ النَّدِّ ... فالْبَسْ طِرَازِي غيرَ مُسْتَرَدِّ[8]

---

(١) الصمد: ماء للضباب (معجم البلدان ٣/٤٢٣).
(٢) الزبرج: السحاب. والمنقدّ: المنقطع.
(٣) يستهدي: يطلب الهدية. والأفواف: الثياب الموشاة المخططة. والحِبَر: جمع حبرة وهي ضرب من برود اليمن.
(٤) النوك: الحماقة والغباء. والنوكى: الحمقى.
(٥) ألحف في السؤال: ألحّ.
(٦) النَّصْف: الإنصاف. والدمّل: الخراج. والممدّ: المقيِّح.
(٧) الورد: من أسماء الحمّى.
(٨) الطراز: ما نسج للسلطان من الثياب.

لِلَّهِ أيّامُكَ في مَعْدٍّ وفي بَنِي قَحْطانَ غيرَ عَدِّ
يوماً بذي طِخْفَةَ عندَ الحَدِّ وَمِثْلُهُ أودَعْتَ أرْضَ الهِنْدِ[١]
بالمُرْهَفاتِ والحَدِيدِ السَّرْدِ وَالمُقْرَباتِ المُبْعَداتِ الجُرْدِ[٢]
إذا الحَيا أكْدَى بِها لا تُكْدِي تُلْحِمُ أمْراً وَأُمُوراً تُسْدِي[٣]
وابْنُ حَكِيمٍ إن أتاكَ يَرْدِي أصَمَّ لا يَسْمَعُ صَوْتَ الرَّعْدِ[٤]
حَيَّيْتَهُ بِتُحْفَةِ المُعِدِّ فانهَدَّ مثلَ الجَبَلِ المُنْهَدِّ
كُلّ امْرِئٍ رَهْنٌ بما يُؤدِّي ورُبَّ ذي تاجٍ كريمِ الجَدِّ
كآلِ كِسْرَى وكآلِ بُرْدِ أنْكَبَ جافٍ عن سَبِيلِ القَصْدِ[٥]
فَضَلْتَهُ عن مالِه والوُلْدِ

فطرب عُقبةُ بن سَلْم وأجْزل صِلَته، وقام عقبةُ بن رُؤبة فخرج عن المجلس بِخِزْيٍ، وهرب من تحت ليلته فلم يَعُدْ إليه.

وذكر لي أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخُزَاعيّ هذا الخبرَ عن الجاحظ، وزاد فيه الجاحظ قال: فانظر إلى سُوءِ أدب عُقْبَةَ بن رؤبة وقد أجملَ بشّارٌ مَحْضَرَه وعِشْرَتَه، فقابله بهذه المقابلة القبيحة، وكان أبوه أعلم خلقِ الله به، لأنه قال له وقد فاخَره بشعره: أنت يا بُنيَّ ذَهْبَانُ الشِّعر إذا مُتَّ مات شِعرُكَ معك، فلم يوجد مَن يَرْويه بعدك؛ فكان كما قال له، ما يُعْرَف له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالّ على سُخْفه وسقوطه وسُوءِ أدبه.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا أبو غَسَّان دَمَاذ قال: حدّثنا أبو عُبَيدةَ قال: كان بشّار يَهوَى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عُبيدَةُ، فخرجتْ عن البصرة إلى عُمَان مع زوجها، فقال بشارٌ فيها:

---

(١) طخفة: موضع بين البصرة ومكة.
(٢) السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق.
(٣) الحيا: المطر. وأكدى: بخل. وتلحم: تنسج اللحمة وهي مدّ الخيوط عرضاً. وتسدي: تمدّ الخيوط طولاً.
(٤) يردي: يعدو.
(٥) الأنكب: المائل.

صوت

[الطويل]

هَوَى صاحِبي رِيحُ الشَّمالِ إذا جَرَتْ … وأَشْفَى لِقَلْبِي أنْ تهُبَّ جَنُوبُ
وما ذاكَ إلا أنَّها حِينَ تَنْتَهِي … تَنَاهَى وَفِيهَا مِنْ عُبَيْدَةَ طِيبُ
عَذِيرِي مِنَ العُذَّال إذ يَعْذِلُونَنِي … سَفَاهاً وما في العاذِلِينَ لَبِيبُ

صوت

يقولونَ لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لارْعَوَى … فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ[(١)]
إذا نطقَ القومُ الجُلُوسُ فَإنَّنِي … مُكِبٌّ كأنِّي في الجَمِيعِ غَرِيبُ

أخبرني هاشم قال: حدّثني دَمَاذ قال: حدّثني رجل من الأنصار قال: جاء أبو الشَّمَقْمَقِ إلى بشّار يشكو إليه الضِّيقَة ويحلف له أنه ما عنده شيء؛ فقال له بشّار: والله ما عندي شيء يُغْنِيكَ ولكن قُمْ معي إلى عُقبةَ بن سَلْم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعرٌ وله شكر وثناءٌ، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشّار:

[مجزوء الكامل]

يا وَاجِدَ العربِ الَّذي … أمْسَى وليس لَهُ نَظِيرُ
لَوْ كانَ مِثْلَكَ آخَرٌ … ما كانَ في الدُّنيا فَقِيرُ

فأمر لبشّار بألفَي درهم، فقال له أبو الشمقمق: نفعتَنا ونفعناكَ يا أبا مُعاذٍ؛ فجعل بشّار يَضْحَك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال: حدّثنا زكريّا بن يحيى أبو السُّكينِ الطائيّ قال: حدّثني زَحْرُ بنُ حِصْنٍ قال: حجّ المنصورُ فاستقبلناه بالرَّضْم[(٢)] الذي بين زُبَالة[(٣)] والشُّقُوق[(٤)]، فلما رحَل من الشُّقوق رَحَلَ في وقت الهاجرة فلم يركب القُبّة[(٥)] وركب نَجِيباً[(٦)] فسار بيننا، فجعلت الشمسُ

---

(١) ارعوى: كفّ وارتدع.
(٢) الرضم: موضع على ستة أيام من زبالة (معجم البلدان ٣/ ٥٠).
(٣) زبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة (معجم البلدان ٣/ ١٢٩).
(٤) الشقوق: منزل بطريق مكة من الكوفة (معجم البلدان ٣/ ٣٥٦).
(٥) القبة: الهودج.
(٦) النجيب من الإبل: خيارها.

تضحَك[1] بين عينيه، فقال: إني قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهَبْتُ له جُبَّتِي هذه، فقلنا: يقول أمير المؤمنين، فقال: [الوافر]

وَهـاجِـرَةٍ نَـصَـبْـتُ لـهـا جَـبِـيـنِـي ... يُـقـطِّـعُ ظَـهْـرُهـا ظَـهْـرَ الـعـظـايـهْ[2]

فبدر بشارٌ الأعمى فقال:

وَقَـفْـتُ بـهـا الـقَـلُـوصَ فـفـاضَ دَمْـعِـي ... عـلـى خَـدِّي وأَقْـصَـرَ واعِـظـايَـهْ

فنَزع الجبّةَ وهو راكب فدفعها إليه. فقلتُ لبشّار بعد ذلك: ما فعلتَ بالجُبَّةِ؟ فقال بشّارٌ: بعتُها واللَّهِ بأربعمائةِ دينار.

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزِيّ قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفلِيّ قال: حدّثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل ابن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبي ربيعة عن أبيه قال: كان بشّار منقطعاً إليّ وإلى إخوتي فكان يَغْشانا كثيراً، ثم خرج إبراهيمُ بنُ عبد الله فخرج معه عِدَّةٌ منّا، فلما قُتِلَ إبراهيمُ توارَيْنَا، وحَبس المنصورُ منّا عِدّةً من إخوتي، فلما وَلِيَ المهدِيُّ أمّنَ الناسَ جميعاً وأطلقَ المحبوسين، فقدِمتُ بغدادَ أنا وإخوتي نَلتمِسُ أماناً من المهديّ، وكان الشعراءُ يجلِسُون بالليل في مسجد الرُّصَافَةِ[3] يُنشِدُونَ ويتحدّثونَ، فلم أُطْلِعْ بشّاراً على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهديُّ الأمانَ، وكتب أخي إلى خليفته بالليل، فصِحتُ به: يا أبا مُعاذٍ من الذي يقول: [الهزج]

أُحِـبُّ الـخـاتَـمَ الأَحْـمَـ ... ـرَ مِـنْ حُـبِّ مَـوَالِـيـهِ

فأعرض عنّي وأخذ في بعض إنشاده شعرَه؛ ثم صِحْتُ: يا أبا مُعَاذٍ من الذي يقول: [الرمل]

إنّ سـلْـمَـى خُـلِـقَـتْ مِـنْ قَـصَـبِ ... قَـصَـبِ الـسُّـكَّـرِ لا عَـظْـمِ الـجَـمَـلْ

وإذا أدْنَـيْـتَ مِـنْـهَـا بَـصَـلاً ... غَـلَـبَ الـمِـسْـكُ عـلـى رِيـحِ الـبَـصَـلْ

فغضِبَ وصاح: من الذي يُقَرِّعُنا[4] بأشياءَ كنا نعبَثُ بها في الحداثةِ فهو

---

(١) تضحك الشمس: تتلألأ، وهو مجاز.

(٢) العظاية: دويبة من الزواحف (انظر المعجم الوسيط مادة عظي).

(٣) الرصافة: اسم لمواضع متعددة. انظر (معجم البلدان ٣/٤٦).

(٤) يقرّع: يؤنّب.

يُعَيِّرنا بها! فتركتهُ ساعةً ثم صِحتُ به: يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول: [الطويل]

أَخَشّابُ حَقّاً أَنَّ دارَكَ تُزْعَجُ وأنَّ الذي بَيْنِي وبَيْنَكَ يَنْهَجُ[1]

فقال: وَيْحَك! عن مثلِ هذا فسَلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جَيّدِ شعره، وفيه غِناءٌ:

صوت

فواكَبِدا قد أَنْضَجَ الشَّوْقُ نِصْفَها وَنِصْفٌ على نارِ الصبَّابَةِ يَنْضَجُ

وَوَاحَزَنَا منهنَّ يَحْفُفْنَ هَوْدَجاً وفي الهَوْدَجِ المَحْفُوفِ بَدْرٌ مُتَوَّجُ

فإن جِئْتَها بَيْنَ النِّساءِ فَقُلْ لها عَلَيْكِ سلامٌ ماتَ مَنْ يَتَزَوَّجُ

بَكَيْتُ وما في الدَّمْعِ مِنْكِ خَلِيفَةٌ وَلٰكِنَّ أَحْزَانِي عَلَيْكِ تَوَهَّجُ

الغناء لسُليم بن سلاَّم رملٌ بالوسطى. ووجدتُ هذا الخبر بخط ابن مَهرُويه فذكر أنه قال هذه القصيدةَ في امرأة كانت تَغْشَى مجلسَه وكان إليها مائلاً يقال لها خَشَّابَةٌ، فارسيَّةٌ، فزُوِّجَتْ وأُخْرِجَتْ عن البصرة.

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرانيّ قال: حدّثني أبو حاتم: قال أبو النَّضِيرِ الشاعرُ: أنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي، فقال لي: أيجيئُكَ شعرُكَ هذا كلّما شئتَ أم هذا شيء يجيئك في الفَيْنَةِ بعد الفينةِ إذا تَعمَّلْتَ[2] له؟ فقلت: بل هذا شعرٌ يجيئني كلما أردتُه؛ فقال لي: قلِ فإنك شاعر؛ فقلت له: لعلّك حابيتني أبا مُعاذٍ وتحمَّلتَ لي؛ فقال: أنتَ أبقاك اللَّهُ أهونُ عليّ من ذلك.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ عن العُمَرِيّ عن عبّاس بن عبّاس الزِّنَاديّ عن رجلٍ من باهِلَةَ قال: كنتُ عند بشّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلّم عليه، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال: كيف ابنتي؟ قال: في عافيةٍ، تدعوك اليومَ، فقال بشّار: يا باهليّ انهَضْ بنا، فجئنا إلى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سَرِيّ[3] فأكلنا، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية، فلمّا أراد الانصرافَ قامت فأخذتْ بيد بشّار، فلما صار في

(١) ينهج: يبلى.
(٢) تعملت له: تكلفت، وتعنيت، وأجهدت نفسك.
(٣) سريّ: جيد.

الصحن أومأ إليها ليقبّلها، فأرسلت يدَها من يده، فجعل يجول في العَرْصة[١]، وخرج المولى فقال: ما لك يا أبا مُعاذٍ؟ فقال: أذنبتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقولَ شعراً، فقال: [المتقارب]

أتُـوبُ إلـيـكِ مِـنَ الـسَّـيِّـئـات وأَسْـتَـغْـفِـرُ الـلَّـه مِـنْ فَـعْـلَـتِـي
تـنـاولْـتُ مـا لَـمْ أُرِدْ نَـيْـلَـه عـلـى جَـهْـلِ أمْـرِي وفـي سَـكْـرَتِـي
وَوَالـلَّـهِ والـلَّـهِ مـا جـئـتُـه لِـعَـمْـدٍ ولا كـانَ مِـنْ هِـمَّـتِـي
وإلا فَـمِـتُّ إذاً ضـائـعـاً وعَـذَّبَـنِـي الـلَّـهُ فـي مِـيـتَـتِـي
فـمَـنْ نـال خـيـراً عـلـى قُـبْـلـةٍ فـلا بـارَكَ الـلَّـهُ فـي قُـبْـلَـتِـي

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال: حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: لما أنشد بَشّارٌ أرجوزتَه:

يـا طـلَـل الـحَـيِّ بـذاتِ الـصَّـمَـدِ

أبا المِلدِّ عُقْبة بن سَلْم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخّرها عنه وَكِيلُه ثلاثة أيام، فأمرَ غلامَه بشّارٌ أن يكتبَ على باب عُقْبَة عن يمين الباب: [الرجز]

مـا زالَ مـا مَـنَّـيـتـنِـي مِـنْ هَـمِّـي وَالـوعْـدُ غَـمٌّ فَـأَرِحْ مـن غَـمِّـي
إن لَـمْ تُـرِدْ حَـمْـدِي فَـرَاقِـبْ ذَمِّـي

فلما خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال: هذه مِنْ فَعَلات بشّارٍ، ثم دعا بالقَهْرَمانِ[٢]، فقال: هل حملتَ إلى بشّارٍ ما أمرتُ له به؟ فقال: أيها الأمير نحن مُضِيفُونَ وغداً أحمِلُها إليه؛ فقال: زِدْ فيها عشرةَ آلاف درهم واحمِلْها إليه الساعةَ؛ فحمَلها مِن وقتِه.

[نهي المهديّ بشاراً عن التشبيب بالنساء]

أخبرني هاشم قال: حدّثنا أبو غَسَّانَ دَمَاذ قال:

سألتُ أبا عُبَيدة عن السبب الذي من أَجله نَهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال: كان أوّلُ ذلك ٱستهتارَ نساءِ البصرة وشُبَّانِها بشعره، حتى قال سوّار بن عبد

(١) العرصة: ساحة الدار.
(٢) القهرمان: أمين الدخل والخرج (أمين الصندوق).

الله الأكبر ومالك بن دينار: ما شيءٌ أدعَى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ وما زالا يَعظِانه، وكان واصلُ بنُ عطاءٍ يقول: إن مِنْ أخدعِ حبائلِ الشيطان وأغواها لكَلماتِ هذا الأعمى الملحِد، فلما كثُر ذلك وانتهى خَبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ، وأنشد المهديَّ ما مدحَه به، نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب، وكان المهديّ من أشدّ الناس غَيْرَةً؛ قال: فقلت له: ما أحسَبُ شِعرَ هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كُثيّرٍ وجَميلٍ وعُرْوةَ بن حزام وقيس بن ذَرِيح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَنْ يسمع تلك الأشعارَ يَعرِفُ المراد منها، وبشّار يُقارِب النساءَ حتى لا يخفَى عليهنّ ما يقولُ وما يُريدُ، وأيّ حُرَّةٍ حَصَانٍ تسمع قول بشّار فلا يؤثّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغَزِلَة والفتَاةِ التي لا همَّ لها إلا الرجالُ! ثم أنشد قوله: [المنسرح]

قد لامَنِي في خَلِيلَتِي عُمَرُ ... واللَّوْمُ في غير كُنهِه ضَجَرُ
قالَ أفِقْ قلتُ لا فقالَ بَلَى ... قد شاعَ في النّاس منكما الخَبَرُ
قُلْتُ وإذ شاعَ ما اعتذارُكَ ممّـ ... ـا ليس لي فيه عِنْدَهُمْ عُذُرُ
ماذا عليهِمْ وما لَهُمْ خَرِسُوا ... لو أنّهم في عُيُوبِهِمْ نَظَرُوا
أعْشَقُ وَحْدِي وَيُؤْخَذُونَ بِهِ ... كالتُّرْكِ تَغْزُو فتُؤخَذُ الخَزَرُ
يا عَجَباً لِلخِلافِ يا عَجَباً ... بِفِي الَّذِي لامَ في الهَوَى الحَجَرُ
حَسْبِي وَحَسْبُ الذي كَلِفْتُ به ... منِّي وَمِنْهُ الحَدِيثُ والنَّظَرُ
أوْ قُبلَةٌ في خلالِ ذاكَ وما ... بأسٌ إذا لم تُحَلَّ لي الأُزُرُ
أو عَضَّةٌ في ذِراعِها وَلَها ... فَوْقَ ذراعِي مِنْ عَضِّها أَثَرُ
أو لَمْسَةٌ دونَ مِرْطِها بِيَدِي ... وَالبابُ قد حالَ دونَهُ السُّتُرُ
والسّاقُ بَرَّاقةٌ مُخَلْخَلُها ... أو مَصُّ رِيقٍ وَقَدْ علا البُهُرُ(١)
وَاسْتَرْخَتِ الكَفُّ لِلعِراك وقا ... لتْ إيهِ عَنِّي وَالدَّمْعُ مُنحَدِرُ
إنهَضْ فما أنتَ كالذي زَعَمُوا ... أنتَ وَرَبِّي مُغَازِلٌ أشِرُ
قد غابَتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتي ... واللَّهُ لي مِنْكَ فِيكَ يَنْتَصِرُ
يا رَبِّ خُذْ لي فقد تَرَى ضَرَعِي ... مِنْ فاسِقٍ جاء ما به سَكَرُ(٢)
أهْوَى إلى مِعْضَدِي فَرَضَّضَهُ ... ذو قُوَّةٍ ما يُطاقُ مُقتَدِرُ

(١) البهر: تتابع النفس من الإعياء.
(٢) الضَّرَع: الضعف.

أَلْصَقَ بي لِحْيَةً لَهُ خَشُنَتْ ذاتَ سَوادٍ كأنَّها الإبَرُ
حَتَّى عَلانِي وأُسْرَتِي غَيَبٌ وَيْلِي عَلَيْهِمْ لو أنَّهُمْ حَضَرُوا[1]
أُقْسِمُ باللهِ لا نَجَوْتَ بها فاذْهَبْ فأنْتَ المُساوِرُ الظَّفِرُ
كَيْفَ بأُمِّي إذا رَأَتْ شَفَتِي أمْ كَيْفَ إن شاعَ مِنْكَ ذا الخَبَرُ
قد كنتُ أخشى الذي ابتُليتُ به مِنْكَ فماذا أقُولُ يا عبرُ[2]
قُلْتُ لها عندَ ذاك يا سَكَنِي لا بأسَ إنّي مُجَرَّبٌ خَبِرُ[3]
قُولِي لها بَقَّةٌ لها ظُفُرٌ إن كان في البَقِّ ما له ظُفُرُ

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تميل القلوبُ ويلين الصَّعْبُ.

قال دَمَاذ: قال لي أبو عبيدة: قال رجلٌ يوماً لبشّار في المسجد الجامع يُعابثه: يا أبا مُعاذ، أيُعجبك الغلامُ الجادل[4]؟ فقال غير مُحتشِم ولا مُكترث: لا، ولكن تُعْجِبُني أُمّه.

[مدحه خالد بن برمك بفارس]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا العَنزيّ قال: حدّثني محمد بن سهْل عن محمد بن الحجّاج قال: ورد بَشّار على خالد بن بَرْمَك وهو بفارس فامتدحه، فوعده ومَطَله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده: [الطويل]

أَظَلَّتْ علينا مِنْكَ يوماً سحابةٌ أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رِشَاشُها[5]
فلا غَيْمُها يُجْلِي فَيَيأَسَ طامِعٌ ولا غَيْثُها يأتِي فيَرْوَى عِطاشُها

فحَبَس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرِف السّحابةُ حتى تَبُلَّك إن شاء الله.

[تظاهره الخروج للحج]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال: حدّثني عليّ بن

(١) غيب: جمع غائب.
(٢) العَبَر: الجريء القويّ.
(٣) الخَبِر: الخبير.
(٤) الغلام الجادل: اليافع الذي قوي واشتد وصلب.
(٥) الرِّشاش: المطر الخفيف، جمع رَشّ.

حَرْب الطائيّ قال: حدّثني إسماعيلُ بن زِيَاد الطائيّ قال: كان رجلٌ منا يقال له سعد بن القَعْقَاع يتندّم[1] بشّاراً في المَجَانة[2]، فقال لبشّار وهو يُنادمه: وَيْحَك يا أبا مُعاذ! قد نَسبنَا الناسُ إلى الزَّنْدَقة، فهل لك أن تَحُجَّ بنا حِجّةً تنفي ذلك عنا؟ قال: نِعْمَ ما رأيتَ! فاشترَيَا بعيراً ومَحْمِلاً ورَكِبا، فلما مَرّا بزُرارَة[3] قال له: ويحك يا أبا مُعَاذ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها! مِلْ بنا إلى زُرَارة نتنعّم فيها، فإذا قَفَل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة[4] وجَزَزْنا رؤوسَنا فلم يَشُكَّ الناسُ أنّا جئنا من الحجّ؛ فقال له بشّار: نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك، وإني أخاف أن تَفْضَحنا. قال: لا تخفْ. فمالا إلى زُرَارة فما زالاَ يشرَبان الخمر ويَفْسُقان، فلما نزَل الحاجُّ بالقادسية راجِعِينَ، أخذا بعيراً ومَحْمِلاً وجَزَّا رؤوسهما وأقبلا وتلقّاهما الناسُ يهنِّئونهما؛ فقال سعد بن القَعْقاع: [الوافر]

ألـم تَـرَنِـي وَبَـشّـاراً حَـجَـجْـنـا ... وكـانَ الـحَـجُّ مِـنْ خَـيْـرِ الـتّـجـارَهْ

خَـرَجْـنـا طـالِـبَـيْ سَـفَـرٍ بَـعِـيـدٍ ... فـمـالَ بـنـا الـطَّـرِيـقُ إلـى زُرَارهْ

فـآبَ الـنّـاسُ قـد حَـجُّـوا وَبَـرُّوا ... وأُبْـنَـا مُـوقَـريـن مـن الـخـسـارهْ

[سلاطته وبذاءته وقلة أدبه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثني محمد بن القاسم الدِّينَوريّ قال: حدّثني محمد بن عِمْران بن مطر الشاميّ قال: حدّثني محمد بن الحَسَّان الضَّبِّيّ قال: حدّثني محمود الورّاق قال: حدّثني داود بن رَزِين قال: أتينا بَشَّاراً فأذن لنا والمائدةُ موضوعةٌ بين يديه فلم يَدْعُنا إلى طعامه فلما أكل دَعَا بطَسْت فكَشَفَ عن سَوْءته فبالَ؛ ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ فلم يصلِّ، فدنَوْنا منه فقلنا: أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياءَ أنكرناها؛ قال: وما هي؟ قلنا: دخلنا والطعامُ بين يديك فلم تدعُنا إليه؛ فقال: إنما أَذِنتُ لكم أن تأكلوا ولو لم أرِد أن تأكلوا لَمَا أذِنتُ لكم؛ قال: ثم ماذا؟ قلنا: ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فبُلْتَ ونحن نراك؛ فقال: أنا مكفوف وأنتُم بُصَراء وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار، ثم قال: ومَهْ؛ قلنا: حضرتِ الظهرُ

---

(١) يتندم: ينادم.

(٢) المجانة: المجون والفسق.

(٣) زرارة: محلة بالكوفة.

(٤) القادسية: بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً. (معجم البلدان ٤/ ٢٩١).

والعصرُ والمغربُ فلم تُصَلِّ فقال: إن الذي يقبلها تفاريقَ يقبلها جُمْلةً.

أخبرنا يحيى قال: حدّثني أبو أيُّوبَ المدينيّ عن بعض أصحاب بشّار قال: كنا إذا حضرتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بَشّار فنجعل حول ثِيابه تراباً لننظُر هل يصلِّي فنعود والترابُ بحاله.

أخبرنا يحيى قال: أخبرنا أبو أيّوب عن الجِرْمازِيّ قال: قعد إلى بَشّار رجلٌ فاستثقله فضَرط عليه ضَرْطةً، فظنّ الرجل أنّها أَفْلَتَتْ منه، ثم ضَرط أُخرى، فقال: أفلتت، ثم ضَرط ثالثة، فقال: يا أبا مُعاذ، ما هذا؟ قال: مَهْ! أرأيتَ أم سمِعتَ؟ قال: بل سمعتُ صوتاً قبيحاً، فقال: فلا تُصَدِّق حتى تَرَى.

قال: وأنشد أبو أيّوب لبشّارٍ في رجل استثقلَه: [الخفيف]

رُبّما يثقُلُ الجليسُ وإن كا ... ن خَفيفاً في كِفّةِ الميزانِ
كَيفَ لا تَحمِلُ الأمانةَ أرضٌ ... حَمَلَتْ فَوْقَها أبا سُفْيانِ

وقال فيه أيضاً: [السريع]

هل لكَ في مالِي وعِرْضي معاً ... وكلِّ ما يملك جِيرانِيَهْ
واذْهَبْ إلى أبْعَدِ ما يُنْتَوَى ... لا رَدّكَ الله ولا مالِيَهْ[1]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثني محمد بن إبراهيم الجيليّ قال: حدّثني محمد بن عِمْرانَ الضَّبِّيّ قال: أنشدْنا الوليدَ بن يزيدَ قولَ بَشّار الأعمى: [الخفيف]

أيّها السّاقيانِ صُبّا شَرَابي ... واْسقِيانِي من رِيقِ بَيْضاءَ رُودِ[2]
إن دائي الظّمَا وإن دَوائي ... شَرْبَةٌ من رُضَابِ ثغرٍ بَرُودِ[3]
ولها مَضْحَكٌ كغُرِّ الأقاحِي ... وَحَدِيثٌ كالوَشْيِ وشْيِ البُرُودِ[4]
نَزَلَتْ في السّوادِ من حَبّةِ القَلْـ ... ـبِ ونالَتْ زِيادةَ المُسْتَزِيدِ
ثم قالَتْ نَلْقاكَ بعدَ لَيالٍ ... واللّيالي يُبْلِينَ كلَّ جديدِ

---

(١) يُنْتَوَى: يُقْصَد.
(٢) الرُّود: الشابة الحسنة الشباب.
(٣) الثغر البَرُود: المرصوفة أسنانه كحبّ البَرَد.
(٤) البرود: جمع برد، وهو ثوب مخطط ملوّن.

عـنـدهـا الـصَّـبْـرُ عـن لـقـائـي وَعِـنْـدِي زَفَـراتٌ يـأكُـلْـنَ قَـلْـبَ الـحَـدِيـدِ

قال: فطرب الوليد وقال: مَن لي بمزاجِ كاسِي هذه من رِيق سَلْمَى فيَرْوى ظَمَئي وتَطْفأ غُلَّتي ثم بكى حتى مزَج كأسَه بدمعه، وقال: إن فاتَنا ذاك فهذا.

[هجاؤه جاره]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال: حدّثني محمد بن محمد ابن سُلَيمان الطُّفَاويّ قال: حدّثني عبد الله بن أبي بكر - وكان جليساً لبَشّار - قال: كان لنا جارٌ يكنى أبا زيد وكان صديقاً لبشّار، فبعث إليه يوماً يطلُبُ منه ثياباً بِنَسيئةٍ[١] فلم يصادفْها عنده، فقال يهجوه:

أَلاَ إنّ أبـــــا زيـــــدٍ زَنَـى فـي لَـيْـلَـة الـقَـدْرِ
وَلَـمْ يَـرْعَ، تـعـالـى الـلَّــهُ ربِّـي، حُـرْمـةَ الـشَّـهْـرِ

وكتبها في رُقْعة وبعث بها إليه، ولم يكن أبو زيد يقول الشعرَ، فقلبها وكتب في ظهرها: [الهزج]

ألا إن أبـــا زيـــدٍ لـــه فـــي ذلـكـم عُـــذْرُ
أتَـتْـــهُ أُمُّ بـــشّـــارٍ وقَـــدْ ضـــاقَ بـهـا الأمـــرُ
فَـوَاثَـبَـهـا فـجـامَـعَـهـا ومـا سـاعَـدَه الـصَّـبْـرُ

قال: فلما قُرِئَتْ على بشّار غَضِب وندِم على تعرّضه لرجل لا نباهةَ له، فجعل ينطَحُ الحائطَ برأسه غيظاً؛ ثم قال: لا تَعرَّضْتُ لِهجاءِ سَفِلَةٍ[٢] مثلِ هذا أبداً.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني بعضُ ولد أبي عُبَيدِ الله وزيرِ المهديّ، قال: دخل بشّار على المهديّ وقد عُرِضَتْ عليه جاريةٌ مُغَنِّيةٌ فسمع غناءها فأطربه وقال لبشّار: قُلْ في صفتها شعراً؛ فقال: [الطويل]

ورائـحـةٍ لِـلْـعَـيْـنِ فِـيـهـا مَـخِـيْـلَـةٌ إذا بَـرَقَـتْ لـم تَـسْـقِ بَـطْـنَ صَـعِـيـدِ[٣]

(١) النسيئة: التأخير. يقال: باعه بنسيئة: أي باعه بدين مؤخر إلى أجل.

(٢) سفلة الناس: أسافلهم وغوغاؤهم.

(٣) الرائحة: السحابة الماطرة في العشيّ. والمخيلة: السحابة التي تظنها ماطرة. والصعيد: وجه الأرض.

من المستَهلاّتِ السُّرور على الفتى خفا بَرقُهَا[1] في عبقرٍ وعُقُودِ[2]
كأن لساناً ساحراً في كلامها أُعِينَ بصوتٍ للقلوب صَيُودِ[3]
تُميتُ به ألبابَنا وقُلوبَنَا مراراً وتُحيِيهنَّ بعدَ هُمُودِ

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال: قال أبو عَدْنَان: حدّثني يحيى بن الجَوْن قال: دخل بَشّار يوماً على عُقبةَ بن سَلْمٍ فأنشده قولَه فيه:

صوت

[الخفيف]

إنّما لَذَّةُ الجَوَادِ ٱبْنِ سَلْمٍ في عَطَاءٍ ومَرْكَبٍ لِلِّقَاءِ
ليس يُعطيكَ للرَّجاءِ ولا الخَوْفِ وَلَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ
يَسقُطُ الطَّيْرُ حيثُ يَنتثِرُ الحَبُّ وتُغْشَى مَنازِلُ الكُرَمَاءِ
لا أُبالِي صَفْحَ اللَّئِيم ولا تَجْرِي دُموعِي على الخَرُونِ الصَّفاءِ
فَعَلَى عُقْبَةَ السَّلامُ مَقِيماً وإذا سارَ تَحْتَ ظِلِّ اللِّواءِ

فوصَلَه بعشرة آلاف درهم. وفي هذه الأبيات خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر لِرذَاذٍ وهو مختار صنعته وصُدورِها ومما تشبّه فيه بالقدماء ومذاهبهم.

[رواية شعره]

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيُّ قال: حدّثنا أحمد بن خَلاَّدٍ عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهروَيه قال: حدّثني أحمد بن خلاَّد عن الأصمعيّ قال: كنتُ أَشهدُ خَلَفَ بنَ أبي عمرو بن العلاء وخَلَفاً الأحمرَ يأتيانِ بشّاراً ويُسَلِّمانِ عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: يا أبا مُعاذٍ، ما أحدَثْتَ؟ فيخبرُهما ويُنشِدهما ويسألانِه ويكتُبان عنه مُتَواضِعَيْن له حتى يأتيَ وقتُ الظهر ثم يَنصرِفَان عنه، فأتياه يوماً فقالا له: ما هذه القصيدَةُ التي أحدَثْتها في سَلْمِ بنِ قتيبةَ؟ قال: هي التي بلغَتْكُما؛ قالا: بلغنا

(١) خفا برقها: لمع.
(٢) عبقر: بلدة باليمن توشّى بها الثياب والبسط. وأراد هنا الثياب المصنوعة بعبقر.
(٣) الصيود: الماهر في الصيد.

أنكَ أكثرتَ فيها من الغريب، فقال: نعم، بلغني أنّ سَلْماً يتباصرُ بالغريب فأحببتُ أن أُورِدَ عليه ما لا يعرفُه؛ قالا: فأَنْشِدْناها، فأنشَدَهُما: [الخفيف]

بَكِّرَا صاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ إنّ ذاكَ النَّجاحَ في التَّبكِيرِ[1]

حتى فرغ منها؛ فقال له خَلَف: لو قلت يا أبا مُعاذٍ مكان «إن ذاك النجاح»:

* بَكِّرا فالنَّجاحُ في التبكيرِ *

كان أحسنَ؛ فقال بشّار: بَنَيتُهَا أعْرابيّةً وحْشِيّةً فقلتُ: «إنّ ذاكَ النجاحَ» كما يقول الأعرابُ البَدوِيُّون، ولو قلتُ: «بَكِّرا فالنجاحُ» كان هذا من كلامِ المولَّدينَ ولا يُشبه ذلكَ الكلامَ ولا يدخُل في معنى القصيدة؛ فقام خَلَفٌ فقبَّلَ بينَ عينيهِ، وقال له خَلفُ بنُ أبي عمرو يُمازِحُه: لو كان عُلاثَةَ[2] ولدكَ يا أبا مُعاذٍ لفَعَلتُ كما فعل أخي، ولكنّكَ مولىً، فمدّ بشارٌ يدَه فضرب بها فَخذَ خَلَفٍ وقال: [البسيط]

أُرْفُقْ بعَمْرٍو إذا حَرَّكْتَ نِسبَته فإنّهُ عَرَبِيٌّ من قَوارِيرِ

فقال له: أفعَلتها يا أبا مُعاذٍ! قال: وكان أبو عمرو يُغْمَزُ[3] في نسبه.

وأخبرني ببعضِ هذا الخبرِ حبيبُ بنُ نصر عن عُمرَ بنِ شَبَّةَ عن أبي عُبيدةَ، فذكر نحوه وقال فيه: إنّ سَلْماً يُعجِبُهُ الغَرِيبُ.

أخبرني هاشمُ بن محمد بن سَلاَّم قال قال لي خَلفٌ: كنت أسمعُ ببشّار قبل أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانَه وسُرعةَ جوابه وجودة شعره، فاستنشَدْتُهم شيئاً من شعره، فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: والله لآتينّه ولأُطأطِئَنَّ منه[4]، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه، فرأيته أعمَى قبيحَ المنظرِ عظيم الجثّةِ، فقلتُ: لعنَ اللهُ مَنْ يُبالِي بهذا، فوقفتُ أتأمَّلهُ طويلاً، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال: إنّ فلاناً سبّكَ عند الأمير محمد بن سليمان ووضَع منكَ؛ فقال: أو قد فَعل؟ قال: نعم؛ فأطرقَ، وجلس الرجل عنده وجلستُ، وجاء قومٌ فسلّموا

(١) الهجير: الهاجرة، نصف النهار عند اشتداد الحرّ.

(٢) علاثة: اسم علم عربي، ولم يقصد به رجلاً بعينه.

(٣) يُغمز في نسبه: يطعن فيه.

(٤) طأطأ منه: خفضه وحطّ من قدره.

عليه فلم يردُدْ عليهم، فجعلوا ينظرونَ إليه وقد دَرَّتْ أوداجه[١]، فلم يلبَثْ إلا ساعةً حتى أنشَدَنا بأعلى صوتِه وأفخمِه: [الكامل]

نُبِّئتُ نائِكَ أُمِّهِ يَغْتابُنِي عندَ الأميرِ وهل عَلَيَّ أميرُ
نَارِي مُحرِّقَةٌ وبَيتِي واسِعٌ لِلْمُعْتَفِينَ ومَجلِسي مَعْمُورُ
ولِيَ المهابةُ في الأحِبَّةِ والعِدَا وكأنَّني أسَدٌ له تامُورُ[٢]
غَرِثَتْ حَليلتُه وأخطأ صَيْدَهُ فَلَهُ على لَقَمِ الطَّرِيقِ زَئِيرُ[٣]

قال: فارتَعَدتْ والله فَرائِصي[٤] وٱقْشَعَرَّ جَلدي وعَظُمَ في عيني جدًّا، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعَدني من شَرِّكَ.

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثنا العباسُ بن خالد قال: مدح بَشّارٌ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه: [الطويل]

لعَمْري لَقَد أَجْدَى عليَّ ٱبنُ برمَكٍ وما كلُّ مَنْ كان الغِنَى عندهُ يُجْدِي
حَلَبْتُ بشِعْري راحتَيْهِ فَدَرَّتا سماحاً كما دَرَّ السَّحابُ مع الرَّعْدِ
إذا جئتَه لِلْحَمْدِ أشْرَقَ وَجْهُهُ إليكَ وأعطاكَ الكرامَةَ بالحَمْدِ
له نِعَمٌ في القوم لا يَسْتَثِيبُها جَزاءً وكَيْلَ التاجرِ المُدَّ بالمُدِّ[٥]
مُفِيدٌ وَمِتْلافٌ، سَبيلُ تُراثِهِ إذا ما غَدا أوْ راحَ كالجَزْرِ والمَدِّ
أخالدُ إنّ الحَمْدَ يبقَى لأهلِه جَمالاً ولا تَبْقَى الكُنُوزُ على الكَدِّ
فأَطْعِمْ وكُلْ من عارَةٍ مُستَردَّةٍ ولا تُبْقِها، إن العَوارِيَّ للرَّدِّ[٦]

فأعطاه خالدٌ ثلاثينَ ألفَ درهم، وكان قبل ذلك يُعطِيه في كلِّ وِفادةٍ خمسة آلاف درهم وأمر خالدٌ أن يُكْتَبَ هذانِ البيتانِ[٧] في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. وقال ابنه يحيى بن خالد: آخِرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتينِ.

---

(١) درت أوداجه: امتلأت دماً. والأوداج جمع ودج، وهو عرق في العنق.
(٢) التامور: عرين الأسد.
(٣) غرثت: جاعت. ولَقَم الطريق: متنه ووسطه.
(٤) ارتعدت فرائصه: خاف وفزع. والفرائص: جمع فريصة وهي لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الخوف.
(٥) يستثيبها: يطلب ثوابها.
(٦) العارة: ما تعطيه غيرك على أن يردّه إليك.
(٧) أراد البيتين الأخيرين.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال: حدّثني محمد ابن عبد الله بن عثمان قال: كان الوزير مولى عبد القيس من عُمّال الخراج، وكان عفيفاً بخيلاً، فسأل عُمَرَ بنَ العلاء، وكان جواداً شجاعاً، في رجل فوهب له مائةَ ألفِ درهم؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عُمَر بنَ العلاء خائنٌ؛ قال: ومن أين علمتَ ذلك؟ قال: كُلِّمَ في رجل كان أقصى أمَلِه ألفَ درهم فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فضحك المهديّ ثم قال: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه»، أما سمعتَ قول بشّار في عُمَرَ: [المتقارب]

إذا دَهَمَتْكَ عِظَامُ الأمورِ ... فَنَبِّهْ لها عُمَراً ثم نَمْ
فتىً لا يَنامُ على دِمْنَةٍ ... ولا يَشْرَبُ الماءَ إلا بدَمْ(١)

أو ما سمعتَ قولَ أبي العَتاهِيَة فيه:

صوت

[الكامل]

إنّ المطايا تَشتَكِيكَ لأنها ... قَطَعَتْ إليك سَبَاسِباً ورِمَالاَ
فإذا وَرَدْنَ بِنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً ... وإذا رَجَعْنَ بنا رَجَعْنَ ثِقَالاَ

ـ الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانةَ ـ أو ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية: [البسيط]

يابْنَ العَلاء ويابْنَ القَرْمِ مِرْداسِ ... إني لأُطْرِيكَ في صَحْبي وجُلاَّسِي
حَتَّى إذا قيل ما أعطاكَ مِن نَشَبٍ ... أُلْفَيْتُ من عُظْمِ ما أسْدَيْتَ كالناسِي(٢)

ثم قال: مَنِ ٱجتمعَتْ ألسُنُ الناسِ على مدحه كان حَقِيقاً أن يُصدِّقها بفعله.

أخبرني محمدُ بن خلف بن المَرْزُبَانِ قال: حدّثني أبو بكر الرَّبعيّ قال: كانت لبشّار جاريةٌ سوداءُ وكان يَقَعُ عليها، وفيها يقول: [السريع]

وَغَادَةٍ سَوداءَ بَرَّاقَةٍ ... كالماءِ في طِيبٍ وَفِي لِينِ
كأنَّها صِيغَتْ لمن نالها ... مِنْ عَنْبَرٍ بالمِسْكِ مَعجُونِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ٱبنُ مَهْرُوَيه قال: حدّثني أبو الشِّبلِ

(١) الدمنة: الحقد القديم.
(٢) النشب: ما يملكه الإنسان من مال وعقار.

البُرْجُمِيّ قال: قال رجلٌ لبشّار: إنّ مدائحكَ عُقبةَ بنَ سَلْم فوق مدائحكَ كلَّ أحدٍ؛ فقال بشّار: إنّ عطاياه إيّايَ كانت فوق عطاء كلّ أحدٍ، دخَلتُ إليه يوماً فأنشدتُه:

[الخفيف]

حَــرَّمَ اللهُ أن تَــرى كــابْــنِ سَــلْــمٍ ... عُـقْـبَـةِ الـخـيـرِ مُـطْـعِـمِ الـفـقـراءِ
لـيـس يُـعـطِـيـكَ لِـلـرَّجـاءِ ولا الـخـو ... فِ ولـكـن يَـلَـذُّ طَـعْـمَ الـعَـطـاءِ
يَـسـقُـط الـطَّـيْـرُ حـيـثُ يَـنْـتَـثِـرُ الـحَـ ... ـبُّ وتُـغْـشَـى مَـنـازِلُ الـكُـرَمـاءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وها أنا قد مدحْتُ المهديّ وأبا عُبيد الله ووزيرَه ـ أو قال يعقوبَ بن داودَ ـ وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً، أفأُلامُ على مدحِي هذا!.

ونَسختُ من كتاب هارونَ بنِ عليّ أيضاً حدّثنيَ عليّ قال: حدّثني عبيد الله بن أبي الشِّيصِ عن دِعْبلِ بن عليّ قال: كان بشّارٌ يُعطِي أبا الشَّمَقْمَقِ في كلّ سنة مائتَيْ درهم، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هَلُمَّ الجزيةَ يا أبا مُعاذ؛ فقالَ: ويْحَكَ! أجِزيةٌ هي! قال: هو ما تسمعُ؛ فقال له بَشّارٌ يُمازحه: أنتَ أفصحُ منّي؟ قال: لا؛ قال: فأعلمُ منّي بمثالِب[1] الناس؟ قال: لا، قال: فأشعرُ منّي؟ قال: لا، قال: فلِم أُعطيكَ؟ قال: لئلاّ أهجُوكَ؛ فقال له: إنْ هجوتَني هجوتُكَ؛ فقال له أبو الشمقمق: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل ما بدا لكَ، فقال أبو الشمقمق:

[الرجز]

إنِّــي إذا مــا شــاعِــرٌ هــجَــانِــيَــهْ ... وَلَــجّ فــي الــقــول لــه لِــسَــانِــيَــهْ
أدخــلــتُــه فــي أســتِ أمّــهِ عَــلاَنِــيَــهْ ... بــشّــارُ يــا بــشّــارُ. . . . .

وأراد أن يقولَ: «يابنَ الزانِيَهْ»؛ فوثبَ بشّارٌ فأمسكَ فاه؛ وقال: أراد واللهِ أن يَشتُمَني، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له: لا يَسمَعَنَّ هذا منكَ الصِّبيانُ يا أبا الشّمقمَقِ.

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال: حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزيُّ قال: حدّثني محمد بن بكر قال: حدّثني الأصمعيّ قال: أمرَ عقبةُ بنُ سَلْم الهُنَائيُّ لبشّارٍ بعشرة آلاف درهم، فأُخبرَ أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّاراً فقال له: يا أبا

(١) مثالب الناس: عيوبهم، جمع مثلبة.

مُعاذٍ، إني مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشِدُونَ: [مجزوء الرمل]

هَــلِّــلِــيــنَــهْ هَــلِّــلِــيــنَــهْ طَــعْــنَ قِــثَّــاةٍ لِــتِــيــنَــهْ
إنّ بــشّـــارَ بْـــنَ بُـــرْدٍ تَــيْــسٌ أعــمَــى فــي سَــفِــيــنَــهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتيْ درهم فقال: خذ هذه ولا تكن رَاوِيَة الصبيانِ يا أبا الشمقمقِ.

أخبرني أحمد قال: حدّثنا أبو محمد الصَّعْتَرِيُّ قال: حدّثنا محمدُ بن عثمانَ البصريّ قال: استمنَحَ بشّارُ بن برد العبّاسَ بنَ محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس فلم يَمْنَحْهُ، فقال يهجوه: [البسيط]

ظِـلُّ الـيَـسـارِ عـلـى الـعَـبَّـاسِ مَـمـدُودُ وقَـلـبُـهُ أبـداً فـي الـبُـخْـلِ مَـعـقُـودُ
إنّ الـكَـرِيـمَ لَـيُـخْـفِـي عَـنـكَ عُـسْـرَتَـهُ حَـتّـى تَـراه غَـنِـيًّـا وَهْـوَ مَـجْـهُـودُ
وَلِـلْـبَـخِـيـلِ عـلـى أمْـوَالِـهِ عِـلَـلٌ زُرْقُ الـعُـيـونِ عَـلَـيْـهـا أوجُـهٌ سُـودُ
إذا تـكـرَّهْـتَ أن تُـعْـطِـي الـقَـلِـيـلَ وَلَـمْ تَـقْـدِرْ عـلـى سَـعَـةٍ لـم يَـظْـهَـرِ الـجُـودُ
أوْرِقْ بِـخَـيـرٍ تُـرَجَّـى لِـلـنَّـوَالِ فـمـا تُـرْجَـى الـثِّـمـارُ إذا لـم يُـورِقِ الـعُـودُ
بُـثَّ الـنَّـوالَ ولا تَـمـنَـعْـكَ قِـلَّـتُـهُ فَـكُـلُّ مـا سَـدَّ فَـقْـراً فَـهْـوَ مَـحْـمُـودُ

أخبرني أحمد قال: حدّثنا العَنزِيُّ قال: حدّثني المغيرةُ بن محمد المهلَّبيّ قال: حدّثني أبي عن عَبَّادِ بن عَبَّادٍ قال: مررتُ ببشّار فقلت: السّلامُ عليكَ يا أبا مُعاذٍ، فقال: وعليك السلام، أعبّاد؟ فقلت: نعم؛ قال: إني لحَسنُ الرأي فيكَ؛ فقلت: ما أحوجَني إلى ذلك منك يا أبا معاذ!.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: أخبرني محمد بن عمرَ الجُرْجانيّ عن أبي يعقوب الخُرَيميّ الشاعر أنّ بشّاراً قال: لم أزل منذ سمعتُ قولَ امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول: [الطويل]

كـأنّ قـلـوبَ الـطـيـرِ رَطْـبـاً ويـابـسـاً لَدى وكرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالِي

أُعْمِلُ نفسِي في تشبيه شيئين بشيئَينِ في بيتٍ حتى قلتُ: [الطويل]

كـأنَّ مُـثَـارَ الـنَّـقْـعِ فَـوْقَ رُؤوسِـنـا وَأسْـيـافَـنـا لَـيْـلٌ تَـهَـاوَى كَـواكِـبُـهْ

قال يحيى: وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمِريُّ فقال: وأحسنَ: [البسيط]

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لا شَمْسٌ ولا قَمَرٌ إلا جَبِينُكَ وَالمَذْرُوبَةُ الشُّرُعُ[(١)]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثني أبي قال: كان إسحاقُ الموْصِليُّ يَطعَنُ على شعرِ بشّارٍ ويضعُ منه ويذكر أنّ كلامَه مُختلِفٌ لا يشبه بعضُه بعضاً؛ فقلنا: أتقولُ هذا القولَ لمن يقولُ:

صوت

[الطويل]

إذا كُنْتَ في كلّ الأمُورِ مُعاتِباً صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الَّذِي لا تُعاتِبُهْ

فَعِشْ واحِداً أو صِلْ أخاكَ فإنّهُ مُقارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجانِبُهْ[(٢)]

إذا أنْتَ لم تَشْرَبْ مِرَاراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

ـ لأبي العُبَيْسِ بن حمدون في هذه الأبياتِ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ـ قال عليّ بن يحيى: وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولاَ حَشوَ فيه؛ فقال لي إسحاقُ: أخبرني أبو عُبيدَة مَعْمرُ بنُ المثنّى أن شُبَيلَ بنَ عَزْرَةَ الضُّبَعِيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّسِ، وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من بني ضُبَيعةَ؛ فقلتُ له: أفليس قد ذكر أبو عبيدةَ أنه قال لبشّار: إن شُبيلاً أخبره للمتلمّس؟ فقال: كذبَ واللهِ شُبيلٌ، هذا شعري، ولقد مدحْتُ به ٱبنَ هُبيرةَ فأعطاني عليه أربعين ألفاً. وقد صدَقَ بشّارٌ، وقد مدح في هذه القصيدةِ ٱبنَ هُبيرةَ، وقال فيها: [الطويل]

رُوَيْدَ تَصَاهَلْ بالعِراقِ جِيَادُنَا كأنّكَ بالضَّحّاكِ قد قامَ نَادِبُهْ[(٣)]

وَسامٍ لِمَرْوانٍ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا وَهَوْلٌ كَلُجِّ البَحْرِ جَاشَتْ غوارِبُهْ

أحَلَّتْ به أُمُّ المنايا بنَاتِها بأسيافنا، إنّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهْ

وَكُنّا إذا دَبَّ العَدُوُّ لِسُخْطِنَا وَراقَبَنا في ظاهِرٍ لا نُرَاقِبُهْ

رَكِبنَا له جَهْراً بكلّ مُثَقَّفٍ وَأبْيَضَ تَستَسْقِي الدِّمَاءَ مَضَارِبُهْ[(٤)]

ثم قلتُ لإسحاق: أخبرني عن قول بشّار في هذه القصيدةِ: [الطويل]

فَلَمَّا تَوَلّى الحَرُّ وٱعتَصَرَ الثَّرَى لَظَى الصَّيْفِ مِنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ لاَهِبُهْ

---

(١) المذروبة: المحدّدة. والمشروعة: السيوف المسلولة.

(٢) مقارف الذنب: مرتكبه، مخالطه. ومجانبه: المبتعد عنه.

(٣) رويد: مهلاً.

(٤) المثقف: الرمح المستوي. والأبيض: السيف.

وَطارَتْ عَصافيرُ الشَّقائقِ واكْتَسَى مِن الآلِ أمْثالَ المَجَرَّةِ ناضِبُهْ[١]
غَدَتْ عَانَةٌ تشكو بأبصارِها الصَّدَى إلى الجأب إلا أنها لا تُخَاطِبُهْ

ـ العانةُ: القَطِيعُ من الحَمِير، والجَأب: ذَكَرها. ومعنى شَكْواها الصَّدَى بأبصارها أنّ العطش قد تبيّنَ في أحداقها فغارَتْ ـ قال: وهذا من أحسن ما وُصِف به الحمارُ والأُتُنُ، أفهذا للمتلمّسِ أيضاً! قال: لا؛ فقلت: أفما هو في غاية الجَوْدَة وشبيهٌ بسائر الشعر، فكيف قصد بشّارٌ لسرقةِ تلك الأبياتِ خاصّةً! وكيف خصه بالسرقة منه وحده من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويلٍ! وقد رَوَى الرُّواةُ شعرَه وعلم بشّارٌ أنّ ذلك لا يخفَى، ولم يُعْثَرْ على بشّارٍ أنه سَرقَ شعراً قطّ جاهليًّا ولا إسلاميًّا. وأُخرى فإنّ شعرَ المتلمّس يُعرَفُ في بعض شعر بشّار؛ فلم يَرْدُدْ ذلك بشيء.

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا أبو غَسَّان معاذ عن أبي عُبيدَة أنّ بشّاراً أنشدَه: **[الطويل]**

إذا كُنْتَ في كُلِّ الأمُورِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الَّذِي لا تُعاتِبُهْ

وذكر الأبيات، قال: وأنشدتُها شُبيلَ بنَ عَزْرَةَ الضُّبَعِيّ، فقال: هذا للمتلمّس؛ فأخبرتُ بذلك بشّاراً، قال: كذب والله شُبَيلٌ، لقد مدحتُ ٱبنَ هُبيرةَ بهذه القصيدةِ وأعطاني عليها أربعين ألفاً.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا عليّ بن مهديّ قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم المَرْوَزيّ، وكان أبوه من قوّاد طاهر، قال: حدّثني أبي قال: لما خَلع محمّدٌ المأمونَ ونَدب له عليّ بنَ عيسى، ندَب المأمونُ للقاء عليّ بن عيسى طاهِرَ بنَ الحسين ذا اليمينَينِ[٢] وجلس له لعَرْضِه وعَرْض أصحابه، فمرّ به ذو اليمينَينِ مُعترضاً وهو يُنشِدُ:

رُوَيْدَ تَصَاهَلْ بالعِراق جِيادُنا كأنَّكَ بالضَّحّاك قَدْ قامَ نادِبُهْ

فتفاءل المأمونُ بذلك فاستدناه فاستعاده البيتَ فأعاد عليه؛ فقال ذو

---

(١) الشقائق: جمع شقيقة، وهي الأرض الصلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب. والآل: السراب. والمجرة: مجموعة نجوم لا تدرك بالعين المجردة ينتشر ضوؤها كأنه بقعة بيضاء.

(٢) ذو اليمنين (١٥٩ ـ ٢٠٧ هـ): طاهر بن الحسين، من كبار الوزراء والقواد، قتل الأمين وعقد البيعة للمأمون.

الرِّياستَينِ[١]: يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ العِرَاقِ[٢]؛ قال: أجلْ. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل: هل بقي من ولد بشّار أحد؟ فقالوا: لا؛ فتوهّمتُ أنه قد كان همَّ لهم بخيرٍ.

أخبرنا يحيى قال: حدّثنا أبي قال: أخبرني أحمد بن صالح - وكان أحدَ الأدباء - قال: غَضِبَ بشّارٌ على سَلْمِ الخاسِرِ وكان من تلامذته ورُواته فاستشفعَ عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاءوه في أمره؛ فقال لهم: كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيَّةٌ إلا سَلْماً؛ قالوا: ما جئناكَ إلا في سَلْم ولا بدّ مِنْ أن تَرضَى عنه لنا؛ فقال: أينَ هو الخبيثُ؟ قالوا: ها هو هذا، فقام إليه سَلْمٌ فقبَّل رأسَه ومثَل بين يديه وقال: يا أبا مُعاذٍ، خِرِّيجُكَ وأديبُكَ؛ فقال: يا سَلْمُ، مَنِ الذي يقول: [البسيط]

مَنْ راقَبَ النَّاسَ لم يَظْفَرْ بِحاجَتِهِ وَفازَ بالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ[٣]

قال: أنتَ يا أبا مُعاذٍ، جعلني اللهُ فِداءَكَ! قال: فمَن الذي يقول:

[مخلع البسيط]

مَنْ راقَبَ النَّاسَ ماتَ غَمًّا وَفازَ باللَّذَّةِ الجَسُورُ

قال: خِرِّيجُكَ يقول ذلك (يعني نَفْسَه)؛ قال: أفتأخُذُ معانِيَّ التي قد عُنِيتُ بها وتَعِبتُ في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ مِنْ ألفاظي حتى يُرْوَى ما تقولُ ويَذهَب شِعْري! لا أرضَى عنك أبداً، قال: فما زال يتضرَّعُ إليه، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضِيَ عنه. وفي هذه القصيدةِ يقول بشّارٌ:

لَوْ كُنْتِ تَلْقَيْنَ ما نَلْقَى قَسَمْتِ لنا يَوْماً نَعِيشُ به مِنْكُمْ ونَبتَهِجُ

صوت

لا خَيْرَ في العَيْش إن كُنّا كذَا أبداً لا نَلْتَقِي وَسَبِيلُ المُلْتَقَى نَهَجُ[٤]
قالُوا حرامٌ تلاقِينَا فَقُلْتُ لَهُمْ ما في التَّلاقِي ولا في قُبْلَةٍ حَرَجُ

---

(١) ذو الرِّياستين: هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف.
(٢) حجر العراق: ركنه وأساسه الذي يعوّل عليه.
(٣) الفاتك اللهج: الماجن المثابر على مجونه.
(٤) النهج: الطريق البيِّن الواضح.

مَنْ راقَب النَّاسَ لم يَظْفَرْ بحاجتِه وفاز بالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ
أشْكُو إلى الله هَمًّا ما يُفَارِقُنِي وشُرَّعاً في فُؤادي الدَّهْرَ تَعْتَلِجُ[١]

أخبرنا محمدُ بنِ عِمْرانَ الصَّيرَفِيُّ قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزِيّ قال: حدّثنا أحمد بن خلاَّدٍ قال: أنشدتُ الأصمعيّ قولَ بشّارٍ يهجو بَاهِلَةَ: [الرمل]

وَدَعانِي مَعْشَرٌ كُلُّهُمُ حُمُقٌ دامَ لهمْ ذاكَ الحُمُقْ
لَيْسَ من جُرْمٍ وَلٰكِنْ غاظَهُمْ شَرَفِي العارِضُ قَدْ سَدَّ الأُفُقْ

فاغتاظ الأصمعيُّ فقال: وَيْلي على هذا العبدِ القِنّ[٢] ٱبنِ القِنّ!.

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني عباسُ بن خالد قال: سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ أنّ ٱمرأةً قالتْ لبشّار: أيّ رجل أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحيةِ والرأسِ! قال بشّار: أما عَلِمْتِ أن بيض البُزاة أثمن من سُود الغِربان؛ فقالت له: أما قولك فحَسنٌ في السّمع، ومن لك بأن يَحسُن شَيبُكَ في العين كما حسنَ قولك في السّمع! فكان بشّار يقول: ما أفحمني قطّ غيرُ هذه المرأة.

ونسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني إسحاق بن كلبة قال: قال لي أبو عثمان المازنيّ: سئل بشار: أيُّ متاع الدنيا آثَرُ عندكَ؟ فقال: طعامٌ مُزّ[٣]، وشرابٌ مُرّ، وبنتُ عشرين بِكْر.

أخبرني عمي قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، وأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو تَوْبَةَ عن صالح بن عطيّة قال: كان النساء المتظرّفات يدخُلْنَ إلى بشّار في كلّ جمعة يومين، فيجتمعن عنده ويسمَعْن من شعره، فسمِع كلام ٱمرأة منهنّ فعلِقَها قلبُه وراسلها يسألها أن تُواصله؛ فقالت لرسوله: وأيُّ معنى فيك لي أوْ لك فيّ! وأنت أعمَى لا ترَاني فتعرف حسني ومقداره؛ وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لي فيك! فليت شعرِي لأيّ شيء تطلُب وِصال مثلي! وجعلَتْ تهزَأُ به في المخاطبة؛ فأدّى الرّسولُ

(١) الشرَّع: في الأصل: الرماح، وهنا: الخواطر، وتعتلج: تتصارع.
(٢) العبد القِنّ: العبد ابن العبد.
(٣) الطعام المُزّ: ما كان طعمه بين الحموضة والحلاوة.

الرّسالةَ، فقال له: عُد إليها فقل لها: [الكامل]

أيْـرِي لَـهُ فَـضْـلٌ عـلـى آيـارهـم   وإذا أشَـظَّ سَـجَـدْنَ غَـيْـرَ أوابـي[1]
تَـلْـقـاهُ بَـعْـدَ ثـلاثَ عـشْـرةَ قـائـمـاً   فِـعْـلَ الـمُـؤذِّن شَـكَّ يَـوْمَ سَـحـاب
وَكَـأنَّ هــامَـةَ رأسِـهِ بِـطّـيـخَـةٌ   حُـمِلَتْ إلى مَلِكٍ بدجلةَ جابي[2]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدّثنا أبو هفّانَ قال: أخبرني أحمد ابن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال: قال مروان لبشّار لما أنشده هذا البيتَ:

[الرمل]

وإذا قُـلْـتُ لـهـا جُـودي لـنـا   خَـرَجَـتْ بـالـصَّـمْـتِ مِـن لاَ ونَـعَـمْ

جعلني الله فِداءك يا أبا معاذ! هلاّ قلتَ: «خَرِستْ بالصَّمْت»؛ قال: إذاً أنا في عقلك فضّ الله فاك! أأتطيّر على مَنْ أُحِبُّ بالخَرَس!.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني بعضُ أصحابنا قال: وفَد بشّار إلى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده: [الطويل]

أخـالِـدُ لَـمْ أخْـبِـطْ إلـيـك بِـذِمّـةٍ   سِـوَى أنَّـنِـي عَـافٍ وأنْـتَ جَـوادُ[3]
أخالدُ بينَ الأجْرِ والحَمْدِ حاجَتي   فـأيّـهـمـا تـأتـي فـأنْـتَ عِـمـادُ
فإن تُعْطِنِي أُفرِغْ عليكَ مَدَائحي   وإنْ تَـأْبَ لـم يُـضْـرَبْ عـلـيّ سِـدادُ[4]
رِكابي على حَرْفٍ وقلبي مُشَيَّعٌ   ومـالـي بـأرض الـبـاخِـلـيـنَ بِـلادُ[5]
إذا أنْـكَـرَتْـنِـي بَـلْـدَةٌ أو نَـكِـرْتُـهـا   خَـرَجْـتُ مع الـبـازِي عَـلَـيَّ سَـوادُ

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضَع واحداً عن يمينه وواحداً عن شِماله وآخرَ بينَ يديه وآخر خلفَه، وقال: يا أبا معاذ، هل ٱستقلّ العماد؟ فلمَس الأكياسَ ثم قال: ٱستقلّ والله أيّها الأميرُ.

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال: قال محمدُ بن

---

(١) أشظّ: أنعظ. وأوابي: جمع آبية، وهي الممتنعة.
(٢) الجابي: الذي يجبي الزكاة.
(٣) لم أخبط. لم أسِر. والذمة: العهد. والعافي: السائل والطالب المعروف.
(٤) السّداد: ما يسدّ به الخلل.
(٥) الحرف: الناقة القوية. والمشيَّع: الشجاع الجريء القلب.

الحجّاج: حدّثني بشّار قال: دخلت على الهَيْثم بن معاويةَ[١] وهو أمير البصرة، فأنشدتُه:

إنّ السّلام أيُّها الأمِيرُ عَلَيْكَ والرَّحْمَةُ والسُّرُورُ

فسمعته يقول: إنّ هذا الأعمى لا يدَعنا أو يأخذَ من دراهمنا شيئاً؛ فطمِعتُ فيه فما برحتُ حتّى آنصرفتُ بجائزته.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال: وقَف رجلٌ من بني زيد شريفٌ، لا أُحبّ أن أُسمّيَه، على بشّار، فقال له: يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَوالينَا، تَدعوهم إلى الانتفاء منّا وتُرغّبهم في الرُّجوع إلى أصولهم وترك الوَلاء، وأنت غيرُ زاكي الفَرع ولا معروف الأصلِ؛ فقال له بشار: والله لأصْلي أكرمُ من الذّهب، ولَفَرْعي أزكى من عمل الأبرار، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه، ولو شئتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاماً لفعلتُ، ولكنّ موعدك غداً بالمِرْبَد[٢]؛ فرجع الرجلُ إلى منزله وهو يتوهّم أنّ بشّاراً يحضرُ معه المِربد ليفاخره، فخرج من الغد يريد المِربَد فإذا رجل يُنشِدُ: [الطويل]

شَهِدْتُ عَلَى الزَّيْدِيِّ أنّ نِساءه ضِباعٌ إلى أيْرِ العُقَيْلِيِّ تَزفِرُ[٣]

فسأل عمّن قال هذا البيت؛ فقيل له: هذا لبشّار فيك؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المِربَد حتّى مات.

قال آبن سَلاّم: وأنشدَ رجل يوماً يونسَ في هذه القصيدة وهي: [الطويل]

بَلَوْتُ بني زيدٍ فما في كِبارِهم حُلومٌ ولا في الأصْغَرِينَ مُطهَّرُ
فأبلغْ بَنِي زيدٍ وقُلْ لِسَراتِهِمْ وإنْ لم يَكُنْ فِيهمْ سَراةٌ تُوقَّرُ
لأمّكُمُ الوَيْلاتُ إنّ قَصائِدي صَواعِقُ منها مُنجِدٌ وَمُغَوِّرُ
أجَدَّهُم لا يتّقون دَنِيَّةً وَلا يُؤثِرُونَ الخَيْرَ وَالخَيْرُ يؤثَرُ
يَلُفُّون أولادَ الزنى في عِدادِهِمْ فَعِدَّتُهم من عِدّة النّاسِ أكْثَرُ

---

(١) الهيثم بن معاوية من ولاة الدولة العباسية، خراساني الأصل ولاّه المنصور البصرة ثم عزله واستقدمه إلى بغداد فتوفي حين بلغها سنة (١٥٦ هـ).

(٢) المربد: سوق كانت بالبصرة، وكان الشعراء يجتمعون بها وينشدون الشعر.

(٣) ضباع: مسرعات.

إذا مـا رَأَوْا مَـنْ دأبُـهُ مِـثْـلُ دأبِـهِـمْ أطافُوا به، وَالـغَـيُّ لِـلْـغَـيِّ أصْـوَرُ[١]
وَلَـوْ فـارَقُـوا مَـنْ فِـيـهِـمُ مـن دَعَـارةٍ لَـمَـا عَـرَفَـتْـهُـمْ أُمُّـهُـمْ حِـيـنَ تَـنْـظُـرُ
لـقـد فَـخَـرُوا بـالـمُـلْـحَـقِـيـنَ عَـشِـيَّـةً فقلتُ ٱفخروا إن كان في اللؤم مفخَرُ
يُـرِيـدُونَ مَـسْـعَـاتِـي وَدُونَ لِـقـائـهـا قـنـادِيـلُ أبْـوابِ الـسَّـمْـواتِ تَـزْهَـرُ
فَـقُـلْ في بَـنِي زَيْـدٍ كـمـا قـالَ مُـعْـرِبٌ قَـوَارِيـرُ حَـجَّـامٍ غَـداً تَـتَـكَـسَّـرُ

فقال يُونس للذي أنشدَه: حَسْبُك حسبك! مَنْ هَيَّجَ هذا الشيطان عليهم؟ قيل: فلانٌ، فقال: رُبَّ سفيهِ قومٍ قد كَسَبَ لقومه شرًّا عظيماً.

أخبرني عمي قال: حدّثنا ٱبنُ مَهْرُويه قال: حدّثني عبدُ الله بنُ بشر بن هلال قال: حدّثني محمد بن محمد البصريّ قال: حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال: قال بشّار: دعاني عقبةُ بن سَلْم ودعا بحمّاد عَجْرد وأعشى باهلة، فلما اجتمعنا عنده قال لنا: إنه خطر ببالي البارحةَ مَثَلٌ يتمثَّلهُ الناسُ: «ذهبَ الحمارُ يطلبُ قرنينِ فجاء بلا أذنين» فأَخْرِجُوه من الشعر، ومن أخرَجَهُ فله خمسةُ آلاف درهم، وإن لم تَفعَلوا جَلَدْتُكم كُلَّكُم خمسمائةٍ؛ فقال حمّاد: أَجِّلْنا أعزّ اللهُ الأميرَ شهراً؛ وقال الأعشى: أَجِّلْنَا أسبوعينِ؛ قال: وبشّار ساكتٌ لا يتكلَّمُ؛ فقال له عُقبَةُ: ما لكَ يا أعمى لا تتكلّمُ! أعمى الله قلبك! فقال: أصلحَ اللهُ الأميرَ، قد حضرَني شيءٌ فإن أمرتَ قلتُه؛ فقال: قل؛ فقال: [السريع]

شَـطَّ بِـسَـلْـمَـى عـاجِـلُ الـبَـيْـنِ وَجـاوَرَتْ أُسْـدَ بَـنِـي الـقَـيْـنِ
وَرَنَّـتِ الـنَّـفْـسُ لـهـا رَنَّـةً كـادتْ لـهـا تَـنْـشَـقُّ نِـصْـفَـيْـنِ
يـا ٱبْـنَـةَ مَـنْ لا أشْـتَـهِـي ذِكْـرَهُ أخْـشَـى عـلـيـهِ عُـلَـقَ الـشَّـيْـنِ
والله لـو ألْـقـاكِ لا أتّـقـي عَـيْـنـاً لَـقَـبَّـلْـتُـكِ ألْـفَـيْـنِ
طـالَـبْـتُـهـا دَيْـنِـي فَـراغَـتْ بـه وَعَـلَّـقَـتْ قَـلْـبِـي مَـعَ الـدّيْـنِ[٢]
فَـصِـرْتُ كـالـعَـيْـرِ غـدا طـالـبـاً قَـرْنـاً فـلـم يَـرجِـعْ بـأُذْنَـيْـنِ

قال: فانصرفَ بشّارٌ بالجائزة.

نسخت من كتاب هارونَ بنِ عليّ بن يحيى: حدّثنا عليّ بن مهديّ قال: حدّثني عبدُ الله بنُ عطيةَ الكوفيّ قال: حدّثني عثمان بنُ عمرو الثقفيّ قال: قال

(١) أصْوَر: أميل.
(٢) راغت: خادعت، سوفت.

أبانُ بنُ عبد الحميد اللاحقيّ: نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيس عيلانَ وكان فيهم بيانٌ وفصاحةٌ، فكان بشّارٌ يأتيهمْ ويُنشِدُهم أشعارَه التي يمدح بها قيساً فيُجلّونَه لذلك ويُعَظّمونه، وكان نِساؤهم يجلسنَ معه ويتحدّثنَ إليه ويُنشِدُهن أشعارَه في الغَزَلِ وكنّ يُعْجَبْنَ به، وكنتُ كثيراً ما آتي ذلك الموضعَ فاسمعُ منه ومنهم، فأتيتُهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا، فجئتُ إلى بشّار فقلت له: يا أبا مُعاذ، أَعَلِمْتَ أنّ القومَ قد ارتحلوا؟ قال: لا؛ فقلتُ: فاعلَمْ؛ قال: قد علِمْتُ لا عَلِمْتَ! ومَضيتُ، فلمّا كان بعد ذلك بأيام سمِعتُ الناسَ يُنشِدُونَ: [الوافر]

دَعا بِفِراقِ مَنْ تَهْوَى أبانُ ... فَفاضَ الدَّمْعُ واحْتَرَقَ الجَنانُ
كأنَّ شَرارةً وَقَعَتْ بِقَلْبِي ... لها في مُقْلتي ودَمِي اسْتِنَانُ[1]
إذا أنْشَدْتُ أوْ نَسَمَتْ عليها ... رياحُ الصَّيْفِ هاجَ لها دُخانُ

فعلِمْتُ أنها لبشّار، فأتيتُه فقلتُ: يا أبا مُعاذ، ما ذنبي إليك؟ قال: ذنبُ غرابِ البينِ؛ فقلت: هل ذكرتَني بغير هذا؟ قال: لا، فقلتُ: أَنشُدُكَ اللهَ ألاَّ تزيدَ؛ فقال: امضِ لشأنكَ فقد تركتُكَ.

ونسختُ من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني يحيى بن سعيد الأيوزَرِذي المعتزليّ قال: حدّثني أحمدُ بنُ المعذّل عن أبيه قال: أنشَد بشّارٌ جعفرَ ابنَ سليمان: [الطويل]

أقِلّي فإنّا لاحِقُونَ وَإنّما ... يُؤَخِّرُنا أنّا يُعَدُّ لنا عَدَّا
وما كُنْتُ إلا كالأغرّ ابن جعفرٍ ... رأى المالَ لا يبقَى فأبقَى به حَمدا

فقال له جعفرُ بن سليمان: مَنِ ابنُ جعفرٍ؟ قال: الطيّارُ[2] في الجنةِ؛ فقال: لقد سامَيْتَ غير مُسَامي! فقال: والله ما يُقْعِدُني عن شأوه[3] بعدُ النسب، لكن قِلّةُ النشب[4]، وإني لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ، وما على مَنْ جاد بما يملك ألاّ يهبَ البدور[5]؛ فقال له جعفرٌ: لقد هزَزْتَ أبا مُعاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه.

(١) الاستنان: الجريان بشدّة.
(٢) الطيار: لقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: استشهد في معركة مؤتة.
(٣) الشأو: الغاية، الهمة.
(٤) النشب: المال.
(٥) البدور: جمع بدرة، وهي كيس فيه مقدار من المال.

ونسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني أحمدُ بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العَلَوِيّ قال: قيل لبشّار: إنك لكثيرُ الهجاء! فقال: إني وجدتُ الهجَاءَ المؤلم آخَذَ بِضَبُعِ الشاعر من المديح الرائع، ومَنْ أراد من الشّعراء أن يُكرَمَ في دَهرِ اللئام على المديح فَلْيستعدَّ للفقرِ وإلا فلْيُبالِغْ في الهجاءِ لِيُخَافَ فَيُعطَى.

[بعض أخبار صباه]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا أبو غَسَّان دَمَاذ عن أبي عُبيدةَ قال: كان بُردُ أبو بشّار طياناً حاذِقاً بالتَّطيين، ووُلِدَ له بشّارٌ وهو أعمى، فكان يقول: ما رأيتُ مولوداً أعظمَ بركةً منه، ولقد وُلِدَ وما عندي درهمٌ فما حال الحولُ حتى جمعتُ مائتَيْ درهم. ولم يمتْ بردٌ حتى قال بشّارٌ الشّعرَ. وكان لبشّارٍ أخوَانِ يقال لأحدهما: بشر، وللآخر: بشير، وكانا قصَّابينِ وكان بشّار بارًّا بهما، على أنه كان ضَيِّقَ الصدر مُتبرِّماً بالناس، فكان يقول: اللّهم إني قد تبرَّمتُ بنفسي وبالناس جميعاً، اللَّهمّ فأَرِحْنِي منهم. وكان إخوتُه يَستعيرُونَ ثيابَه فيوسِّخُونها ويُنتِنُون ريحَها، فاتخذ قميصاً له جَيبَانِ وحلف ألاّ يُعيرهم ثوباً من ثيابه، فكانوا يأخذونها بغير إذنه؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحتَه فيقول إذا وجدَ رائحةً كريهةً من ثوبه: «أينَما أتوجَّهْ أَلْقَ سَعْداً»[1]. فإذا أعياه الأمرُ خرج إلى الناس في تلك الثياب على نَتْنِها ووسَخِها، فيقال له: ما هذا يا أبا مُعاذٍ؟ فيقول: هذه ثمرةُ صِلَةِ الرَّحم. قال: وكان يقولُ الشّعرَ وهو صغيرٌ، فإذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكَوْه فيضربُه ضرباً شديداً، فكانت أمّه تقولُ: كم تضرِبُ هذا الصبيَّ الضريرَ، أمَا ترحَمُه! فيقول: بلى والله إني لأرحَمُه ولكنه يتعرّضُ للناس فيشكُونه إليّ؛ فسمعه بشّارٌ فطمِعَ فيه فقال له: يا أبتِ إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليكَ هو قولُ الشعر، وإني إن ألممتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلي، فإن شَكوْنِي إليكَ فقل لهم: أليس اللهُ يقولُ: ﴿**لَيْسَ على الأَعْمَى حَرَجٌ**﴾ [النور: ٦١]. فلما عاودوه شَكْواهُ قال لهم بُردٌ ما قاله بشّارٌ، فانصرفوا وهم يقولون: فِقْهُ بُردٍ أغْيظُ لنا من شعرِ بشّار.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال:

---

(١) هذا مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة في كل مكان وكل زمان.

حدّثني محمد بن عثمانَ الكُرَيْزِيّ قال: حدّثني بعضُ الشعراء قال: أتيتُ بشّاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار، فقال لي: خذ منها ما شئتَ، أو تَدرِي ما سَبَبُها؟ قلتُ: لا، قال: جاءني فتًى فقال لي: أنتَ بشّار؟ فقلتُ: نعم؛ فقال: إني آليتُ أن أدفعَ إليك مائتَيْ دينارٍ وذلك أني عَشِقتُ آمرأة فجئتُ إليها فكلمْتُها فلم تَلْتَفِتْ إليّ، فهمَمْت أن أتركَها فذكرتُ قولَك: [الكامل]

لا يُــؤْيِــسَــنَّـكَ مِـنْ مُـخَـبَّـأةٍ ... قَــوْلٌ تُــغَــلِّــظُــهُ وإنْ جَــرَحَــا

عُـسْـرُ الـنِّـسـاءِ إلـى مُـيَـاسَـرَةٍ ... وَالـصَّـعْـبُ يُـمكِـنُ بَعْـدَما جَـمَـحَـا

فعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتي.

[بشار والنحاة]

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرَانِيّ عن أبي حاتم قال: كان الأخفش طعَن على بشّار في قوله: [الكامل]

فـالآنَ أَقْـصَـرَ عَـنْ سُـمَـيَّـةَ بـاطِـلـي ... وأشـارَ بِـالـوَجَـلَـى عَـلَـيَّ مُـشِـيـرُ

وفي قوله: [الطويل]

عَـلَـى الـغَـزَلَـى مِـنّـي الـسَّـلامُ فَـرُبَّـمـا ... لَـهَـوْتُ بـهـا فـي ظِـلِّ مَـرْؤُومَـةٍ زُهْـر

وفي قوله في صفةِ سفينةٍ: [الطويل]

تُـلاَعِـبُ نِـيـنَـانَ الـبُـحُـورِ ورُبَّـمـا ... رأيتَ نُفوسَ القوم من جَرْيها تَجْرِي[1]

وقال: لم يُسمَعْ من الوَجل والغَزَل فَعَلى، ولم أَسْمَع بِنُونٍ ونِينَانٍ، فبلغ ذلكَ بشّاراً فقال: وَيْلِي على القَصّارِين! متى كانتِ الفصاحةُ في بيوت القصّارين! دَعُوني وإيّاه؛ فبلغ ذلك الأخفشَ فبكى وجَزِعَ؛ فقيل له: ما يُبْكِيكَ؟ فقال: وما لِي لا أبكِي وقد وقَعْتُ في لسان بشّار الأعمى! فذهب أصحابه إلى بشّار فكذّبوا عنه وآستوهَبُوا منه عِرْضَه وسألوه ألا يهجوه؛ فقال: قد وَهَبتُه للؤم عِرْضِه، فكان الأخفشُ بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كُتُبه لِيَبلُغَه فكَفَّ عن ذكره بعد هذا.

---

(١) النينان: جمع نون، وهو الحوت.

قال: وقال غيرُ أبي حاتم: إنما بلغه أنّ سِيبويه عابَ هذه الأحرفَ[1] عليه لا الأخفش، فقال يهجُوه: [الطويل]

أَسِبْوَيْهِ يابْنَ الفارِسيَّة ما الذي تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كنتَ تَنبِذُ
أَظَلْتَ تُغنِّي سادِراً في مَسَاءتي وأُمُّكَ بالمِصْرَيْنِ تُعْطِي وتَأْخُذُ

قال: فتوقّاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ فأجاب عنه ووجَدَ له شاهداً من شعرِ بشّار ٱحتجّ به ٱستِكْفافاً لشرِّه.

[بين المديح والهجاء]

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصَّيرَفِيّ قال: حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزِيّ قال: حدّثني أحمد بن عليّ بن سُوَيد بن مَنْجُوفٍ قال: كان بشّار مُجاوِراً لبني عُقَيلٍ وبني سَدُوسٍ في منزل الحيَّينِ فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فاستعانَتْ عُقَيلٌ ببشّار وقالوا له: يا أبا مُعاذٍ، نحن أهلُكَ وأنتَ ٱبنُنا وَربِيتَ في حُجُورِنا فَأَعِنَّا؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد: [الوافر]

كأنَّ بَنِي سَدُوسٍ رَهْطَ ثَوْرٍ خَنَافِسُ تَحْتَ مُنكَسِرِ الجِدَارِ
تُحرِّكُ لِلْفَخَارِ زُبانَيَيْها وَفَخْرُ الخُنْفَساءِ من الصَّغَارِ[2]

فوثب بنو سَدُوسٍ إليه فقالوا: ما لنا ولكَ يا هذا! نعوذ بالله من شَرِّكَ! فقال: هذا دأبُكم إن عاودتم مُفاخرة بني عُقيلٍ؛ فلم يُعاوِدُوها.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ٱبن مَهْرُويه قال: حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سَلاّم قال: قال يونسُ النحويّ: العجَبُ من الأزْد يَدعُونَ هذا العبدَ يَنْسُبُ بنسائهم ويَهجُو رجالَهم - يعْني بشّاراً - ويقول: [الهزج]

أَلاَ يا صَنَمَ الأَزْدِ الَّذِي يَدْعُونَه رَبّا

أَلاَ يَبعثُونَ إليه من يفتُقُ بطنَه!.

أخبرني الحسن قال: حدّثني ٱبنُ مَهْرُويه عن أحمدَ بن إسماعيلَ عن محمد بن سلاّم قال: مرّ ٱبن أخ لبشّار ببشّار ومعه قوم، فقال لرجل معه وسمع كلامَه: من

---

(١) الأحرف: الكلمات.

(٢) الزبانيان: قرنا العقرب، وهما مثنى زباني.

هذا؟ فقال: ٱبنُ أخيك؛ قال: أشهدُ أنّ أصحابَه سَفِلَةٌ؛ قال: وكيف علِمْتَ؟ قال: ليس عليهم نِعَالٌ.

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم قال: حدّثني الفضلُ بن يعقوبَ قال: كنّا عند جاريةٍ لبعض التّجّارِ بالكَرْخِ تُغنّينا، وبشّارٌ عندنا، فغنَّتْ في قوله:

[مجزوء الكامل]

إنّ الـخَـلِـيـفَـةَ قـد أبَـى ... وإذا أبَـى شَـيْـئـاً أبَـيْـتُـهْ
ومُـخَـضَّـبٍ رَخْـصِ الـبَـنَـا ... نِ بَـكـى عَـلَـيَّ ومـا بَـكَـيْـتُـهْ
يـا مـنْـظَـراً حَـسَـنـاً رأيـ ... ـتُ بِـوجْـهِ جـاريـةٍ فَـدَيْـتُـهْ
بَـعـثَـتْ إلَـيَّ تَـسُـومُـنِـي ... ثَـوْبَ الـشَّـبـابِ وَقَـدْ طَـوَيْـتُـهْ

فطرِبَ بشّار وقال: هذا والله يا أبا عبدِ الله أحسنُ من سُورَةِ الحَشْرِ! وقد رَوَى هذه الكلمة عن بشّار غيرُ مَنْ ذكرتُه فقال عنه إنه قال: هي والله أحسنُ من سورة الحشر. الغناءُ في هذه الأبيات وتمامُ الشعر:

وأنـا الـمُـطِـلُّ عـلـى الـعِـدَا ... وإذا غَـلا الـحَـمْـدُ ٱشْـتَـرَيْـتُـهْ
وَأمِـيـلُ فـي أُنْـسِ الـنّـدِيـ ... ـمِ مـن الـحَـيـاءِ ومـا ٱشْـتـهَـيـتُـهْ
ويَـشُـوقُـنِـي بَـيْـتُ الـحَـبِـيـ ... ـبِ إذا غَـدَوْتُ وَأيْـنَ بَـيْـتُـهْ
حـالَ الـخَـلِـيـفَـةُ دونَـهُ ... فَـصَـبَـرْتُ عـنـهُ ومـا قَـلَـيْـتُـهْ

وأنشدني أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات، وأخبرني أنّ الجاحظ أخبره أن المهديّ نهى بشّاراً عن الغَزَل وأن يقول شيئاً من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: وكان الخليل بن أحمد يُنشِدها ويستحسنها ويُعْجبُ بها.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا دَمَاذ أبو غَسّانَ عن محمد بن الحجّاج قال: قالت بنتُ بشّارٍ لبَشّار: يا أبتِ مالكَ يعرفكَ الناسُ ولا تَعرِفُهُم؟ قال: كذلك الأميرُ يا بُنيّة.

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال: حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: قال عبدُ الله بن مِسْوَر الباهليّ يوماً لأبي النَّضير وقد تحاورا في شيء: يابن اللَّخناء، أتُكلّمني ولو اشتريتُ عبداً بمائتَيْ درهم وأعتقتُه لكان خيراً منك! فقال له أبو النّضير: والله لو كنتُ ولد زنى لكنتُ خيراً من باهلة كلِّها، فغضِب الباهليّ؛ فقال له بشار: أنتَ منذ ساعةٍ تُزنّي أمَّهُ ولا يغضبُ، فلما كلّمك

كلمةً واحدة لحقك هذا كلّه! فقال له: وأُمُّه مثل أمي يا أبا معاذٍ! فضحِك ثم قال: والله لو كانت أُمُّك أمَّ الكتاب ما كان بينكما من المُصَارمَة هذا كلّه!.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني سعيد بنُ عُبيدٍ الخُزاعيّ قال: ورد بشار بغدادَ فقصد يزيدَ بن مَزْيدٍ، وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفه أشهراً؛ ثم وردَ رَوْحُ بنُ حاتم فبلغه خبرُ بشّار، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشدَه شعراً مدحه به؛ فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقَيْنةً وكساه كُساً كثيرةً؛ وكان يحضرُ قيساً مرّة، فقال بشّار يهجو يزيدَ بن مَزْيد: [الطويل]

ولـمّـا ٱلـتـقـينـا بـالـجُـنَـيـنَـةِ غَـرَّنـي ... بِـمَـعْـرُوفِـهِ حـتـى خَـرَجْـتُ أفُـوقُ[1]

غرَّني: أوجَرني كما يُغَرّ الصبيُّ أي يُوجَر اللبنَ.

حَـبَـانِـي بـعـبـدٍ قَـعْـسَـرِيٍّ وقَـيْـنَـةٍ ... ووَشْـــي وآلافٍ لـــهـــنَّ بَـــرِيـــقُ
فَقُل لِيَزِيدٍ يَلْعَصُ الشَّهْدَ خَالِياً ... لـنـا دُونَـهُ عـنـدَ الـخـلـيـفـةِ سُـوقُ[2]
رَقَـدْتَ فَـنَـمْ يـابْنَ الـخَـبِـيـثَـةِ إنَّـهـا ... مـكـارِمُ لا يَـسْـتَـطِـيـعُـهُـنَّ لَـصِـيـقُ
أَبَـى لَـكَ عِـرْقٌ مِـن فُـلانَـةَ أنْ تُـرَى ... جـواداً وَرَأسٌ حِـيـنَ شِـبْـتَ حَـلِـيـقُ

[خبر قصيدة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا الرّياشِيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: كان بشّار كَتب إلى إبراهيمَ بن عبد الله بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرّضُه ويُشيرُ عليه، فلم تَصل إليه حتى قُتِل، وخاف بشّارٌ أن تشتهِرَ فقلبها وجعلَ التحريضَ فيها على أبي مُسلم والمدحَ والمشورةَ لأبي جعفرٍ المنصورِ، فقال: [الطويل]

أبـا مُـسـلـمٍ مـا طِـيـبُ عَـيـشٍ بـدائـمٍ ... ولا سـالِـمٌ عَـمَّـا قَـلِـيـلٍ بِـسـالِـمِ

وإنما كان قال: «أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيشٍ» فغيّره وقال فيها:

إذا بَـلَـغ الـرَّأيُ الـنَّـصِـيـحَـةَ فـاسْـتَـعِـنْ ... بِـعَـزْمِ نَـصِـيـحٍ أو بِـتَـأيِـيـدِ حـازِمِ
ولا تَـجـعَـلِ الـشُّـورَى عليك غَـضـاضَـةً ... مـكـانُ الـخـوافِـي نـافـعٌ لـلـقـوادِمِ
وخَلِّ الـهُـويـنَـى لـلـضَّـعـيـفِ ولا تَـكُـنْ ... نَـؤُومـاً فـإنَّ الـحَـزْمَ لـيـسَ بـنـائِـمِ

---

(١) خرجت أفوق: كناية عن أنه أثقلني بالمال والعطاء.
(٢) يلعص: يلعق.

وما خيرُ كَفٍّ أمسكَ الغُلُّ أخْتَها ... وما خَيْرُ سَيْفٍ لم يُؤيَّدْ بقائِمِ
وحارِبْ إذا لم تُعطَ إلا ظُلامةً ... شَبَا الحَرْبِ خيرٌ من قَبُولِ المظالِمِ
وأَدْنِ على القُرْبَى المُقَرِّبَ نَفسَهُ ... ولا تُشْهِدِ الشُّورَى أمرأً غيرَ كاتِمِ
فإنَّكَ لا تَسْتَطْرِدُ الهَمَّ بالمُنَى ... ولا تَبلُغُ العَلْيَا بغيرِ المكارِمِ
إذا كُنْتَ فرداً هَرَّكَ القومُ مُقبِلاً ... وإن كنتَ أدْنَى لم تَفُزْ بالعَزائِمِ(١)
وما قَرَعَ الأقوامَ مِثلُ مُشَيَّعٍ ... أرِيبٍ ولا جَلَّى العَمَى مثلُ عالِمِ

قال الأصمعيّ: فقلت لبشّار: إني رأيت رجال الرأي يتعجّبون من أبياتك في المَشُورَة؛ فقال: أمَا علمتَ أنّ المشاوِرَ بين إحدى الحُسْنَيَيْن: بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأ يُشارَكُ في مكروهه؛ فقلت: أنت والله أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال:

مررتُ ببشّار وهو مُتَبَطِّح في دِهْليزه كأنه جاموس، فقلتُ له: يا أبا مُعاذ، مَنِ القائل: [السريع]

فِي حُلّتِي جِسْمُ فَتىً ناحِلٍ ... لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ به طاحا

قال: أنا؛ قلتُ: فما حَمَلَك على هذا الكذب؟ والله إني لأرى أن لو بعث اللهُ الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرّكتْك من موضعك! فقال بشّار: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: يا أهل الكوفة لا تَدَعون ثِقَلَكم ومَقْتكم على كلّ حال!.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ قال: حدّثني عافية بن شَبيب قال: قدِم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمَعِيّ من مكة، فلم يُهْدِ لبشّار شيئاً وكان صديقَه؛ فكتب إليه:

[السريع]

ما أنْتَ يا كُرْدِيّ بالهَشِّ ... ولا أُبَرِّيكَ من الغِشِّ
لم تُهْدِنا نَعْلاً ولا خاتَماً ... من أين أقْبَلْتَ؟ من الحشّ(٢)!

---

(١) هرّك القوم: كرهوك وابتعدوا عنك.
(٢) الحشّ: البستان، وموضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في الحشوش.

فأهدى إليه هديَّةً حسنةً وجاءه فقال: عَجلتَ يا أبا معاذ علينا، فأَنشُدُك الله ألاّ تزيدَ شيئاً على ما مضى.

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شَبيب أيضاً قال: حدّثني صديقٌ لي قال: قلتُ لبشّار: كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي: [الطويل]

هَوَى صاحِبي رِيحُ الشَّمالِ إذا جَرَتْ ... وأَشْفَى لِنَفْسِي أنْ تَهُبَّ جَنُوبُ
وما ذاكَ إلا أنها حين تنتهي ... تَنَاهَى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ

فطَرِب وقال: هذا والله أحسن من فُلْج يوم القيامة(١).

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسدي قال: مدح بشّارٌ المهديَّ فلم يُعطه شيئاً؛ فقيل له: لم يَستجِدْ شعرَك؛ فقال: والله لقد قلتُ شعراً لو قيل في الدهر لم يُخشَ صرفُه على أحد، ولكنّا نكذِب في القول فنُكْذَبُ في الأمل.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني يحيى بن خليفة الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْليّ قال: هجا بَشّار رَوْحَ بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقذفه وتَهدّده؛ فلما بلغ ذلك بَشّاراً قال فيه: [الكامل]

تَهَدَّدني أبو خَلَفٍ ... وَعَنْ أوتارِهِ ناما
بِسَيْفٍ لأبي صُفْرَ ... ةَ لا يَقْطَعُ إبهاما
كأنّ الوَرْسَ يَعْلُوهُ ... إذا ما صَدْرُهُ قاما

ـ قال ابن أبي سعد: ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي ـ قال: فبلغ ذلك رَوْحاً فقال: كلّ مالي صدقةٌ إنْ وقعتُ عيني عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يَدي الخليفة! فبلغ ذلك بشّاراً فقام من فوره حتى دخل على المهديّ؛ فقال له: ما جاء بك في هذا الوقت؟ فأخبره بقصّة رَوْح وعاذ به منه، فقال: يا نُصَيْر، وَجِّهْ إلى رَوْح من يُحضره الساعةَ؛ فأرسل إليه في الهاجرة، وكان ينزل المُخرِّم(٢). فظنّ هو وأهلُه أنه دُعي لولاية. قال: يا روح، إني بعثتُ إليك في حاجة؛ فقال له: أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإني حلفت في

---

(١) فلج يوم القيامة: الظفر يوم القيامة.
(٢) المخرم: محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلّى. (معجم البلدان ٥/ ٧١).

أمره بيمين غَمُوس[١]؛ قال: قد علمتُ وإيّاه أردتُ؛ قال له: فاحتلْ ليميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعُرْض السيف، وكان بشار وراء الخيش[٢]؛ فأُخرج وأُقعِد وأستلّ رَوْحٌ سيفَه فضربه ضربة بعُرْضه؛ فقال: أوّهْ باسم الله! فضحِك المهديّ وقال له: ويلك! هذا وإنما ضَرَبك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدّه!

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا أبو عبيدة قال: مَدَح بَشّارٌ سليمانَ بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحَرّانَ[٣] وخرج إليه فأنشده قوله فيه: [الطويل]

نَـأَتْـكَ عـلـى طُول الـتَّـجـاوُرِ زَيْـنَـبُ ... وما شَعَرتْ أنَّ النَّوى سوف تَشْعَبُ[٤]

يَرَى النَّـاسُ ما تَـلْقَى بِزَيْنَبَ إذ نـأتْ ... عَـجِيباً ومـا تُـخْـفِي بزينبَ أعْـجَبُ

وَقـائـلَـةٍ لـي حِـيـنَ جَـدَّ رَحِـيـلُـنـا ... وَأجْـفـانُ عَـيْـنَـيْـهـا تَـجُـودُ وَتَـسْـكُـبُ

أغـادٍ إلـى حَـرّانَ فـي غَـيْـرِ شِـيـعَـةٍ ... وذلـكَ شـأوٌ عـن هَـوَاهـا مُـغَـرّبُ

فَـقُـلْـتُ لـهـا كَـلَّـفْـتِـنـي طَـلَـبَ الـغِـنَـى ... وَلَـيْـسَ وراءَ ابْـنِ الـخـلـيـفـةِ مَـذْهَـبُ

سَـيَـكْـفِـي فـتـىً مـن سَـعْـيِـهِ حَـدُّ سَـيْـفِـه ... وَكُـورٌ عِـلافِـيٌّ وَوَجْـنـاءُ ذِعْـلِـبُ[٥]

إذا اسْـتَـوْغَـرَتْ دارٌ عـلـيـه رَمَـى بـهـا ... بناتِ الصُّوَى منها رَكوبٌ ومُصْعَبُ[٦]

فـعُـدّي إلـى يَـوْمِ ارْتِـحَـلْـتُ وسـائـلـي ... بِـزَوْرِكِ والـرَّحّـال مَـنْ جـاءَ يَـضْـرِبُ

لَـعَـلَّـكِ أنْ تَـسْـتَـيْـقِـنِـي أنَّ زَوْرَتِـي ... سُـلَـيْـمـانَ مِـنْ سَـيْـرِ الـهَـواجِـرِ تُـعقِـبُ

أغَـرُّ هِـشـامـيُّ الـقَـنـاةِ إذا انْـتَـمـى ... نَـمَـتْـهُ بـدُورٌ لَـيْـسَ فـيـهـنَّ كَـوْكَـبُ

ومـا قَـصَـدَتْ يـومـاً مُـخِـيـلـيـنَ خَـيْـلُـهُ ... فـتُـصْـرَفُ إلاّ عـن دِمـاءٍ تَـصَـبَّـبُ[٧]

(١) اليمين الغموس: التي لا استثناء فيها.
(٢) الخيش: مراوح تعمل من نسيج كتانيّ خشن.
(٣) حرّان: مدينة عظيمة على طريق الموصل والشام والروم. (معجم البلدان٢/ ٢٣٥).
(٤) تشعب: تفرق.
(٥) الكور: الرحل. والعلافي: نسبة إلى علاف بن طوار لأنه أول من عملها. والناقة الوجناء: العظيمة الوجنتين، والصلبة القوية. والذعلب: السريعة الخطو.
(٦) استوغرت: حميت واتقدت غيظاً. وبنات الصُّوَى: صغار الصوى. والصوى: حجارة مرصوفة تجعل علماً يهتدى بها في الصحراء. والركوب: المذلل بالركوب، والمصعب من الإبل: ما لم يركب ولم يمسّ.
(٧) مخيلين: لم نعثر لها على معنى يناسب السياق.

فوصله سليمانُ بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل فلم يرضها وٱنصرف عنه مُغضَباً فقال: [الكامل]

إنْ أُمْسِ مُنْقَبِضَ اليدين عن النَّدَى ... وعن العَدُوِّ مُخَيَّسَ الشَّيْطانِ[١]

فَلَقَدْ أرُوحُ عن اللئام مُسَلَّطاً ... ثَلِجَ المَقِيلِ مُنَعَّمِ النَّدْمَانِ[٢]

في ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ ... تَنْدَى يَدِي ويُخافُ فَرْطُ لساني

أزْمَانَ جِنِّيُّ الشَّبابِ مُطَاوِعٌ ... وإذ الأمِيرُ عَلَيَّ من حَرّانِ

رِيمٌ بأحْوِيَةِ العِراقِ إذا بَدَا ... بَرَقَتْ عليه أكِلَّةُ المَرْجانِ[٣]

فاكْحَلْ بعَبْدَة مُقْلَتيْكَ مِنَ القَذَى ... وَبِوَشْكِ رُؤْيَتِها من الهَمَلانِ

فَلَقُرْبُ مَنْ تَهْوَى وَأنْتَ مُتَيَّمٌ ... أشْفَى لدائكَ من بني مَرْوانِ

فلما رجع إلى العراق بَرّه ٱبنُ هُبَيْرة وَوَصله، وكان يُعظّم بشّاراً ويُقدّمه، لمدحه قيساً وٱفتخاره بهم، فلما جاءت دولةُ أهلِ خُرَاسان عَظُم شأنُه.

[المهدي ينهاه عن التشبيب]

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني محمد بن الحجّاج قال: قَدِمَ بشّار الأعمى على المهديّ بالرُّصافةِ فدخل عليه في البستان فأنشدَه مديحاً فيه تشبيب حسَنٌ، فنهاه عن التشبيب لغَيْرةٍ شديدةٍ كانت فيه، فأنشده مديحاً فيه، يقول فيه: [المنسرح]

كأنَّما جِئْتُهُ أُبَشِّرُهُ ... ولم أجِيءْ راغِباً ومُحتَلِبَا[٤]

يُزَيِّنُ المِنْبَرَ الأشَمَّ بِعِطْـ ... ـفِيهِ وأقْوالِهِ إذا خَطَبَا

تُشَمُّ نَعْلاه في النَّدِيِّ كما ... يُشَمُّ ماءُ الرَّيْحانِ مُنْتَهَبا[٥]

فأعطاه خمسةَ آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادةً في كلّ سنةٍ

---

(١) الندى: الكرم. والمخيّس: المذلل.

(٢) ثلج المقيل: بارد المقيل، والمقيل: موضع القيلولة.

(٣) الأحوية: المجتمعة المتدانية. جمع جِواء. والأكلة: جمع إكليل، وهو التاج.

(٤) محتلباً: مستدرًّا، مستعطياً.

(٥) منتهباً: مباحاً لكل أحد.

ونهاه عن التشبيب ٱلبتَّة، فقدِمَ عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده: [الطويل]

تَجالَلْتُ عن فِهْرٍ وعن جارَتَيْ فِهرِ ... وَوَدَّعتُ نُعْمَى بالسَّلام وبالبِشْرِ(١)
وَقالَتْ سُلَيْمَى فِيكَ عنّا جَلادَةٌ ... مَحَلُّكَ دانٍ والزِّيارَةُ عن عُفْرِ(٢)
أخِي في الهَوَى ما لِي أراكَ جَفَوْتَنَا ... وقد كُنْتَ تَقْفُونا على العُسْرِ واليُسْرِ(٣)
تَثاقَلْتُ إلا عَنْ يَدٍ أسْتَفِيدُها ... وَزَوْرَةِ أمْلاكٍ أَشُدُّ بِها أَزْرِي
وَأخْرَجَنِي مِنْ وِزْرِ خَمْسِينَ حِجَّةً ... فَتىً هاشِمِيٌّ يَقْشَعِرُّ مِنَ الوِزْرِ
دَفَنْتُ الهَوَى حَيّاً فلَسْتُ بِزائرٍ ... سُلَيْمَى ولا صَفْراءَ ما قَرْقَرَ القُمْرِي(٤)
وَمُصْفَرَّةٍ بالزعفرانِ جُلُودُها ... إذا ٱجْتُلِيَتْ مثلَ المُفَرْطَحَةِ الصُّفْرِ(٥)
فَرُبَّ ثَقالِ الرِّدفِ هَبَّتْ تَلُومُنِي ... وَلَوْ شَهِدَتْ قَبْرِي لَصَلَّتْ على قَبْرِي
تَرَكْتُ لِمَهْدِيِّ الأنامِ وِصالَها ... وَرَاعَيْتُ عَهْداً بَيْنَنا لَيْسَ بِالخَتْرِ(٦)
ولولا أميرُ المؤمنينَ مُحَمَّدٌ ... لَقَبَّلْتُ فاها أوْ لكانَ بها فِطْرِي
لَعَمْري لقد أوْقَرْتُ نَفْسِي خَطِيئةً ... فما أنا بالمُزْدادِ وِقْراً على وِقْرِ(٧)

في قصيدة طويلة ٱمتدحه بها فأعطاه ما كان يُعطِيه قبل ذلك ولم يَزِده شيئاً.

[رثاؤه ابنه]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتَكيّ عن محمد بن سَلاَّم عن بعض أصحابه قال: حضَرْنَا جنازةَ ٱبنٍ لبشّارٍ تُوُفِّي فَجَزِعَ عليه جَزَعاً شديداً، وجعَلْنا نُعزِّيه ونُسلِّيه فما يُغْنِي ذلك شيئاً، ثم ٱلتفَتَ إلينا وقال: للهِ درُّ جريرٍ حيث يقولُ وقد عُزِّيَ بسَوادَة ابنِه: [البسيط]

قالوا نَصِيبَكَ مِنْ أجْرٍ فَقُلْتُ لهم ... كَيْفَ العَزاءُ وقَدْ فارَقْتُ أشبالِي
وَدَّعْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهرُ من بَصَري ... وَحِينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمّةِ البَالِي
أودَى سَوَادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرصِرُ فوقَ المَرْبأ العالي(٨)

---

(١) تجاللت: ترفعت.
(٢) الجلادة: الصبر، والصلابة. والعفر: طول العهد، أو البعد، أو قلة الزيارة.
(٣) يقفوه: يتبع أثره.
(٤) قرقر: صوتّ وردّد صوته. والقمريّ ضرب من الحمام.
(٥) المفرطحة الصفر: أراد: الدنانير.
(٦) الختر: الغدر، والخديعة.
(٧) أوقرت نفسي: أثقلتها بالخطايا.
(٨) البازي اللحم: البازي الذي يشتهي اللحم ويأكله. والمربأ: المكان الذي يقف فيه البازي.

إلاّ تكُنْ لَكَ بالدَّيْرينِ نائحةٌ فرُبَّ نائِحَةٍ بالرَّمْلِ مِعْوَالِ

أخبرني هاشمُ بن محمد قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال: حدّثني خَلاَّدٌ الأرقطُ قال: لمّا أُنشِدَ المهديُّ قولَ بشارٍ: [الكامل]

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخَبَّأةٍ قَوْلٌ تُغَلِّظُهُ وإن جَرَحا
عُسْرُ النِّساءِ إلى مُياسَرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمكِنُ بعدما جَمَحا

فنهاه المهديّ عن قوله مثل هذا، ثم حضر مجلساً لصديقٍ له يقال له عمرو بن سمّان، فقال له: أنشِدْنا يا أبا مُعاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ، فأنشأ يقول: [البسيط]

وقائلٍ هاتِ شَوِّقْنا فَقُلْتُ له أنائِمٌ أنْتَ يا عَمرُو بْنَ سَمّانِ
أما سَمِعْتَ بما قد شاعَ في مُضَرٍ وفي الخَلِيفَتَيْنِ من نَجْرٍ وقَحطانِ
قالَ الخليفةُ لا تَنْسُبْ بجارِيةٍ إيّاكَ إياكَ أن تَشْقَى بِعِصيانِ

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا سليمان بن أيوب المدائنيّ قال: قال مروانُ بن أبي حَفْصَة: قدِمتُ البصرةَ فأنشدتُ بشاراً قصيدة لي واستنصحته فيها؛ فقال لي: ما أجودَها! تَقْدَمُ بغدادَ فتُعطى عليها عشرةَ آلاف درهم؛ فجزعتُ من ذلك وقلتُ: قَتَلتني! فقال: هو ما أقول لك؛ وقَدِمتُ بغدادَ فأُعطيتُ عليها عشرةَ آلاف درهم، ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أُخرى فأنشدته قصيدتي: [الكامل]

* طَرَقَتْكَ زائرةً فحيّ خيالها *

فقال: تُعطَى عليها مائةَ ألف درهم؛ فقدمتُ فأُعطِيتُ مائةَ ألف درهم، فعُدتُ إلى البصرة فأخبرتُه بحالي في المرّتين، وقلت له: ما رأيتُ أعجبَ من حَدْسك[1]! فقال: يا بُنيّ، أمَا علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ أعلم بالغيب من عمّكَ! أخبرنا بهذا الخبر محمدُ بن يحيى الصُولي قال: حدّثنا يزيدُ بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد الله ابن أبي عُيينةَ عن مروانَ أنه قَدِمَ على بشّار فأنشده قولَه:

* طَرَقَتْكَ زائرةً فَحَيِّ خيالَها *

فقال له: يُعطُونَك عليها عشرة آلاف درهم، ثم قَدِم فيه فأنشده قوله:

(١) الحدس: الظن، التخمين.

[الكامل]

أَنَّـى يَـكُـونُ وَلَـيْـسَ ذاكَ بِـكَـائِـنٍ ... لِـبَـنِـي الـبَـنَـاتِ وِرَاثَـةُ الأعْـمَـامِ

فقال: يُعطُونك عليها مائةَ ألف درهم، وذكر باقي الخبر مثلَ الذي قبله.

أخبرني عيسى قال: حدّثنا سليمانُ قال: قال بعضُ أصحاب بشّار: كنا نكون عنده فإذا حضرتِ الصلاةُ قمنا إليها ونجعلُ على ثيابه تراباً حتى ننظُرَ هل يقومُ يصلي فنعودُ والترابُ بحاله وما صلّى.

أخبرني عيسى قال: حدّثنا سليمان قال: قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشّار فقال له: قُلْ في الحبّ شِعراً ولا تُطِلْ واْجعَلِ الحُبَّ قاضياً بين المحبّين ولا تُسمّ أحداً؛ فقال: [الخفيف]

اجْـعَـلِ الـحُـبَّ بَـيْـنَ حِـبِّـي وَبَـيْـنِـي ... قـاضِـيـاً إنَّـنِـي بـه الـيـومَ رَاضِـي

فـاجـتـمـعـنَـا فـقـلـتُ يا حِـبَّ نَـفْـسِـي ... إنّ عَـيـنِـي قـلـيـلـةُ الإغـمـاضِ

أنـتَ عـذَّبـتَـنـي وأنْـحَـلْـتَ جِـسْـمِـي ... فـارْحَـم الـيـومَ دائِـمَ الأمْـراضِ

قـالَ لـي لا يَـحِـلّ حُـكـمِـي عـلـيـهـا ... أنـتَ أولَـى بـالـسُّـقْـم والإحـراضِ[1]

قُـلْـتُ لـمّـا أجـابَـنِـي بـهـواهـا ... شَـمِـلَ الـجَـوْرُ في الـهَـوَى كُـلَّ قـاضِـي

فبعث إليه المهديّ: حكمتَ علينا ووافَقَنا ذلك، فأمر له بألف دينار.

أخبرني عيسى قال: حدّثني سليمانُ المدنيّ قال: حدّثني الفضلُ بن إسحاق الهاشميّ قال: أنشدَ بشارٌ قولَه: [الوافر]

يُـرَوِّعُـهُ الـسِّـرارُ بِـكُـلِّ أرضٍ ... مـخـافـةَ أن يـكـونَ بـه الـسِّـرارُ[2]

فقال له رجل: أظنك أخذتَ هذا من قول أشعَبَ: ما رأيتُ اثنين يتسارّانِ إلا ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال: إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعبَ فإنّكَ أخذتَ ثِقَلَ الرُّوح والمقت من الناس جميعاً فانفردتَ به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا. وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه: [الخفيف]

تـركَـتْـنِـي الـوُشـاةُ نُـصْـبَ الـمُـسِـرِّيـ ... ـنَ وأُحْـدُوثَـةً بِـكُـلِّ مَـكَـانِ

مـا أرى خـالـيَـيْـنِ فـي الـسِّـرِّ إلاَّ ... قـلـتُ مـا يـخـلـوانِ إلا لِـشَـانِـي

أخبرني عمّي قال: حدّثني سليمانُ قال: قال لي أبو عدنانَ: حدّثني سعيدٌ ـ

(١) الإحراض: إدناف الحب، يقال: أحرضه الحب: أدنفه وأنحله.

(٢) السرار: المناجاة، المسارّة.

جليسٌ كان لأبي زيد ـ قال: أتاني أعشى سُلَيم وأبو حَنَشٍ فقالا لي: انطلق معنا إلى بشّار فتسألَه أن يُنشِدَكَ شيئاً من هِجائه في حمّاد عَجْرَد أو في عمرٍو الظالميّ فإنه إن عرفَنا لم يُنشِدْنا فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدتُه فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجاء إلى وادٍ آخرَ يستَمعانِ وبشّار لا يعرِفُهما، فلما خرجا قال أحدُهما للآخر: أمَا تعجَبُ مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش: أمّا أنا فلا أُعَرِّض ـ والله ـ والدَيَّ له أبداً؛ وكانا قد جاءا يَزُورانه، وأحسبهُما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته.

[مدحه واصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ عن الجاحظ قال: كان بشّار صديقاً لأبي حُذيفةَ واصلِ بنِ عطاءٍ قبل أن يَدِينَ بالرجعةِ ويُكَفِّر الأمّةَ، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلّها الراءَ وكانت على البديهة، وهي أطولُ من خُطبتي خالد بن صفوانَ وشبيبِ بنِ شيبة، فقال: [البسيط]

تَكَلَّفُوا القَوْلَ والأقوامُ قد حَفَلُوا ... وَحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ
فقامَ مُرتَجِلاً تَغْلِي بَداهَتُهُ ... كَمِرْجَلِ القَيْنِ لمّا حُفَّ بِاللَّهَبِ[1]
وجانَبَ الرّاءَ لم يَشْعُرْ به أحَدٌ ... قبل التصَفُّحِ والإغراقِ في الطَّلَبِ

قال: فلمّا دانَ بالرجْعةِ زعم أن الناسَ كلّهم كفروا بعد رسول الله ﷺ فقيل له: وعليّ بن أبي طالب؟ فقال: [الوافر]

وما شَرُّ الثلاثةِ أمّ عمرو ... بصاحِبِك الذي لا تَصْبَحِينا[2]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ تينةُ قال: قال لي محمد بن الحجّاج:

قال بشّار: ما كان الكُمَيتُ شاعراً، فقيل له: وكيف وهو الذي يقول!:

[الطويل]

أَنِصْفُ ٱمْرِىءٍ من نِصْفِ حَيٍّ يسُبُّنِي ... لَعَمْري لقد لاقَيْتُ خَطْباً من الخَطْبِ

(١) القين: الحدّاد.
(٢) تصبحينا: تسقينا الصبوح.

هَنِيئاً لِكَلْبٍ أنَّ كَلْباً يَسُبُّنِي وَأَنِّيَ لم أَرْدُدْ جواباً على كَلْبِ

فقال بشّار: لا بَلَّ[١] شانِئُكَ[٢]، أترى رجلاً لو ضَرِطَ ثلاثين سنةً لم يُسْتَحَلَ من ضَرْطِهِ ضَرْطَةٌ واحدةٌ!

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني حجّاج المعلِّمُ قال: سمعتُ سفيانَ بنَ عُيَيْنة يقول: عَهدِي بأصحاب الحديثِ وهم أحسنُ الناسِ أدباً ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدباً؛ وصبَرنا عليهم حتى أشبَهْناهم، فصرنا كما قال الشاعر: [الطويل]

وما أنا إلا كالزَّمانِ إذا صَحَا صَحَوْتُ وإن ماقَ الزَّمانُ أمُوقُ[٣]

أخبرني حبيبُ بن نصر قال: حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال: حدّثني محمد بن الحجّاج قال: كنّا مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يُفَهِّمُهُ، ولا يَفْهَمُ، فأخذَ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقولُ: [البسيط]

أعْمَى يَقُودُ بَصِيراً لا أَبَا لَكُم قد ضَلَّ مَنْ كانتِ العُمْيانُ تَهدِيهِ

حتى صار به إلى منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزلُه يا أعمى.

أخبرني عمّي قال: حدثني أحمدُ بن أبي طاهر قال: زعم أبو دِعَامَةَ أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشّاراً فقال له: يا أبا معاذُ، أُنشِدُكَ شِعراً حسناً؟ فقال: ما أسرّني بذلك، فأنشده: [الطويل]

أَعَاذِلَتيَّ اليَوْمَ وَيْلَكُمَا مَهْلاَ فما جَزعاً م الآنَ أبكِي ولا جَهْلاَ

فلما فرَغَ منها قال له بشّار: أحسنتَ، ثم أنشدَه على رَوِيّها ووزنِها:

لقد كادَ ما أُخْفِي مِنَ الوَجْدِ والهَوَى يكونُ جَوًى بَيْنَ الجَوانِحِ أو خَبْلاَ[٤]

صوت

إذا قال مَهْلاً ذو القَرابة زادَنِي ولُوعاً بذكراها وَوَجْداً بها مَهْلاَ

---

(١) بلّ: شفي من مرضه.

(٢) شانئك: مبغضك.

(٣) ماق: حمق. والمائق: الأحمق الغبيّ.

(٤) الجوانح: الأضلاع. والخَبْل: الجرح.

فلا يَحْسَبِ البِيضُ الأوانِسُ أنّ في فؤادي سِوَى سُعْدَى لِغانيةٍ فَضْلاَ
فَأُقْسِمُ إنْ كان الهَوَى غيرَ بالغ بِي القَتْلَ مِنْ سُعْدَى لقد جاوزَ القتلاَ
فيا صاحِ خَبِّرنِي الّذي أنْتَ صانعٌ بقاتِلَتي ظُلْماً وما طَلَبَتْ ذَحْلاَ[1]
سِوَى أنّنِي في الحُبِّ بيني وبينها شَدَدْتُ على أكظامِ سِرٍّ لها قُفْلاَ[2]

ـ وذكر أحمدُ بن المكيّ أنّ لإسحاقَ في هذه الأبيات ثقيلاً أوّل بالوسطى ـ فاستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ: يا أبا مُعاذٍ قد والله أجدتَ وبالغتَ، فلو تفضّلتَ بأن تُعِيدَها! فأعادها على خلاف ما أنشدَنِيها في المرّة الأولى، فتوهّمتُ أنه قالها في تلك الساعة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي قال: كنتُ أكلّم بشّاراً وأردّ عليه سُوءَ مذهبه بميلِه إلى الإلحاد، فكان يقول: لا أعرف إلا ما عاينتُه أو عاينتُ مثلَه؛ وكان الكلامُ يطول بيننا، فقال لي: ما أظنّ الأمر يا أبا خالد، إلا كما تقول، وأن الذي نحن فيه خِذْلانٌ ولذلك أقولُ: [الطويل]

طُبِعْتُ على ما فِيَّ غيرَ مُخَيَّرٍ هَوايَ ولو خُيِّرتُ كُنْتُ المهذّبا
أُرِيدُ فلا أُعْطَى وأُعطَى ولم أرِدْ وقَصَّر عِلْمِي أنْ أنالَ المغَيَّبَا
فَأُصْرَفُ عن قَصْدِي وَعِلْمِي مُقَصِّرٌ وأُمْسِي وما أُعْقِبْتُ إلا التعجُّبَا

[بينه وبين فتى من بني منقر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مَهْرُويه قال: حدّثني أحمدُ بن خَلاَّد ابن المبارك قال حدّثني أبي قال: كان بالبصرة فتىً من بني مِنْقَرٍ أُمُّه عِجْلِيَّةٌ، وكان يبعثُ إلى بشّار في كل أُضْحِيَّةٍ بأُضْحِيَّةٍ من الأضاحي التي كان أهل البصرة يُسَمِّنونها سنةً وأكثرَ للأضاحي ثم تُباعُ الأضحيّة بعشرة دنانير، ويبعثُ معها بألف درهم؛ قال: فأمرَ وكيلَه في بعض السنينَ أن يُجرِيَه على رَسْمه، فاشترَى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينة وسرَق باقِيَ الثمن، وكانت نعجةً عَبدَلِيَّةً من نِعاجَ عبد الله بن دارم وهو نِتاجٌ مَرْذولٌ[3]، فلما أُدخِلَتْ عليه قالت له جاريته رَبابَةُ: ليست هذه الشاةُ من

---

(١) الذَّحْل: الثأر.
(٢) أكظام: جمع كظم، وهو مخرج النفس.
(٣) مرذول: رديء.

الغنم التي كان يَبعثُ بها إليكَ؛ فقال: أدنيها منّي فأدنتْها ولمسَها بيده ثم قال: ٱكتب يا غُلامُ: [المتقارب]

وَهَبْتَ لنا يا فَتَى مِنقَرٍ ... وعِجْلٍ وأكْرَمَهُمْ أوْلاَ
وأبسَطَهُم راحَةً في النَّدَى ... وأرفعَهُم ذِرْوَةً في العُلا
عَجُوزاً قَدَ ٱوْرَدَها عُمْرُها ... وأسْكَنَها الدَّهْرُ دارَ البِلى
سَلُوحاً تَوَهَّمْتَ أنَّ الرِّعاءَ ... سَقَوْها ليُسهِلَها الحنظَلاَ[1]
وَأَضْرَطَ من أُمّ مُبتَاعِها ... إن ٱقتَحَمَتْ بُكرةً حَرْمَلاَ[2]
فلو تأكُلُ الزُّبْدَ بالنِّرسِيَان ... وتَدَّمِجُ المِسْكَ والمَنْدَلاَ[3]
لَمَا طَيَّبَ الله أرواحَها ... ولا بلّ من عَظْمِها الأقْحَلا[4]
وَضَعْتُ يَمِيني على ظَهْرِها ... فَخِلْتُ حَرَاقِفَها جَنْدَلاَ[5]
وأهْوَتْ شِمالي لعُرْقوبِها ... فَخِلْتُ عَرَاقِبَها مِغْزَلاَ
وَقَلَّبْتُ ألْيَتَها بَعْدَ ذا ... فشَبَّهْتُ عُصْعُصَها مِنْجَلاَ
فَقُلْتُ أبِيعُ فلا مَشْرَباً ... أُرَجِّي لَدَيْها ولا مَأكَلاَ
أمَ ٱشوِي وَأطبُخُ من لَحْمِها ... وَأَطْيَبُ من ذاك مَضْغُ السَّلَى[6]
إذا ما أُمِرَّتْ على مَجْلِس ... من العُجْبِ سَبَّحَ أوْ هَلّلا
رأوْا آيةً خَلْفَها سائقٌ ... يَحُثُّ وإن هَرْوَلتْ هَرْولا
وكنتَ أمَرْتَ بها ضَخْمةً ... بِلَحْمٍ وَشَحْمٍ قد ٱستُكْمِلا
ولٰكِنَّ رَوْحاً عَدَا طَوْرَهُ ... وما كُنْتُ أحسَبُ أن يفعلا
فعَضَّ الذي خانَ في أمرِها ... مِن ٱسْتِ أُمِّهِ بَظْرَها الأغرلاَ[7]
وَلَوْلاَ مكانُكَ قَلَّدْتُهُ ... عِلاَطاً وأنْشَقْتُه الخَرْدلا[8]

---

(١) سلوح: كثيرة السلح، والسلح للطير والحيوان كالتغوط للإنسان. والحنظل: نبت مرّ.
(٢) الحرمل: نبات كالسمسم له حب أسود كالخردل.
(٣) النرسيان: نوع من أجود التمر. والمندل: العود الرطب. وتَدَّمِج: تندمج، تدخل وتستحكم.
(٤) الأقحل: اليابس.
(٥) الحراقف: جمع حرقفة، وهي رأس الورك. والجندل: الصخر.
(٦) السَّلى: غشاء رقيق يحيط بالجنين في بطن أمه، ويخرج معه يوم يولد.
(٧) الأغرل: الذي لم يختن.
(٨) العلاط: حبل يجعل في عنق البعير.

وَلَـوْلا ٱسْـتِـحَـائِـيـكَ خَـضَّـبْـتُـهـا وعَـلَّـقْـتُ فـي جِـيـدهـا جُـلْـجُـلا[١]
فَـجـاءتْـكَ حَـتَّـى تَـرَى حـالَـهـا فَـتَـعْـلَـمَ أنِّـي بـهـا مُـبْـتَـلَـى
سـألـتُـك لَـحْـمـاً لِـصِـبْـيـانـنـا فَـقَـدْ زِدْتَـنـي فـيـهـمُ عَـيِّـلا
فَـخُـذْهـا وَأنْـتَ بـنـا مُـحْـسِـنٌ ومـا زِلْـتَ بـي مُـحْـسِـنـاً مُـجْـمِـلاً

قال: وبعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله وقال له: ويلك! تعلم أني أفتدي من بشّار بما أُعطيه وتُوقِعني في لسانه! اذهَبْ فاشترِ أُضحِيةً، وإن قَدرتَ أن تكونَ مثلَ الفيلِ فافعل، وٱبلُغْ بها ما بلغتْ وٱبعَثْ بها إليه.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا عبد الرحمن ٱبن أخي الأصمعيّ قال: حدّثني عمّي قال: أخبرنا أبو عمرو بن العَلاء قال: رأيتُ بشّاراً المرعَّثَ يرثِي بُنَيّةً له وهو يقول: [الرجز]

يـا بـنـتَ مـن لـم يـكُ يَـهْـوَى بـنـتـا مـا كُـنْـت إلا خَـمْـسَـةً أو سـتّـا
حَـتَّـى حَـلَـلْـتِ فـي الـحَـشَـى وحـتّـى فَـتَّـتِّ قَـلْـبِـي مـن جَـوًى فـانْـفَـتّـا
لأَنْـتِ خَـيْـرٌ مـن غـلامٍ بـتّـا يُـصبِـحُ سـكـرانَ ويُـمْـسِـي بَـهْـتَـا[٢]

[مدحه نافع بن عقبة بن أبي سلم]

أخبرني وكيع قال: حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال: كان نافع بن عُقْبة بن سلْم جَوَاداً مُمَدَّحاً، وكان بَشّار منقطعاً إلى أبيه، فلما مات أبوه وفَد إليه وقد وَلِيَ مكانَ أبيه، فمدحه بقوله: [الكامل]

وَلـنـافِـعٍ فَـضْـلٌ عـلـى أكـفـائـه إنَّ الـكَـريـمَ أحَـقُّ بـالـتَّـفْـضِـيـلِ
يـا نـافِـعَ ٱلـشِّـبْـراتِ حـيـنَ تـنـاوَحَـتْ هُـوجُ الـرِّيـاحِ وأُعْـقِـبَـتْ بُـوبُـولِ[٣]
أشْـبَـهْـتَ عُـقْـبَـةَ غـيـرَ مـا مُـتَـشـبِّـهٍ وَنَـشَـأْتَ فـي حـلـمٍ وحـسـنِ قَـبُـول
وَوَلِـيـتَ فـيـنـا أشْـهُـراً فَـكَـفَّـيْـتَـنـا عَـنَـتَ الـمُـرِيـبِ وسَلَّـةَ الـتَّـضْـلِـيـلِ[٤]
تُـدْعَـى هِـلاَلاً فـي الـزَّمـانِ ونـافـعـاً وَالـسَّـلْـمُ نِـعْـمَ أُبُـوَّةُ الـمـأمُـولِ

فأعطاه مثلَ ما كان أبوه يُعطيه في كلّ سنة إذا وفَد عليه.

---

(١) الجلجل: الجرس.
(٢) بتّ: انقطع عن العمل بالسكر. والبهت: الدهش والتحير، أو التعب.
(٣) الشبرات: جمع شبرة وهي العطية. والوبول: جمع الوبل، وهو المطر.
(٤) السلة: مصدر مرّة من سلّ السيف. وسلة التضليل: انتشار التضليل.

[المهديّ وجارية وشعر]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال: حدّثني إبراهيم بن عُقْبة الرفاعيّ قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم التّمارِ البصْريّ قال: دخل المهديُّ إلى بعض حُجَر الحُرَم فنظر إلى جاريةٍ منهنّ تغتسل، فلما رأته حَصِرتْ[1] ووضعت يدَها على فَرْجها، فأنشأ يقول:

* نـظـرتْ عـيـنـي لـحَـيـنِـي *

ثم أُرتج عليه[2]، فقال: مَنْ بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشّار، فأذن له فدخل؛ فقال له: أجِزْ[3]:

* نـظـرتْ عـيـنـي لـحـيـنـي *

فقال بشّار: [مجزوء الرمل]

نَـظَـرَتْ عَـيْـنِـي لـحَـيْـنِـي ... نَـظَـراً وافَـقَ شَـيْـنِـي

سَـتَـرَتْ لـمّـا رأتـنـي ... دُونَـهُ بـالـرَّاحَـتَـيْـنِ

فَـضَـلَـتْ مـنـه فُـضُـولٌ ... تـحـت طَـيِّ الـعُـكْـنَـتـيـن[4]

فقال له المهديّ: قبّحكَ الله ويحك! أكنت ثالثنا! ثم ماذا؟ فقال:

[مجزوء الرمل]

فَـتَـمَـنَّـيْـتُ وَقـلـبـي ... لِـلْـهَـوَى فـي زَفْـرتَـيـنِ

أنَّـنِـي كُـنْـتُ عَـلَـيْـهِ ... سـاعَـةً أو سـاعَـتَـيْـنِ

فضحكَ المهديّ وأمر له بجائزة؛ فقال: يا أمير المؤمنين أقنِعتَ من هذه الصفة بساعة أو ساعتين، فقال: أخرج عنّي قبّحك الله! فخرج بالجائزة.

---

(١) حصرت: استحيت، خجلت.

(٢) أرتج عليه: لم يستطع أن يكمل البيت.

(٣) أجز: أكمل الشطر الثاني.

(٤) العكنة: ما تثنى من لحم البطن.

[شعر على لسان حمار له مات عشقاً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا أبو شبل عاصم بن وَهْب البُرْجُميّ قال: حدّثني محمد بن الحجّاج قال: جاءنا بَشّار يوماً فقلنا له: ما لك مغتمّاً؟ فقال: مات حماري فرأيته في النوم فقلتُ له: لم مُتّ؟ ألم أكن أُحسِن إليك! فقال: [مجزوء الرمل]

سَيِّدي خُذْ بي أتَاناً ... عند باب الأصْبهانِي
تَيَّمَتْنِي ببنانٍ ... وبِدَلٍّ قد شَجَانِي
تَيَّمَتْنِي يومَ رُحنا ... بثناياها الحسانِ
وبِغُنْجٍ ودَلالٍ ... سَلَّ جسمي وبَرانِي
ولها خَدٌّ أسِيلٌ ... مِثْلُ خَدِّ الشَّيْفَرانِ
فَلِذا مِتُّ ولَوْ عِشْتُ إذاً طالَ هَوانِي

فقلتُ له: ما الشيفران؟ قال: ما يدريني! هذا من غريب الحمار، فإذا لَقِيتَه فاسأله.

أخبرني الحسن قال: حدّثني محمد بن القاسم قال: حدّثني علي بن إياس قال: حدّثني السَّريّ بن الصبّاح قال: شَهِد بَشّار مجلساً فقال: لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شعراً كلّه ولا حديثاً كلّه ولا غناءً كلّه، فإن العيش فُرَصٌ، ولكن غَنُّوا وتحدّثوا وتَنَاشدُوا وتعالَوْا نتناهَب العيشَ تَنَاهُباً.

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكرّانيّ عن ابن عائشة قال: جاءَ بشّار يوماً إلى أبي وأنا على الباب، فقال لي: من أنت يا غلام؟ فقلتُ: مِن ساكني الدارِ؛ قال: فكلّمني والله بلسانٍ ذَرِبٍ[1] وشِدْقٍ هَرِيتٍ[2].

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرّانيّ عن أبي حاتم قال: كان سُهَيل بن عُمَر القرشيّ يبعث إلى بشّار في كلّ سنة بقواصر[3] تمر، ثم أبطأ عليه سنةً، فكتب إليه بشّار:

---

(١) الذرب: الفاحش الذي لا يبالي ما قال.
(٢) الهرّيت: الواسع.
(٣) القواصر: جمع قوصرة، وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر.

[الخفيف]

تَـمْـرَكُـمْ يـا سُـهَـيْـلُ دُرٌّ وَهَـلْ يُـطْـ ـمَعُ فـي الـدُّرِّ مِـنْ يَـدَيْ مُـتَـعـتِّـي[1]
فَـاخْـبُـرِنِي يـا سُـهَـيْـلُ مِنْ ذلكَ الـتَّـمْـ ـرِ نَـواةً تَـكُـونُ قُـرْطـاً لـبِـنـتِـي

فبعث إليه بالتمر وأضعفه له، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر.

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: عن عافية بن شَبيب عن الحسن بن صَفْوان قال: جلس إلى بشّارٍ أصدقاءُ من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن يُنشدَهم شيئاً مما أحدثه، فأنشدهم قوله: [السريع]

أنّـى دعـاه الـشَّـوْقُ فـارتـاحـا مِـنْ بَـعْـدِ مـا أصْـبَـحَ جَـحْـجـاحـا

حتّى أتى على قوله: [السريع]

فـي حُـلَّـتـي جـسـمُ فـتـىً نـاحـلٍ لـو هَـبَّـتِ الـرِّيـحُ بـه طـاحـا[2]

فقالوا: يابن الزانية، أتقول هذا وأنتَ كأنّك فِيل عَرضُك أكثر من طولك! فقال: قوموا عنّي يا بني الزِّناء؛ فإنّي مشغول القلب، لستُ أنشَط اليومَ لمشاتمتكم.

[جزاء من أراد هتك أعراض الناس]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شَبيب قال: كان لبشّار مَجلِس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البَرْدان: فدخل إليه نِسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره، فعشِق أمرأة منهنّ، وقال لغلامه: عَرِّفها محبّتي لها، وأتبعها إذا انصرفت إلى منزلها؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تُجبه إلى ما أحبّ، فتبِعها إلى منزلها حتّى عرفَه، فكان يتردّد إليها حتّى بَرِمت[3] به، فشكته إلى زوجها، فقال لها: أجيبيه وعِديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلتْ، وجاء بشّار مع أمرأةٍ وجّهتْ بها إليه، فدخَل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم، فجعل يحدّثها ساعة، وقال لها: ما اسمك بأبي أنتِ؟ فقالت: أُمامة؛ فقال: [الوافر]

أمـامـةُ قـد وُصِـفْـتِ لـنـا بِـحُـسْـنٍ وإنّـا لا نَـراكِ فـألْـمِـسِـيـنـا

---

(١) المتعتّي: المستكبر، المتجاوز الحدّ.
(٢) طاح: هلك.
(٣) بَرِمَت: ضجرت.

قال: فأخذتْ يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ، ففزع ووثب قائماً وقال: [الوافر]

عَـلَـيَّ أَلِـيَّـةٌ مـا دُمْـتُ حَـيًّـا … أَمَـسُّـكِ طَـائـعـاً إلا بـعُـودِ
ولا أُهْـدِي لِـقَـوْمٍ أنْـتِ فـيـهـم … سـلامَ اللهِ إلاّ مـن بـعـيـدِ
طَلَبْتُ غَنِيمةً فوضعتِ كفّي … على أيرٍ أشَدَّ من الحديدِ
فَخَيْرٌ منكِ من لا خيرَ فيه … وَخَيْرٌ من زيارَتِكُمْ قُعُودي

وقبض زوجُها عليه وقال: هَمَمتُ بأن أفضحَك؛ فقال له: كفاني، فديتُك، ما فعلتَ بي، ولستُ والله عائداً إليها أبداً، فحسبُك ما مضى، وتركه وٱنصرف، وقد رُوي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشّار هذه. وهذا الخبر بعينه يُحكَى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضحَ عن أبي العبّاس الأعمى السائب بن فَرُّوخ، وقد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده.

[رثاؤه أصدقاءه الخمسة]

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني حمدان الأبَنوسيّ قال: حدّثنا أبو نُوَاس قال: كان لبشّار خمسةُ نُدماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البَراء، فركب في زَورق يريدُ عبور دجلة العوراء[1] فغرِق، وكان المهديّ قد نَهى بشّاراً عن ذكر النساء والعشق، فكان بشار يقول: ما خَيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثَى أصدقاءه بقوله: [الخفيف]

يـابْـنَ مُـوسَـى مـاذا يـقـولُ الإمـامُ … فـي فـتـاةٍ بِـالـقَـلْـبِ مـنـهـا أوامُ[2]
بِـتُّ مِـنْ حُـبِّـهـا أُوَقَّـرُ بـالـكـأ … سِ وَيَـهْـفُـو عَـلَـى فـؤادِي الـهُـيَـامُ[3]
وَيْـحَـهـا كـاعِـبـاً تُـدِلُّ بـجَـهْـم … كَـعـثَـبِـيٍّ كـأنَّـهُ حَـمّـامُ[4]
لـم يَـكُـنْ بـيـنـهـا وبـيـنـي إلاّ … كُـتُـبُ الـعـاشِـقِـيـنَ والأحـلامُ
يابْنَ موسى ٱسْقِنِي ودَع عَنْكَ سَلْمَى … إنّ سَلْمَى حِمىً وَفِيَّ ٱحتشامُ
رُبَّ كـأسٍ كـالـسَّـلْـسَـبِـيـلِ تَـعَـلَّلْـ … ـتُ بـهـا والـعـيـون عـنّـي نـيـامُ

(١) دجلة العوراء: دجلة البصرة.
(٢) الأوام: حرارة العطش.
(٣) الهيام: جنون العشق.
(٤) الكعثب: الفرج الضخم الناتىء.

حُبِسَتْ لِلشُّراةِ في بيتِ رأسٍ … عُتِّقَتْ عانِساً عَلَيْها الخِتامُ[١]
نَفَحَتْ نَفْحَةً فَهَزَّت نَدِيمِي … بِنَسِيمٍ وٱنْشَقَّ عنها الزُّكامُ
وكأنَّ المَغْلُولَ منها إذا را … حَ شَجٍ في لِسانِهِ بِرْسامُ[٢]
صَدَمتْهُ الشَّمُولُ حتّى بِعَيْنَيْـ … ـهِ انكسارٌ وفي المفاصِلِ خَامُ[٣]
وَهُوَ باقِي الأطْرافِ حَيّت به الكأ … سُ وماتَتْ أوصالُهُ والكَلامُ
وَفَتىً يَشْرَبُ المُدامَةَ بالما … لِ وَيَمْشِي يَرُومُ ما لا يُرامُ
أنْفَدَتْ كأسُهُ الدَّنانيرَ حتّى … ذَهَبَ العَيْنُ وٱسْتَمَرَّ السَّوَامُ
تَرَكَتْهُ الصَّهْباءُ يَرْنُو بِعَيْنٍ … نامَ إنسانُها وَلَيْسَتْ تَنامُ
جُنّ من شَرْبَةٍ تُعَلّ بأخرى … وَبَكَى حينَ سارَ فيه المُدامُ
كانَ لي صاحِباً فأوْدَى به الدّهْـ … ـرُ وفارقتُهُ عليهِ السَّلامُ
بَقِيَ النّاسُ بعدَ هُلْك نَداما … يَ وُقوعاً لم يشعروا ما الكلامُ
كجَزور الأيْسارِ لا كَبِدٌ فيـ … ـها لِباغٍ ولا عَلَيْها سَنامُ
يابْنَ مُوسَى فَقْدُ الحَبِيبِ على العَيْـ … ـنِ قَذاةٌ وفي الفُؤادِ سِقامُ
كَيْفَ يَصْفُو ليَ النَّعِيمُ وَحِيداً … والأخِلاّءُ في المقابِرِ هامُ
نَفِسَتْهُم عليَّ أمُّ المنايا … فأنامَتْهُم بعُنفٍ فناموا
لا يَغِيضُ ٱنْسِجامُ عَيْنِي عَنْهُمْ … إنَّما غايةُ الحَزِينِ السِّجامُ[٤]

[مدحه عمر بن هبيرة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ: أن بشّاراً وفَد إلى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله: [الطويل]

يخافُ المنايا أنْ تَرَحَّلْتُ صاحِبي … كأنَّ المنايا في المُقام تُناسِبُهْ
فَقُلْتُ له إنّ العِراقَ مُقامه … وَخِيمٌ إذا هَبَّت عليكَ جنائبُهْ
لألقى بني عَيلان إنّ فعالهم … تزيدُ على كلِّ الفَعال مَراتبُهْ
أولاك الألى شَقُّوا العَمَى بسيوفهم … عن العين حتّى أبصر الحقَّ طالبُهْ

(١) بيت رأس: اسم لقريتين اشتهرتا بالخمر، إحداهما في نواحي حلب، والأُخرى في بيت المقدس.
(٢) البرسام: ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماغ.
(٣) الشمول: الخمر. ولم أعثر على معنى الـ «خام» يناسب السياق.
(٤) السِّجام: سيلان الدمع.

وَجَيْشٍ كجُنحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بالحصا وبالشَّوْكِ وَالخَطِّيِّ حُمراً ثَعَالِبُهْ[1]
غَدَونا له وَالشَّمْسُ في خِدْرِ أُمّها تُطالعنا والطَّلُّ لم يَجْرِ ذائبُهْ
بِضَربٍ يذوقُ المَوْتَ من ذاقَ طعمَه وَتُدْرِكُ من نَجّى الفِرَارُ مَثَالِبُهْ[2]
كأنّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رؤوسنا وأسْيافَنا لَيْلٌ تَهَاوَى كواكبُهْ
بَعَثْنا لهم مَوْتَ الفُجاءَةِ إنَّنا بَنُو المَوْتِ خفّاقٌ علينا سَبائبُهْ[3]
فَراحُوا فَرِيقٌ في الإسارِ ومثلُهُ قتيلٌ وَمِثْلٌ لاذ بالبَحْرِ هارِبُهْ
إذا المَلِكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَيْنا إليهِ بِالسُّيوفِ نعاتبُهْ[4]

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أُعطيها بشّار ورفَعتْ من ذكره، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها:

صوت

[الطويل]

إذا كُنْتَ في كُلِّ الأمُورِ مُعاتِباً صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الَّذِي لا تُعاتبُهْ
فَعِشْ وَاحِداً أوْ صِلْ أخاكَ فإنَّهُ مُقارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجانِبُهْ
إذا أنْتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وَأيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

الغناء في هذه الأبيات لأبي العُبَيس بن حَمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها.

[شعره في العشق]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال: كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَرْدَان، وكان النساء يحضرنه فيه، فبينما هو ذاتَ يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشِقها، فدعا غلامه فقال: إذا تكلّمتِ المرأة عرّفتُك فاعرِفها، فإذا انصرفتْ من المجلس فاتبعها وكلّمها وأعلمها أنّي لها مُحبّ؛ وقال فيها:

---

(١) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو موضع في البحرين. والثعالب: جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان.
(٢) المثالب: جمع مثلبة، وهي العيب.
(٣) السبائب: هنا الرايات.
(٤) صعر خدّه: أماله كبراً.

[البسيط]

يا قَوْمُ أُذْنِي لِبَعْضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ ... والأذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أحْيانا
قالوا: بِمَنْ لا تَرَى تَهذِي! فَقُلْتُ لَهُمْ ... الأذْنُ كالعَيْنِ تُوفِي القَلْبَ ما كانا
هَلْ مِنْ دواءٍ لِمَشْغُوفٍ بجاريةٍ ... يَلْقَى بِلُقيانها روحاً وَرَيحانا[(١)]

وقال في مثل ذلك: [البسيط]

قالَتْ عُقَيلُ بْنُ كَعْبٍ إذ تعَلَّقَها ... قَلْبِي فأضْحَى به مِنْ حُبِّها أثَرُ
أنَّى وَلَمْ تَرَها تَهذِي! فَقُلْتُ لهم ... إنّ الفُؤادَ يَرى ما لا يَرَى البَصَرُ
أصْبَحْتُ كالحائِمِ الحَيْرانِ مُجْتَنِباً ... لَمْ يَقْضِ وِرْداً ولا يُرْجَى لَهُ صَدَرُ

قال يحيى بن عليّ: وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى وكان يستحسنه: [الطويل]

يُزَهِّدُنِي في حُبِّ عَبْدَةَ مَعْشَرٌ ... قُلُوبُهُمُ فِيها مُخالِفَةٌ قَلْبِي
فَقُلْتُ دَعُوا قلبي وما اختارَ وارْتَضَى ... فَبالقَلْبِ لا بِالعَيْنِ يُبصِرُ ذو الحُبِّ
فما تُبْصِرُ العَينانِ في مَوْضِعِ الهَوَى ... ولا تَسْمَعُ الأذْنانِ إلاّ مِنَ القَلْبِ
وما الحُسْنُ إلاّ كلُّ حُسْنٍ دعا الصِّبَا ... وَألَّفَ بينَ العِشْقِ والعاشِقِ الصَّبِّ

قال أبو أحمد: وقال في مثل ذلك:

يا قَلْبُ ما لِي أراكَ لا تَقِرُ ... إيّاكَ أعْنِي وَعِنْدَكَ الخَبَرُ[(٢)]
أذَعْتَ بَعْدَ الأُلَى مَضَوْا حُرَقاً ... أم ضاعَ ما استودعُوكَ إذ بَكَروا

قال أبو أحمد: وقال في مثل ذلك: [المنسرح]

إنَّ سُلَيْمَى واللّهُ يكلؤها ... كالسُّكْرِ تَزدادُهُ على السَّكَرِ
بُلِّغْتُ عنها شَكلاً فأعْجَبَنِي ... وَالسَّمْعُ يَكْفِيكَ غَيْبَةَ البَصَرِ

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي قال: زعم أبو العالية أنّ بشّاراً قدِم على المهديّ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع: قد أذِن لك وأمرك ألاّ تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فادخُل على ذلك، فأنشدَه قولَه: [مجزوء الكامل]

يا مَنْظَراً حَسَناً رأيتُهْ ... مِنْ وَجْهِ جاريةٍ فَدَيْتُهْ
بَعَثَتْ إليَّ تَسُومُنِي ... بُرْدَ الشَّبابِ وقَدْ طَوَيْتُهْ

---

(١) الرَّوْح: نسيم الريح.

(٢) لا تقر: لا تستقرّ.

وَاللهِ رَبِّ مُحَمَّدِ ... ما إنْ غَدرْتُ ولا نَوَيْتُهْ
أمْسَكْتُ عَنْكِ وَرُبَّما ... عَرَضَ البلاءُ وما ٱبْتَغَيْتُهْ
إنّ الخَلِيفَةَ قد أبَى ... وإذا أبَى شيئاً أبيتُهْ
وَمُخَضَّبٍ رَخْصِ البَنا ... نِ بَكَى عَلَيَّ وما بَكَيْتُهْ
ويَشُوقُنِي بَيْتُ الحَبِيـ ... ـبِ إذا ٱدَّكَرْتُ وأيْنَ بَيْتُهْ
قامَ الخَلِيفَةُ دونَهُ ... فَصَبَرْتُ عَنْهُ وما قَلَيْتُهْ
ونَهانِيَ المَلِكُ الهُما ... مُ عَن النَّسِيبِ وما عَصَيْتُهْ
لا بَلْ وَفَيْتُ فلم أُضِعْ ... عَهْداً ولا رأياً رأيتُهْ
وَأنا المُطِلُّ عَلَى العِدا ... وإذا غلا عِلْقٌ شَرَيْتُهْ[1]
أُصْفِي الخَلِيلَ إذا دنا ... وإذا نَأى عَنّي نأيْتُهْ

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرَمه ولم يُعطه شيئاً، فقيل له: إنّه لم يستحسن شعرك؛ فقال: والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخش صرفُه على أحد، ولكنّه كذّب أملي لأنّي كَذبت في قولي. ثم قال في ذلك: [الطويل]

خَلِيلَيَّ إنّ العُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ ... وإنَّ يَساراً في غَدٍ لَخَلِيقُ
وَما كُنْتُ إلا كالزَّمان إذا صَحا ... صَحَوْتُ وإن ماق الزَّمانُ أمُوقُ
أأدْماءُ لا أسْطِيعُ في قِلَّة الثَّرَى ... خُزُوزاً وَوشياً والقليلُ مَحِيقُ[2]
خُذي مِنْ يَدِي ما قَلَّ إنّ زمانَنا ... شَمُوسٌ ومعروفُ الرِّجالِ رَقِيقُ
لقد كُنْتُ لا أرْضَى بأدْنَى مَعِيشَةٍ ... ولا يَشْتَكِي بُخْلاً عَلَيّ رَفِيقُ
خَلِيلَيَّ إنَّ المالَ لَيْسَ بنافعٍ ... إذا لم يَنَلْ منهُ أخٌ وصديقُ
وَكُنْتُ إذا ضاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ ... تَيَمَّمْتُ أُخْرَى ما عَلَيَّ تَضِيقُ
وما خابَ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ عامِلٌ ... لَهُ في التُّقَى أو في المَحامِدِ سُوقُ
ولا ضاقَ فَضْلُ اللهِ عن مُتَعَفِّفٍ ... وَلٰكِنَّ أخْلاقَ الرِّجالِ تَضِيقُ

[المهدي ينهاه عن النسيب]

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثني عمر بن شبّة قال: بلغ المهديَّ قولُ بشّار:

---

(١) العلق: الشيء النفيس.

(٢) المحيق: الممحوق، الذي لا خير فيه.

[الكامل]

قاسِ الهُمُومَ تَنَلْ بها نُجُحا ... والليلَ إنَّ وَرَاءَهُ صُبُحا
لا يُؤيِسَنَّكَ مِنْ مُخَبَّأَةٍ ... قَوْلٌ تُغَلِّظُ وإنْ جَرَحا
عُسْرُ النِّساءِ إلى مُياسَرةٍ ... والصَّعْبُ يُمْكِنُ بَعْدَما جَمَحا

فلمّا قدِم عليه ٱستنشده هذا الشعرَ فأنشده إياه، وكان المهديّ غيوراً، فغضِب وقال: تلك أمّك يا عاضّ كذا[١] من أمّه! أتحضُّ الناسَ على الفجور وتقذف المحصنات المخبّآتِ! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتينّ على روحك؛ فقال بشار في ذلك: [المنسرح]

والله لولا رِضا الخَليفةِ ما ... أعْطَيْتُ ضَيْماً عَلَيَّ في شَجَنِ
وَرُبَّما خيرَ لابْنِ آدَمَ في الـ ... كُرْهِ وَشَقَّ الهَوَى على البَدَنِ
فاشْرَبْ على أُبنة الزَّمانِ فما ... تَلْقَى زماناً صَفَا من الأُبَنِ[٢]
الله يُعْطيكَ من فَواضِلِهِ والـ ... مَرْءُ يُغْضِي عَيْناً على الكُمَنِ[٣]
قد عِشْتُ بينَ الرَّيحانِ والرَّاحِ والـ ... مِزْهَرِ في ظِلّ مَجْلِسٍ حَسَنِ
وقد ملأتُ البلادَ ما بَيْنَ فَغْـ ... فُورَ إلى القَيروان فاليَمَنِ

قال عمر بن شبّة: فُغْفُور: ملك الصين.

شِعراً تُصلّي له العَواتِقُ والـ ... ثُّيبُ صَلاةَ الغُواةِ لِلْوَثَنِ
ثم نهاني المَهْدِيُّ فانْصَرَفَتْ ... نَفْسِي صَنِيعَ المُوَفَّقِ اللَّقِنِ
فالحمدُ لله لا شَريكَ لَهُ ... لَيْسَ بباقٍ شَيْءٌ عَلَى الزَّمَنِ

ثم أنشده قصيدته التي أوّلها: [الطويل]

* تجالَلتُ عن فِهرٍ وعن جارتَيْ فهرِ *

ووصفَ بها تركه التشبيب، ومدحه فقال:

تَسلّى عَن الأحْبابِ صَرّامُ خُلَّةٍ ... وَوَصّالُ أُخرَى ما يُقِيمُ على أمْرِ
وَرَكّاضُ أفْراسِ الصَّبابَةِ والهَوَى ... جَرَت حِجَجاً ثم ٱسْتَقَرَّتْ فما تَجْرِي[٤]

(١) أي يا عاض بظر أمه، وهي سبة عند العرب.
(٢) الأبنة: العداوة والحقد، والجمع أُبَن.
(٣) الكُمَن: جمع كُمْنَة، وهي مرض يصيب العين.
(٤) حِججاً: سنين. جمع حِجّة.

فأَصْبَحْنَ ما يُرْكَبْنَ إلاّ إلى الوَغَى ... وأَصْبَحْتُ لا يُزْرى عَلَيَّ ولا أزْرِي
فَهٰذا وإنِّي قد شَرَعْتُ مَعَ التُّقَى ... وماتَتْ هُمُومِي الطارِقاتُ فما تَسْرِي

ثم قال يصف السفينة:

وعذراءَ لا تَجْرِي بلحم ولا دَم ... قليلةِ شَكْوَى الأيْنِ مُلْجَمَةِ الدُّبْرِ[١]
إذا ظَعَنَتْ فيها الفُلُول تَشَخَّصَتْ ... بفُرسانِها لا في وُعوثٍ ولا وعرِ[٢]
وإن قَصَدَتْ زَلَّتْ عَلَى مُتَنَصِّبٍ ... ذليلِ القُوَى لا شَيْءَ يَفْرِي كما تَفْرِي[٣]
تُلاعِبُ تَيَّارَ البُحُورِ وَرُبَّما ... رَأَيتَ نُفُوسَ القَوْمِ مِنْ جَرْيِها تَجْرِي

قال: وكان قال: «نينان البحور» فعابه بذلك سيبويه فجعله «تيّار البحور».

إلى مَلِكٍ من هاشِمٍ في نُبُوَّةٍ ... وَمِنْ حِمْيرٍ في المُلْكِ في العَدَدِ الدَّثْرِ[٤]
مِنَ المُشْتَرِينَ الحَمْدَ تَنْدَى مِنَ النَّدَى ... يَدَاهُ وَيَنْدَى عارِضاهُ مِنَ العِطْرِ[٥]
فَأَلْزَمْتُ حَبْلِي حَبْلَ من لا تُغِبُّهُ ... عُفاةُ النَّدَى مِنْ حَيْثُ يَدْرِي ولا يَدْرِي
بَنَى لكَ عبدُ اللهِ بَيْتَ خلافةٍ ... نَزَلْتَ بها بين الفَراقِدِ وَالنَّسْرِ[٦]
وَعِنْدَكَ عَهْدٌ من وَصاةِ مُحَمَّدٍ ... فَرَعْتَ به الأملاكَ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ[٧]

فلم يَحْظَ منه أيضاً بشيء، فهجاه فقال في قصيدته:

[قتله وأسبابه وأقوال الناس فيه]

[السريع]

خليفةٌ يَزْني بِعَمّاتِهِ ... يَلْعَبُ بالدَّبُّوق والصَّوْلجانْ[٨]
أبْدَلَنا اللَّهُ بهِ غَيْرَهُ ... وَدَسَّ مُوسَى في حِرِ الخَيْزُرانْ[٩]

(١) الأين: التعب، والإعياء.
(٢) الفلول: الجماعات.
(٣) تفري: تشقّ.
(٤) العدد الدَّثْر: الكثير.
(٥) العارضان: صفحتا الخد، جانبا الوجه.
(٦) الفرقدان، والنسران: نجوم.
(٧) فرعت: علوت. والأملاك: الملوك.
(٨) الدَّبُّوق: لعبة يلعب بها الصبيان.
(٩) موسى: هو موسى الهادي ابن المهدي، وقد استلم الخلافة بعده. والخيزران أمه، وأم أخيه هارون الرشيد.

وأنشدها في حَلْقة يونس النّحويّ، فسُعِي إلى يعقوب بن داود، وكان بشّار قد هجاه فقال: [البسيط]

بَني أُمَيَّةَ هُبُّوا طالَ نَوْمُكُم إنَّ الخَليفَةَ يَعْقوبُ بْنُ داودِ
ضاعَتْ خلافَتُكُمْ يا قَوْمُ فالْتَمِسُوا خَليفَةَ اللهِ بَيْنَ الزِّقِّ وَالعُودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك؛ فقال: بأيّ شيء؟ فقال: بما لا ينطق به لساني ولا يتوهّمه فكري؛ قال له: بحياتي إلاّ أنشدتني! فقال: والله لو خيّرتَني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي، فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره؛ فقال: أمّا لفظاً فلا، ولكنّي أكتبُ ذلك، فكتبه ودفعه إليه، فكاد ينشقّ غيظاً، وعَمد على الانحدار إلى البصرة للنّظر في أمرها، وما وكدُه[1] غير بشّار، فانحدر، فلما بلغ إلى البَطِيحة[2] سمِع أذاناً في وقت ضُحى النّهار، فقال: أنظرُوا ما هذا الأذان! فإذا بشّار يُؤذّن سكرانَ؛ فقال له: يا زنديقُ يا عاضّ بظْر أمه، عجِبتُ أن يكون هذا غيرَك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران! ثم دعا بابن نَهيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحَرّاقة[3] سبعين سوطاً أتلفه فيها، فكان إذا أوجعه السوط يقول: حَسِّ - وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع - فقال له بعضهم: انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حَسِّ، ولا يقول: باسم الله؛ فقال: ويلك، أطعامٌ هو فأُسمّيَ الله عليه! فقال له الآخر: أفلا قلتَ: الحمد لله؛ قال: أو نعمةٌ هي حتّى أحمد الله عليها! فلما ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه، فأُلقي في سفينة حتى مات ثم رُمِي به في البَطيحة فجاء بعض أهله فحمَلوه إلى البصرة فدُفن بها.

أخبرني عمّي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال: لما وَلِيَ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزيرِ المهديّ البصرة، قال بشّار يهجوه: [الطويل]

هُمُ حَمَلُوا فَوْقَ المَنابِرِ صالحاً أخاكَ فَضَجَّتْ مِنْ أخِيكَ المَنابِرُ

---

(١) وكده: قصده.
(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة (معجم البلدان ١/ ٤٥٠).
(٣) الحرّاقة: سفينة حربية كانت تستعمل في القتال زمن العباسيين.

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهديّ فقال: يا أمير المؤمنين، أبلَغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين! قال: ويحك! وما قال؟ قال: يُعفيني أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه، فقال خالد بن يزيد ابن وهب في خبره: وخاف يعقوب بن داود أن يَقدمَ على المهديّ فيمدحَه ويعفو عنه، فوجّه إليه من ٱستقبله فضربه بالسِّياط حتّى قتله ثم ألقاه في البَطيحة في الخَرّارة[1].

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه وعن جماعة من رُواة البصريّين، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد، وخبره أتم، قالوا: خرج بشّار إلى المهديّ، ويعقوبُ بن داود وزيرُه، فمدَحه ومدح يعقوب، فلم يحفِل به يعقوب ولم يُعطه شيئاً، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله، فصاح به بشّار: [الكامل]

* طـال الـثَّـواء عـلـى رُسُـوم الـمـنـزِلِ *

فقال يعقوب:

* فـإذا تـشـاءُ أبـا مـعـاذٍ فـارحَـلِ *

فغضِب بشّار وقال يهجوه: [البسيط]

بَـنِـي أمـيّـة هُـبُّـوا طـالَ نـومُـكُـمُ ... إنَّ الـخَـلِـيـفَـةَ يـعـقـوبُ بـن داودِ
ضـاعَـتْ خـلافـتكـم يـا قـوم فـالْـتَمِسُوا ... خـلـيـفـةَ الله بـيـن الـزِّقّ وَالـعُـودِ

قال النوفليّ: فلما طالت أيام بشّار على باب يعقوب دخل عليه، وكان من عادة بشّار إذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفِل عن يمينه ويُصفّق بإحدى يديه على الأُخرى، ففعل ذلك وأنشد: [الكامل]

يـعـقـوبُ قَـدْ وَرَدَ الـعُـفـاةُ عَـشِـيَّـةً ... مُـتَـعَـرِّضِـيـنَ لِـسَـيْـبِـكَ الـمُـنـتـابِ[2]
فَـسَـقَـيْـتَـهُـمْ وَحَـسِـبْـتَـنِـي كَـمُّـونَـةً ... نَـبَـتَـتْ لِـزَارِعِـهـا بِـغَـيْـرِ شَـرَابِ
مَـهْـلاً لَـدَيْـكَ فـإنَّـنِـي رَيـحـانَـةٌ ... فَـاشْـمُـمْ بـأنْـفِـكَ وٱسْـقِـهـا بـذِنـابِ[3]

---

(١) الخرّارة: موضع في البصرة كثير المياه.
(٢) السيب: العطاء. والمنتاب: الذي يأتي مرة بعد مرة.
(٣) الذناب: جمع ذنوب، وهي الدلو الملأى.

طَـالَ الـثَّـوَاءُ عَـلَـى تَـنَـظُّـرِ حـاجَـةٍ ... شَـمِطَـتْ لَدَيْكَ فَمَنْ لها بِخِضابِ[1]
تُـعْـطِـي الـغَـزِيـرَةُ دَرَّهـا فـإذا أبَـتْ ... كـانَـتْ مَـلامَـتُـهـا عَـلَـى الـحُـلاَّبِ

يقول ليعقوب: أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يُوصَل إلى دَرِّها فليس ذلك من قِبَلها، إنّما هو من منع الحالب منها؛ وكذلك الخليفة ليس من قِبَلِه لسَعة معروفه؛ إنما هو من قِبَل السبب إليه. قال: فلم يعطِفْ ذلك يعقوبَ عليه وحرَمه، فانصرف إلى البَصرة مُغضباً، فلمّا قدِم المهديُّ البصرةَ أعطى عطايا كثيرةً ووصَل الشعراء، وذلك كلُّه على يديْ يعقوب، فلم يُعط بشّاراً شيئاً من ذلك، فجاء بَشّار إلى حَلْقة يونسَ النَّحْويّ فقال: هل ها هنا أحد يُحْتَشم؟ قالوا له: لا، فأنشأ بيتاً يَهْجُو فيه المهديّ، فسعَى به أهلُ الحلقة إلى يعقوب؛ فقال يونس للمهديّ: إنّ بشّاراً زِنْديق وقامت عليه البيّنة عندي بذلك، وقد هجا أمير المؤمنين، فأمر ٱبنَ نَهيك بأخذه، وأزِف خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه في زَوْرق. فلما كانوا بالبَطِيحة ذكَره المهديّ فأرسل إلى ٱبن نَهيك يأمرُه أن يضرب بشّاراً ضربَ التلف ويُلْقِيَه بالبطيحة، فأمر به فأُقيم على صدر السفينة وأمر الجلاّدين أن يضربوه ضرباً يُتلِفون فيه نفسَه ففعلوا ذلك، فجعل يَسترجع؛ فقال بعض من حضر: أمَا تراه لا يحمَد الله! فقال بشّار: أنعمةٌ هي فأحمدَ الله عليها! إنّما هي بليّة أسترجع عليها، فضُرب سبعين سوطاً مات منها وأُلقيَ في البطيحة.

قال يحيى بن عليّ فحكَى قَعْنَب بن محرز الباهليّ قال: حدّثني محمد بن الحجّاج قال: لما ضُرب بشّار بالسّياط وطُرح في السفينة قال: ليت عينَ أبي الشَّمَقمق رأتني حين يقول: [مجزوء الرمل]

إنَّ بَـــشّـــارَ بْـــنَ بُـــرْدٍ ... تَـيْـسٌ أعْـمَـى فـي سَـفِـيـنَـهْ

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وحَبيب بن نصر المُهَلّبي قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: أمر المهديّ عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشّاراً، فما بقي بالبَصرة شريفٌ إلا بعث إليه بالفَرْشِ والكُسْوة والهدايا ومات بالبطيحة، قال: وكانت وفاته وقد ناهز ستّين سنة.

قال عمر بن شبّة: حدّثني سالم بن عليّ، قال: كنّا عند يونس فنعَى بشّاراً

(١) شمطت: في الأصل: شابت. وأراد هنا: تأخر قضاؤها وطال عليها الأمد.

إلينا ناعٍ، فأنكر يونسُ ذلك وقال: لم يمتْ؛ فقال الرجل: أنا رأيت قبرَه، فقال: أنت رأيتَه؟ قال: نعم، وإلا فعليّ وعليّ، وحلَف له حتّى رضيَ، فقال يونسُ: «لليدين وللفم»[١].

قال أبو زيد: وحدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمّد بن عَوْن بن بَشير، وكان يُتّهَم بمذهب بشّار، فقال: لمّا مات بشّار أُلقيتْ جُثّتُه بالبطيحة في موضع يُعرَف بالخَرّارة فحمله الماء فأخرجه إلى دجلَة البصرة فأُخِذَ فأُتِيَ به أهلُه فدفنوه، قال وكان كثيراً ما ينشدني: [مجزوء الرمل]

سَتَرَى حَوْلَ سَرِيرِي ... حُسَّراً يَلْطِمْنَ لَطْما
يا قَتِيلاً قَتَلَتْه ... عَبْدةُ الحوراءُ ظُلْما

قال: وأُخرِجَتْ جنازتُه فما تبِعها أحدٌ إلاّ أمةٌ له سوداء سِنديّة عجماء ما تُفصح، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح: واسيّداه! واسيّداه!

قال أبو زيد: وحدّثني سالم بن عليّ قال: لمّا مات بشّار ونُعيَ إلى أهل البَصرة تَباشر عامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحمِدوا الله وتصدّقوا، لِما كانوا مُنُوا[٢] به من لسانه.

وقال أبو هشام الباهليّ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ في قتل بشّار: [المنسرح]

يا بُؤسَ مَيْتٍ لم يَبْكِهِ أحدُ ... أجَلْ ولم يَفْتَقِدْهُ مُفتَقِدُ
لا أُمُّ أولادِهِ بَكَتْهُ ولم ... يَبْكِ عليهِ لِفُرْقَةٍ وَلَدُ
ولا ٱبْنُ أُخْتٍ بكَى ولا ٱبْنُ أخٍ ... ولا حَمِيمٌ رَقَّتْ لَهُ كَبِدُ
بَلْ زَعَمُوا أنَّ أهْلَهُ فَرَحاً ... لمَّا أتاهُمْ نَعِيُّهُ سَجَدُوا

قال: وقال أيضاً في ذلك: [السريع]

قد تَبِعَ الأعْمَى قَفا عَجْرَدِ ... فأصْبَحا جارَيْنِ في دارِ
قالَتْ بِقاعُ الأرْضِ لا مَرْحَباً ... بِرُوحِ حَمَّادٍ وَبَشّارِ
تَجَاوَرَا بَعْدَ تَنائيهِما ... ما أبْغَضَ الجارَ إلى الجارِ
صارا جَميعاً في يَدَيْ مالِكٍ ... في النَّارِ وَالكافِرُ في النَّارِ

(١) «لليدين وللفم»: مثل يضرب عند الشماتة.

(٢) مني به: ابتلي به.

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ: وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمّد عن أحمد بن خلاَّد عن أبيه قال: مات بشّار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نَيِّفاً وسبعين سنة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال: لمّا ضرب المهديّ بشّاراً بعث إلى منزله من يُفتّشه، وكان يُتّهم بالزندقة فوُجد في منزله طومار(١) فيه:

بسم الله الرحمن الرّحيم

إني أردت هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرتُ قرابَتهم من رسول الله ﷺ فأمسكت عنهم إجلالاً له ﷺ، على أنّي قد قلتُ فيهم: [البسيط]

دِينـارُ آلِ سـليـمـانٍ ودِرهَـمُـهُـمْ ... كـالـبـابِـلـيَّـيْـنِ حُـفَّـا بـالـعـفـاريـتِ

لا يُـبـصَـرانِ ولا يُـرْجَـى لِـقـاؤهُـمـا ... كـمـا سَـمِـعْـتَ بـهـارُوتٍ ومـارُوتِ

فلما قرأه المهديّ بكى وندِم على قتله، وقال: لا جَزَى الله يعقوب بن داود خيراً. فإنّه لمّا هجاه لفّق عندي شهوداً على أنّه زنديقٌ فقتلتُه ثمّ ندمت حين لا يُغني النّدم.

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال: حدّثني محمد بن هارون قال: لمّا نزل المهديُّ البصرةَ كان معه حَمْدُويه صاحبُ الزّنادقة فدفَع إليه بشّاراً وقال: اَضربْه ضربَ التلف، فضربه ثلاثةَ عشرَ سوطاً، فكان كلّما ضربه سوطاً قال له: أوجعتَني ويلك! فقال: يا زنديق، أتُضرَب ولا تقول: باسم الله! قال: ويلك! أثَريدٌ هو فأُسمِّيَ الله عليه، قال: ومات من ذلك الضّرب.

ولبشّار أخبار كثيرة قد ذُكرتْ في عدّة مواضع، منها أخباره مع عَبْدة فإنّها أُفردت في بعض شعره فيها الذي غنّى فيه المغنّون، وأخبارُه مع حَماد عَجْرد في تَهاجيهما فإنّها أيضاً أُفرِدتْ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهليّ فإنّا لم نجمع جميعها في هذا الموضع، إذ كان كلّ صِنفٍ منها مُستغنياً بنفسه حسبما شُرِط في تصدير الكِتاب.

(١) الطومار: الصحيفة.

أخبار يزيد حوراء

[توفي نحو ١٨٥ هـ - ٨٠١ م]

[اسمه ونسبه وطبقته]

يزيد حَوْراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة ابن كنانة، ويُكنَى أبا خالد، مُغنٍّ محسنٌ كثيرُ الصّناعة، من طبقة ٱبن جامع وإبراهيم الموصلِيّ، وكان ممن قدِم على المهديّ في خلافته فغنّاه، وكان حسنَ الصّوت حُلوَ الشمائل[١].

وذكر ٱبن خُرْدَاذْبَهْ أنه بَلَغه أن إبراهيم الموصليّ حسده على شمائله وإشارته في الغناء، فاشترى عدّةَ جوارٍ وشاركه فيهنّ، وقال له: عَلِّمهن فما رَزَق الله فيهن من ربْحٍ فهو بيننا، وأمرهن أن يجعلْنَ وَكْدَهُنّ أخْذَ إشارته ففعلن ذلك، وكان إبراهيمُ يأخذها عنهن هو وٱبنه ويأمرهن بتعليم كلِّ من يعرفنَه ذلك حتى شهرَها في الناس، فأبطلَ عليه ما كان منفرداً به من ذلك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى قال: حدّثني جماعةٌ من موالي الرشيد: أن يزيد حوراء كان صديقاً لأبي العَتَاهِيَةَ، فقال أبو العتاهية أبياتاً في أمر عُتْبَةَ يتنجّز فيها المهديَّ ما وعده إيّاه من تزويجها، فإذا وجد المهديَّ طيِّبَ النفسِ غَنَّاه بها، وهي: [الكامل]

ولـقـد تَـنَـسَّـمْـتُ الـرِّيـاحَ حـاجَـتِـي ... فـإذا لَـهـا مِـن راحَـتَـيْـكَ نَـسِـيـمُ

أَشْرِبْتُ نَفْسِي مِنْ رجائِكَ ما لَه ... عَنَقٌ يَخُبُّ إليكَ بي ورَسِيمُ[٢]

---

(١) الشمائل: الخصال.

(٢) العنق والرسيم: ضربان من السير.

وَرَمَيْتُ نَحْوَ سَماءِ جَوْدِكَ ناظِري ... أرْعَى مَخايِلَ بَرْقِهِ وأشِيمُ[١]
وَلَرُبَّما اسْتَيأسْتُ ثم أقُولُ لا ، ... إنّ الَّذِي ضَمِنَ النَّجاحَ كَرِيمُ

فصنَعَ فيها لحناً وتَوَخّى لها وقتاً وجد المهديَّ فيه طيِّبَ النفس فغنّاه بها، فدعا بأبي العتاهِيَة وقال له: أمّا عُتْبة فلا سبيلَ إليها لأنّ مولاتَها منَعتْ من ذلك. ولكن هذه خمسون ألف درهمٍ فاشترِ ببعضها خيراً من عُتبة، فحُمِلتْ إليه وانصرف.

[جماله وسماته]

أخبرني عمّي قال: حدّثني أحمد بن المَرْزُبان قال: حدّثنا شَيْبة بن هشام عن عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال: كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شكِلاً[٢]، لم يَقْدَمْ علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً لا تراها في أحد منهم إلا رأيتها فيه، وكان يتعصّب لإبراهيم الموصليّ على ابن جامع، فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكرَه بالجميل وينبّه على مواضع تقدُّمه وإحسانه ويَبْعَث بابنه إسحاقَ إليه يأخُذُ عنه وكان صديقاً لأبي مالكٍ الأعرجِ التَّميميّ لا يكادُ أن يُفارقه، فمرِض مرضاً شديداً واحتُضِر، فاغتمّ عليه الرشيدُ وبعث بمسرورٍ الخادم يسأل عنه، ثم مات، فقال أبو مالك يَرْثيه:

صوت

[الخفيف]

لَمْ يُمَتَّعْ مِنَ الشَّبابِ يَزِيدُ ... صارَ في التُّرْبِ وَهْوَ غَضٌّ جَدِيدُ
خانَهُ دَهْرُهُ وقابَلَهُ مِنْـ ... ـهُ بِنَحْسٍ ودَابَرَتْهُ السُّعودُ[٣]
حينَ زُفَّتْ دُنْياهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ... وتَدانَى إليهِ مِنْهُ البَعِيدُ
فكأنْ لم يَكُنْ يَزِيدُ وَلَمْ يَشْـ ... ـجُ نَدِيماً يَهُزُّهُ التَّغْرِيدُ

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثاني بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانة.

(١) الجَوْد: المطر الغزير. وشام البرق: نظر مترقباً أين يكون مطره.
(٢) شكلاً: ذا دلّ وغزل.
(٣) دابرته السعود: فارقته وولته دبرها.

[غناؤه وعشقه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني أحمد بن أبي يوسف قال: حدّثني الحسين بن جُمْهور بن زياد بن طَرْخان مولى المنصور قال: حدّثني أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَينة بن شارِيَةَ الدُّؤلِيّ قال: حدّثني محمد بن مَيْمون أبو زيد قال: حدّثني يزيد حوراء المغنّي قال: كلّمني أبو العَتَاهِيَة في أن أكلِّم له المهديَّ في عُتبةَ، فقلت له: إن الكلام لا يمكنني ولكن قل شعراً أُغَنِّه به، فقال:

صوت

[البسيط]

نَفْسِي بَشْيءٍ من الدُّنْيا مُعَلَّقةٌ ... ٱللَّه وَالقائِمُ المَهْدِيُّ يَكْفِيها

إنِّي لأيأسُ منها ثم يُطْمِعُني ... فيها ٱحتقارُكَ للدُّنْيا وما فيها

قال: فَعمِلتُ فيه لحناً وغنّيته به، فقال: ما هذا؟ فأخبرتُه خبرَ أبي العتاهية، فقال: ننظرُ فيما سأل، فأخبرتُ أبا العتاهية، ثم مضى شهرٌ فجاءني وقال: هل حدث خبر؟ فقلت: لا، قال: فاذكرني للمهديّ، قلت: إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرّكه وتُذكِّره وعده حتى أُغنّيهُ به، فقال:

صوت

[الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي ما عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي ... فَلَقَدْ أُخِّرَ الجوابُ لأمْرِ

ما جَوابٌ أوْلَى بِكُلِّ جَميلٍ ... مِنْ جَوابٍ يُرَدُّ من بَعْدِ شَهْرِ

قال يزيد: فغَنّيت به المهديّ، فقال: عَلَيَّ بعُتْبة فأُحضِرَتْ، فقال: إنّ أبا العتاهية كلّمني فيكِ، فما تقولين، ولك وله ما تُحِبّان مما لا تبلُغُه أمانِيكما؟ فقالت له: قد عَلِم أميرُ المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حقِّ مولاتي، وأُريد أن أذكرُ لها هذا، قال: فافعلي، قال: وأعلمتُ أبا العتاهية، ومضتْ أيامٌ فسألني معاوَدَة المهديّ، فقلت: قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أُغَنّيه به، فقال:

صوت

[الكامل]

أشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رجائكَ ما له ... عَنَقٌ يَخُبُّ إلَيْكَ بي وَرَسِيمُ

وَأَمَلْتُ نَحْوَ سَماءِ جَوْدِكَ ناظِري ... أرْعَى مَخايِلَ بَرْقِها وَأشِيمُ
وَلَرُبَّما ٱسْتَيْأَسْتُ ثم أقولُ لا ... إنَّ الَّذِي وَعَدَ النَّجاحَ كَرِيمُ

قال يزيد: فغنّيته المهديّ، فقال: عليَّ بعُتْبة فجاءت، فقال: ما صنعتِ؟ فقالت: ذكرتُ ذلك لمولاتي فكَرِهتْه وأبته، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يُريد، فقال: ما كنتُ لأفعلَ شيئاً تكرَهه، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك، فقال: [الكامل]

قَطَعْتُ مِنْكِ حَبائِلَ الآمالِ ... وَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ ومن تَرْحالِ
ما كانَ أشأَمَ إذ رجاؤُكِ قاتِلي ... وَبناتُ وَعْدِكِ يَعْتَلِجْنَ ببالي[1]
وَلَئِنْ طَمِعْتُ لَرُبَّ بُرْقَةِ خُلَّبٍ ... مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلَمْعَةِ آلِ[2]

[عشقه لجارية]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

قال يزيد حوراء: كنت أجلِس بالمدينة على أبواب قُرَيش، فكانت تمرّ بي جاريةٌ تختلف إلى الزرقاء تتعلّم منها الغِناء، فقلت لها يوماً: افهَمِي قولي ورُدِّي جوابي وكوني عند ظنّي، فقالت: هاتِ ما عندك، فقلت: بالله ما ٱسمكِ؟ فقالت: ممنّعة، فأطرقتُ طِيَرةً[3] من ٱسمها مع طَمَعي فيها، فقلت: بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعي منّي، فقالت وهي تتبسّم: إن كان عندك شيءٌ فقل، فقلت:

[الطويل]

لِيَهْنِكِ مِنِّي أنَّنِي لَسْتُ مُفْشِياً ... هَواكِ إلى غَيْرِي وَلَوْ مُتُّ من كَرْبِ
ولا مانِحاً خَلْقاً سِواكِ مَوَدَّتِي ... ولا قائلاً ما عِشْتُ مِنْ حُبِّكُمْ حَسْبي

قال: فنظرتْ إليّ طويلاً، ثم قالت: أَنشُدُكَ اللهَ، أعن فَرْطِ محبّة أم ٱهتياج غُلْمَةٍ تكلّمت؟ فقلت: لا والله ولكن عن فَرْط محبّة، فقالت: [الطويل]

فَواللهِ ربِّ النَّاسِ لا خُنتُكَ الهَوَى ... ولا زِلْتَ مَخْصُوصَ المحبَّةِ من قلبي
فَثِقْ بي فإنِّي قد وَثِقْتُ ولا تَكُنْ ... على غَيْرِ ما أظْهَرْتَ لي يا أخا الحُبِّ

---

(١) يعتلجن: يلتطمن.

(٢) البرق الخلب: البرق يلمع حتى يرجى مطره، ولا يمطر. ويشبه به من يعد ولا ينجز. والآل: السراب.

(٣) الطيرة والتطير: التشاؤم.

قال: فوالله لكأنما أضرمتْ في قلبي ناراً، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلُكُه فتحدّثني وأتفرّج بها[١]، ثم ٱشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تُكاتبني وتلاطفني دهراً طويلاً.

صوت

من المائة المختارة

يا لَيْلَةً جَمَعَتْ لنا الأحبابا ... لَوْ شِئْتِ دامَ لنا النَّعِيمُ وطابا
بِتنا نُسَقَّاها شَمولاً قَرْقَفاً ... تَدَعُ الصَّحِيحَ بِعَقْلِهِ مُرتابا[٢]
حَمْراءَ مثلَ دَم الغَزالِ وَتارَةً ... عِنْدَ المِزاجِ تَخالُها زريابا[٣]
من كَفِّ جارِيَةٍ كأنَّ بنَانَها ... من فِضَّةٍ قد قُمِّعَتْ عُنّابا[٤]
وَكأنَّ يُمْناها إذا نَقَرَتْ بها ... تُلقي عَلَى الكَفِّ الشِّمالِ حِسابا

عروضه من الكامل. الشعر لعُكّاشة العَمِّيّ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفّاف ولحنُه المختارُ هَزَجٌ بإطلاق الوتر في مَجرى الوُسطَى.

---

(١) أتفرج بها: أتسلى وأروّح عن نفسي.

(٢) الشمول: الخمر، والقرقف: الخمرة القوية التي تصيب من شربها بالرعدة.

(٣) الزرياب: الذهب، وقيل: ماء الذهب.

(٤) قُمّعت عناباً: جعلت لها أقماع من عناب. والعناب: شجر شائك ثمره أحمر.

أخبار عُكَّاشة العَمِّيّ ونسبه

[توفي نحو ١٧٥ هـ ـ ٧٩١ م]

[اسمه ونسبه وسبب تسميته بالعميّ]

هو عُكَّاشة بن عبد الصَّمَد العَمِّيّ من أهل البَصرة من بني العمّ. وأصلُ بني العمّ كالمدفوع، يقال إنهم نزلوا ببني تميم بالبَصرة في أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغَزَوْا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم، فقال الناسُ: أنتم، وإن لم تكونوا من العرب، إخوانُنا وأهلُنا وأنتم الأنصارُ والإخوان وبنو العمِّ، فلُقِّبوا بذلك وصاروا في جملة العرب.

وقال بعضُ الشعراء ـ وهو كعبُ بن مَعْدَان ـ يهجو بني ناجيةَ ويشبِّههم ببني العمِّ: [الوافر]

وَجَــدْنــا آلَ ســامَــةَ فــي قَـرَيْـشٍ ... كَـمِـثْـلِ الـعَـمِّ بَـيْـنَ بَـنِـي تَـمِـيـمِ

ويروى: «في سَلَفَيْ تميم».

أخبرني عيسى بن الحسين عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني أبو عُبَيدة قال: لما تواقف جريرٌ والفرزدقُ بالمِرْبَدِ للهجاءِ اَقتتلتْ بنو يَرْبُوع وبنو مُجَاشع، فأمدّتْ بنو العمّ بني مُجَاشِع وجاؤوهم وفي أيديهم الخشبُ فطردوا بني يَرْبوع؛ فقال جرير: مَن هؤلاء؟ قالوا: بنو العمّ، فقال جرير يهجوهم: [البسيط]

مـا لِـلْـفَـرَزْدَقِ مِـنْ عَـزٍّ يَـلُـوذُ بـه ... إلاّ بـنـي الـعَـمِّ في أيـديـهـمُ الـخَـشَـبُ

سِـيـروا بَـنِـي الـعَـمِّ فـالأهـوازُ دارُكُـمُ ... وَنَـهْـرُ تِـيرَى وَلَـمْ تَـعْـرِفْـكُـمُ الـعَـرَبُ[1]

---

(١) الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس (معجم البلدان ١/ ٢٨٥) ونهر تيرى: بلد من نواحي ابن الأهواز (معجم البلدان ٢/ ٦٦ و٥/ ٣١٩).

وعُكّاشةُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة العباسيّة، ليس ممّن شُهِر وشاع شعرُه في أيدي الناس ولا مِمّن خَدَم الخلفاءَ ومدَحهم.

[حبه وشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال: حدّثني عليّ بن الحسن عن ٱبن الأعرابيّ قال: حدّثني سَعيد بن حُمَيد الكاتب البصريّ قال قال أبي: كان عُكّاشة بن عبد الصَّمَد العمِّيّ صديقاً لي وإلفاً، وكنّا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتُم أحدُنا صاحبَه شيئاً فرأيته في بعض أيّامه متغيرَ الهيئةِ عمّا عهدته مقسَّمَ القلبِ والفكر غيرَ آخذٍ ما كنَّا فيه من الفُكاهة والمُزاح، فسألته عن حاله فكاتَمَنِيها[١] مَلِيًّا، ثم أخبَرني أنه يهَوى جارية لبعض الهاشميين يُقال لها: نُعَيْم، وأن مرامها عليه مستصعب لا يراها إلاَّ من جَناحِ لدارِهم، تُشرِفُ عليه في الفَيئة[٢] بعد الفَيْئة فتكلّمه كلاماً يسيراً ثم تذهب، فعاتَبْتُه على ذلك فلم يَزْدَجِرْ وتمادَى في أمره، ثم جاءني يوماً، فقال: قد وعدتني الزيارةَ لأنّ شكواي إليها طالت، فقلت له: فهل حقَّقَتْ لك الوعدَ على يوم بعينه؟ قال: لا، إنما سألتُها الزيارة فقالت: نعم أفعلُ، فقلت له: هذا والله أعجَبُ من سائرِ ما مضَى، وأيُّ شيءٍ لك في هذا من الفائدة بلا تحصيلِ وعدٍ! فقال لي: يا أخي، إنّ لي في قولها: «نعم» فرجاً كبيراً، فقلتُ: أنت أقنعُ الناس؛ ثم جاءَني بعد يومين وهو كاسفُ البال مهمومٌ، فقلت له: ما لك؟ فقال: مضيتُ إلى نُعَيْم فتنجَّزتُ[٣] وعدَها، فقالت لي: إنّ لي صاحبةً أَستنصِحُها وأعلمُ أنها تُشفقُ عليَّ شَفقةَ الأختِ على أختها والأمِّ على ولَدِها وقد نَهتْني عن ذلك، وقالت لي: إنّ في الرجال غَدراً ومكراً، ولا آمنُ أن تفتضحي ثم لا تَحصُلي منه على شيء؛ وقد ٱنقطعتْ عنّي ثم أنشدني لنفسه: [المنسرح]

عـلامَ حَـبْـلُ الـصَّـفـاءِ مُـنْـصَـرِمُ ... وَفِـيـمَ عَـنّـي الـصُّـدودُ وَالـصَّـمَـمُ

يـا مَـنْ كَـنَـيْـنـا عَـنِ ٱسْـمِـهِ زَمـنـاً ... نَـتْـبَـعُ مَـرْضـاتَـهُ وَيَـجْـتَـرِمُ[٤]

---

(١) كاتمنيها: أخفاها عني.

(٢) الفيئة، والفينة: المدة من الزمن.

(٣) تنجزت وعدها: طلبت منها أن تنجزه.

(٤) يجترم: يذنب.

قَـدْ عِـيـلَ صَـبْـرِي وَأنْـتِ لاهِـيَـةٌ عَـنّـي وَقَـلْـبِـي عَـلَـيْـكِ يَـضْـطَـرِمُ
مَـنْ جَـدَّ حَـبْـلَ الـوفـاءِ سَـيِّـدتِـي مِـنْـكِ وَمَـنْ سـامَـنِـي لَـهُ الـعَـدَمُ(١)
فَـكَـمْ أتـانِـي وَاشٍ يَـعِـيـبُـكُـمُ فَـقُـلْـتُ اخْـسَـأْ لأنْـفِـكَ الـرَّغَـمُ
أنْتَ الفِدَا والحِمَى لِمَنْ عِبتَ فار جِـعْ صـاغِـراً رَاغِـمـاً لـكَ الـنَّـدَمُ

صوت

يـا رَبِّ خُـذْ لـي مِـنَ الـوُشـاةِ إذا قـامُـوا وَقُـمْـنـا إلَـيْـكَ نَـخْـتَـصِـمُ
دَبُّـوا إلَـيْـهـا يُـوَسْـوِسُـونَ لـهـا كَـيْ يَـسْـتَـزِلُّـوا حَـبِـيـبَـتِـي زَعَـمُـوا
هَـيْـهـاتَ مِـنْ ذاكَ ضَـلَّ سَـعْـيُـهُـمُ مـا قَـلْـبُـهـا الـمُـسْـتَـعـارُ يُـقـتَـسَـمُ
يـا حـاسِـديـنـا مُـوتـوا بِـغَـيْـظِـكُـمُ حَـبْـلِـي مَـتِـيـنٌ بِـقَـوْلِـهـا نَـعَـمُ
بـاللهِ لا تُـشْـمِـتـي الـعُـدَاةَ بِـنـا كُـونِـي كَـقَـلْـبِـي فَـلَـسْـتُ أُتَّـهَـمُ

ـ الغناء في هذه الأبيات لعَرِيبَ رَمَلٌ وقيل: إنه لغيرها ـ قال: ثم طال تَردادُه إليها وٱستصلاحه لها، فلم ألبَثْ أن جاءتني رُقعتُه في يوم خميسٍ يُعْلِمني أنها قد حصَلتْ عنده ويستدعيني فحضرتُ، وتوارتْ عنّي ساعةً وهو يُخبِرُها أنّه لا فرق بيني وبينه ولا يحتشمني في حالٍ ٱلبتّةَ إلى أن خرَجتْ، فاجتمعْنا وشرِبْنا وغنَّتْ غِناء حسناً إلى وقت العصر ثم ٱنصرفَتْ، وأخذَ دواةً ورُقعةً فكتب فيها:

[الكامل]

سَـقْـيـاً لِـمَـجْـلِـسِـنـا الَّـذي كـنَّـا بـه يَـوْمَ الـخَـمِـيـسِ جَـمـاعَـةً أتْـرابـا
فـي غُـرفـةٍ مَـطَـرَت سَـمَـاوةُ سَـقْـفِـهـا بِـحَـيَـا الـنَّـعِـيـم مـن الـكُـرومِ شَـرابـا(٢)
إذ نـحْـنُ نُـسـقَـاهـا شَـمُـولاً قَـرْقَـفـاً تَـدَعُ الـصَّـحِـيـحَ بـعـقـلِـه مُـرتـابـا
حَـمْـراءَ مِـثْـلَ دَم الـغَـزالِ وتـارةً بَـعْـدَ الـمِـزاجِ تـخـالُـهـا زِرْيـابـا
مِـنْ كَـفِّ جـارِيَـةٍ كـأنَّ بـنَـانَـهـا مِـنْ فِـضَّـةٍ قـد قُـمِّـعَـتْ عُـنّـابـا
تَـزْدادُ حُـسْـنـاً كـأسُـهـا مِـنْ كَـفِّـهـا وَيَـطِـيـبُ مِـنْـهـا نَـشْـرُهـا أحْـقَـابـا
وإذا الـمِـزَاجُ عَـلاَ فَـشَـجَّ جَـبِـيـنَـهـا نَـفَـثَـتْ بـألْـسِـنـةِ الـمِـزاجِ حَـبَـابـا
وَتَـخـالُ مـا جَـمَـعَـتْ فـأحْـدَقَ سِـمْـطُـهُ بـالـطَّـوْقِ رِيـقَ حَـبـائِـبٍ ورُضَـابـا(٣)

(١) جدّ: قطع.
(٢) السماوة: السقف، وكل ما علا فأظلّ.
(٣) الرضاب: الريق.

كَفَّتِ المَنَاصِفَ أن تَذُبَّ أكُفُّها عَنْها إذا جَعَلَتْ تَفُوح ذُبَابا[١]
وَالعُودُ مُتَّبِعٌ غِناءَ خَرِيدَةٍ غَرِداً يَقُولُ كما تَقُولُ صَوابا
وَكأنَّ يُمناها إذا نَطَقَتْ به تُلْقِي على يَدِها الشِّمالِ حِسابا
فَهُناكَ خَفَّ بنا النَّعِيمُ وصارَ من دُونِ الثَّقِيلِ لنا عليه حِجَابا
آلَيْتُ لا أُلْحَى على طَلَبِ الهَوَى مُتَلَذِّذاً حَتَّى أكُونَ تُرابا[٢]

[شعره في نُعيم بعد تزويجها وسفرها]

قال: ثم قَدِم قادم من أهل بغداد فاشترى نُعَيْمَ هذه من مولاتها ورحلَ إلى بغداد، فَعَظُم أسَفُ عُكّاشة وحزنُه عليها وٱستُهِيم بها طولَ عمره، فاستحالت صورتُه وطبعُه وخُلُقُهُ إلى أن فرّق الدهر بيننا، فكان أكثر وَكْده وشُغْله أن يقول فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكي؛ قال حُمَيد بن سعيد: فأنشدني أبي له في ذلك:

[الطويل]

ألاَ ليتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودنَّ ما مَضَى وهل راجِعٌ ما ماتَ من صِلة الحَبْلِ
وهل أجْلِسَنّ في مثل مَجْلِسِنا الذي نَعِمْنا به يومَ السعادة بالوصلِ
عَشِيَّةَ صَبَّتْ لَذَّةُ الوصل طِيبَها علينا وأفنانُ الجِنانِ جَنَى البَذْلِ
وقد دارَ ساقِينا بكأسٍ رَوِيَّةٍ تُرَحِّلُ أحْزانَ الكَئِيبِ مَعَ العَقْلِ
وَشَجَّ شَمُولاً بالمِزاجِ فَطَيَّرتْ كألْسِنَةِ الحَيَّات خافَتْ من القَتْلِ[٣]
فَبِتْنا وعينُ الكأسِ سَحٌّ دُمُوعُها لِكُلِّ فتًى يَهْتَزُّ لِلْمَجْدِ كالنَّصْلِ
وقَيْنَتنا كالظَّبْي تَسْمَحُ بالهوى وبَثٌّ تَبَارِيح الفؤادِي على رِسْلِ[٤]
إذا ما حكَتْ بالعُودِ رَجْعَ لسانِها رأيْتَ لِسانَ العُودِ من كَفِّها يُمْلي
فَلَمْ أرَ كاللَّذَّات أمْطَرَتِ الهَوَى ولا مِثْلَ يَوْمِي ذاكَ صادفَهُ مِثْلي

ومما قاله فيها:

[الكامل]

أنُعَيْمُ حبُّكِ سَلَّني وَبَلاَني وإلَى الأَمَرِّ من الأمور دَعَاني
أنُعَيْمُ لو تَجِدِينَ وَجْدِي والذي ألْقَى بَكَيْتِ من الَّذِي أبكاني

---

(١) المناصف: جمع مِنْصَف، وهو الخادم.
(٢) آليت: أقسمت. وألحى: ألوم.
(٣) شجّ: مزج.
(٤) على رسل: على مهل.

أَنُعَيْمُ سَيِّدتِي عليكِ تَقَطَّعتْ نَفْسِي من الحَسَرات والأحزانِ
أَنُعَيْمُ قد رَحِم الهوى قلبي وقد بَكَتِ الثِّيابُ أسًى على جُثْماني
أَنُعَيْمُ وآنحدرتْ مدامعُ مقلتي حتَّى رَحِمْتُ لرحمتي إخواني
أَنُعَيْمُ مَثَّلَكِ الهُيَامُ لِمُقْلَتِي فكأنَّني أَلْقاكِ كُلَّ مكانِ
أَنُعَيْمُ أشفِي أو دَعِي مَنْ داؤه وَدواؤه بِيَدَيْكِ مُقترنانِ
هذا وَكَمْ من مَجْلِسٍ لي مُؤْنِقٍ بَيْنَ النَّعِيم وبينَ عَيْشٍ داني
نازعتُهُ أرْدانَهُ فَلَبِسْتُها مَعْ ظَبْيةٍ في عَيْشِنا الفَيْنانِ
تُنْسِي الحليمَ من الرجال مَعادَه بين الغِناء وعُودِها الحَنّانِ
حَتَّى يَعُودَ كأنَّ حَبَّةَ قَلْبِهِ مَشْدُودَةٌ بِمَثَالِثٍ وَمَثَانِي[1]
ظَلَّتْ تُغَنِّينِي وتَعْطِفُ كَفَّها بالعُود بين الرَّاحِ والرَّيْحانِ
فَسَمِعْتُ ما أبْكَى وأضْحَكَ سامعاً وَسَكِرْتُ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أشْجانِ
وَمَشَيْتُ في لُجَجِ الهَوَى مُتَبَخْتِراً وَمَشَى إلَيَّ اللَّهْوُ في الألوانِ
فَعَلِمْتُ أنْ قد عاد قَلْبِي عائدٌ مِنْ بَيْنِ عُودٍ مُطْرِبٍ وَبَنانِ

ومما قاله أيضاً فيها: [الوافر]

نُعَيْمُ هَلْ بَكَيتِ كما بَكَيْتُ وهل بَعْدِي وَفَيتِ كما وَفَيْتُ
ألاَ يا لَيْتَ شِعرِي كيف بَعدِي اصـ ـطبارُكِ إذ نَأَيتِ وإذ نأيتُ
فَكَمْ من عَبْرةٍ ذَرَفَتْ فلمّا خَشِيتُ عُيُونَ أهْلِي واسْتَحَيْتُ
نَهَضتُ بها مُكاتَمَةً فَلَمَّا خَلَوْتُ ذَرَفتُها حتَّى اشْتَفَيْتُ
وَقُلْتُ لِصُحْبَتِي لَمَّا رَمَانِي هَواكِ بدائِهِ حَتَّى انْطَوَيْتُ
أرانِي من هُموم النَّفْسِ مَيْتاً وَلَمْ أرَ في نُعَيْم ما نَوَيْتُ
فَلَيْتَ المَوْتَ عَجَّل قَبْضَ رُوحِي جِهاراً فاسْتَرَحْتُ وأيْنَ لَيْتُ

وقال أيضاً في فراقه إيّاها: [الكامل]

أَنُعَيْمُ في قَلْبِي عَلَيْكِ شَرَارُ وعلى الفؤاد من الصَّبابةِ نارُ
وعلى الجُفونِ غِشاوةٌ وعلى الهَوَى داعٍ دَعَتْه لِحَيْنِيَ الأقدارُ[2]
بِمُضِلَّةٍ لُبَّ الحَلِيم إذا رَمَتْ بِالمُقلتين كأنَّها سَحّارُ
طالبتُها حَوْلَيْنِ لا لَيْلي بها ليلٌ ولا هذا النَّهارُ نهارُ

---

(١) المثالث والمثاني: من أوتار العود.
(٢) الحَيْن: الموت.

حتى إذا ظَفِرَتْ يدايَ بكاعِبٍ كالشَّمْسِ تَقْصُرُ دُونَها الأبصارُ
وثَلِجَتُ صدراً بالفتاةِ وصارتَا كالنَّفْسِ نَفْسانَا وَقَرَّ قَرارُ
بَلَغ الشَّقاءُ أشَدَّ ما يَسْطِيعُهُ فِينا وفَرَّقَ بينَنا المِقْدارُ

ومما يُغَنَّى فيه من شعر عُكَّاشة الذي قاله في هذه الجارية:

صوت

[مجزوء الكامل]

لَهْفِي على الزَّمَنِ الذي وَلَّى بِبَهْجَتِهِ القَصِيرِ
قَدْ كَانَ يُؤْنِقُنِي الهَوَى وَيُقِرُّ عَيْنِي بالسُّرُورِ
إذْ نَحْنُ خُلاَّنُ الهَوَى رَيْحانُنا عَبِقُ العَبِيرِ
وَغِناؤنا وَصْفُ الهَوَى نَلْتَذُّ بِالحُبِّ اليَسِيرِ

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته. وفيه لأبي العُبَيْس بن حَمْدون خفيفُ رمل. وتمام هذه الأبيات:

وجهُ التَّواصُلِ بينَنا في الحُسْنِ كالقمرِ المنيرِ
إيماؤنا يَحْكِي الكلامَ وسِرُّنا فَطِنُ المشيرِ
وَحَدِيثُنا بحواجِبٍ نَطَقَتْ بألْسِنَةِ الضَّمِيرِ
بَلْ رُسْلُنا الكُتُبُ التي تَجْرِي بخافِيَةِ الصُّدورِ

حدّثني الحسن بن عُلَيل قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال: حدّثنا أبو مسلمٍ عن المدائنيّ قال: أنشد عُكّاشةُ بن عبدِ الصّمدِ المهديَّ قولَه في الخمر:

[الكامل]

حَمْراءَ مِثْلِ دَمِ الغَزَالِ وتارةً عِنْدَ المِزاجِ تَخالُها زِرْيابا

فقال له المهديُّ: لقد أحسنتَ في وصفها إحسانَ مَن قد شربها، ولقد اْستحققت بذلك الحدّ[1]. فقال: أيؤمِّنني أميرُ المؤمنين حتّى أتكلّمَ بحجّتي؟ قال: قد أمّنْتُك، قال: وما يُدريك يا أمير المؤمنين أنّي أحسنت وأجدت صفتَها إن كنتَ لا تعرفها؟ فقال له المهديّ: اعْزُبْ قبّحك الله.

قال الحسن: وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال: حدّثنا الزبير

(١) الحدّ: العقوبة المناسبة للجرم.

ابن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهاديَ هذا الشعرَ ثم أنشده قولَه: [الطويل]

كـأنَّ فُـضُـولَ الـكَـأْسِ مِـنْ زَبَـداتـهـا ... خَلاخِلُ شُدَّت بالجُمانِ إلى حِجْلِ[١]

فقال له موسى: والله لأجلِدنَّك حدّ الخمر، قال: ولم يا أمير المؤمنين! إنّما نقول ولا نفعل، فقال: كذبتَ، قد وصفتَها صفة عالم بها، قال: فاجعل لي الأمان حتّى أتكلّم بحُجَّتي، قال: تكلّم وأنت آمِنٌ، قال: أجَدْتُ وصفَها أم لم أُجِدْ؟ قال: بل قد أجدتَ، قال: وما يُدريك أني أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها! إن كنتُ وصفتُها بطبعي دون امتحاني فقد شرِكتَني في ذلك بطبعك، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلا بالتجربة فقد شرِكتَني أيضاً فيها؛ فضحك موسى وقال له: قد نجوتَ بحيلتك منّي، قاتلك الله فما أدهاك!

ومما وجَدْتُ فيه غناءً من شعر عُكّاشة قولُه: [الطويل]

وَجـاءوا إلـيـه بـالـتَّـعـاويـذِ وَالـرُّقَـى ... وَصَبُّوا عليهِ الماءَ من شِدَّةِ النُّكْسِ[٢]

وَقـالُـوا بـه مِـنْ أعـيـن الـجـنّ نَـظـرةٌ ... ولـو صـدَقـوا قـالـوا بـه أعـيـنُ الإنـسِ

الغناء لعَريبَ. ومنها: [الكامل]

طَـرْفِـي يَـذُوبُ ومـاءُ طَـرْفِـك جـامِـدُ ... وَعَـلَـيَّ مِـنْ سِـيـمَـا هَـواكِ شـواهِـدُ

هـذا هَـواكِ قَـسَـمْـتِـهِ بَـيْـنَ الـوَرَى ... وَمَـنَـحْـتِـنِـي أرَقـاً وطَـرْفُـكِ رَاقِـدُ

فَـعَـلَـيَّ مِـنْـهُ الـيَـوْمَ تِـسْـعَـةُ أَسْـهُـمٍ ... وعـلـى جَـمِـيـعِ الـنَّـاسِ سَـهْـمٌ واحِـدُ

الغناء لجَحْظة. ومنها: [مجزوء الكامل]

غَـادِ الـهَـوَى بـالـكـأسِ بَـرْدَا ... وَأطِـعْ إمـارَةَ مَـنْ تَـبَـدَّى

ومنها: [البسيط]

كما ٱشْتَهَتْ خُلِقَتْ حتّى إذا ٱعْتَدَلَتْ ... تَـمَّـت قَـوامـاً فـلا طُـولٌ ولا قِـصَـرُ

ومنها: [البسيط]

وزَعـفـرانـيّـة فـي الـلّـون تَـحْـسَـبُـهـا ... إذا تـأمَّـلْـتَـهـا فـي جِـسْـم كـافُـورِ

تَـخـالُ أنَّ سَـقِـيـطَ الـطَّـلِّ بَـيْـنَـهـمـا ... دَمْـعٌ تَـحَـيَّـرَ فـي أجـفـان مَـهْـجُـورِ

---

(١) الزبدات: جمع زبدة، وهي الرغوة التي تعلو الخمر عند مزجه بالماء. والحجل: الخلخال.

(٢) التعاويذ: جمع تعويذة، وهي التميمة. والنكس: عود المرض بعد النقاهة.

أخبار عبد الرحيم الدفّاف ونسبه

[اسمه واسم أبيه وولاؤه]

عبد الرَّحيم بن الفَضْل الكُوفيّ، ويُكنَى أبا القاسم، وقيل: هو عبد الرحيم بن سعد، وقيل: عبد الرحيم بن الهَيْثَم بن سعد، مولًى لآل الأشعث بن قَيْس، وقيل: بل هو مولَى خُزَاعة.

ذكر أبو أيُّوب المدِينيّ أنّ حمّاداً الراوية حدّثه قال: رأيتُ عبدَ الرَّحيم الدَّفّاف أيَّامَ هارون الرشيد بالرَّقّة وقد ظَهَرْتُ، فحضَرني وسمعتُه يغنّي يومئذ صوتاً سئل عنه فذكر أنّه من صَنْعته، وهو: [الطويل]

فَدَيْتُكِ لَوْ تَدْرِينَ كَيفَ أُحِبُّكُمْ ... وَكَيْفَ إذا ما غِبْتُ عَنْكِ أقُولُ

وكان عبد الرحيم منقطعاً إلى عليّ بن المهديّ المعروف بأمّه رَيْطَة بنت أبي العبّاس. فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيدَ المبرّد قال: حدّثني عبد الصّمد بن المُعذَّل قال: غنّت جاريةٌ يوماً بحضرة الرشيد: [المنسرح]

قُلْ لِعَلِيٍّ أيا فَتَى العَرَبِ ... وَخَيْرَ أنام وَخَيْرَ مُكْتَسِبِ

أعْلاكَ جَدَّاكَ يا عَلِيُّ إذا ... قَصَّرَ جَدٌّ عَنْ ذروةِ الحَسَبِ

فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيّدي ما ذنبي! هذا صوت عُلّمْتُه، والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل؛ فعلم أنّها صدقت، فقال لها: عمّن أخذته؟ فقالت: عن عبد الرحيم الدّفّاف، فأمر بإحضاره فأُحضِر، فقال له: يا عاضَّ بَظْرِ أمه، أتغنّي في شعرٍ تُفاخِر فيه بَيني وبين أخي! جرِّدوه، فجرَّدوه، ودعا له بالسياط، فضُرب بين يديه خمسَمائة سوطٍ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبن مَهْرُوَيْه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي

سَعْد عن القَطِرانيّ عن محمد بن جَبْر قال: قال لي عبد الرحيم بن القاسم الدّفّاف: دخلتُ على عليّ بن رَيطة يوماً وسِتارتُه منصوبةٌ، فغنّت جاريتُه: [الطويل]

أُنـاسٌ أمِـنّـاهُـمْ فَـنَـمُّـوا حَـدِيـثَـنـا ... فـلمّا كَتَمْنَا السِّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلوا[1]

فقلت: أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفي تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ، أيّ شيء لي عليك؟ قال: خِلعتي التي عليّ، فغنّيته:

فَلَمْ يَحْفَظُوا الوُدَّ الذي كان بَيْنَنا ... ولا حِينَ هَمُّوا بالقَطِيعَةِ أجْمَلُوا[2]

قال: فنزع خِلْعَته فخلَعها عليّ، وأقمتُ عنده بقيَّةَ يومي على عربدةٍ كانت فيه.

الشعر لعباس بن الأحنف، والغناء لعبد الرحيم الدّفّاف هَزَجٌ بالبنصر. وهذا أخذه العبّاس من قول أبي دَهْبَل:

صوت

[الطويل]

أمِـنّـا أُنـاسـاً كُـنْـتِ تـأتَـمِـنِـيـنَـهُـمْ ... فَزَادُوا عَلَيْنا في الحَدِيث وأوْهَمُوا

وقـالـوا لـهـا مـا لَـمْ نَـقُـلْ ثـمّ أكْـثَـرُوا ... عَـلَـيَّ وبـاحُـوا بـالَّـذِي كُـنْـتُ أكْـتُـمُ

وفي هذين البيتين أغانيُّ قديمةٌ: منها لحنٌ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّابة في مجرَى الوُسطَى عن إسحاق. ولابن زرزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر والوُسطَى لَمتيَّم وعَرِيبَ

صوت
من المائة المختارة

بَـكَـرَتْ سُـمَـيَّـةُ غُـدْوةً فَـتَـمَـتَّـعِـي ... وَغَـدَتْ غُـدُوَّ مُـفَـارِقٍ لـم يَـرْبَـعِ

وتَـعَـرَّضَـتْ لـكَ فـاسْـتَـبَـتْـكَ بـواضـحٍ ... صَـلْـتٍ كـمُـنْـتَـصِّ الـغـزال الأتـلـعِ

عَروضُه من الكامل. والشعر للحادِرة الثَّعْلَبيّ، والغناء في اللحن المختار

(١) نمّ الحديث: نقله وأشاعه. وتقوّل الحديث: اختلقه كذباً.

(٢) أجمل: أحسن.

لسَعيد بن مسجَح، وإيقاعُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتر في مَجرى البنْصر عن إسحاق، وذَكر عمرو بن بانةَ أنه لابن مُحْرِز. وفيهما للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن عمرو. وفيهما خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى لابن سُرَيج عن حَبش.

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة:

أَسُمَيَّ ما يُدْرِيكِ كَمْ مِنْ فِتْيَةٍ بادَرْتُ لَذَّتَهم بِأَدْكَنَ مُتْرَعِ
بَكَروا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ مِنْ عاتِقٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُشَعْشَعِ

غَنّاه مالك، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ آخر أيضاً. وفيهما لعَلُّوَيةَ. ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيِّد صَنعْته. قوله: فتمتّعي يخاطب نفسه، أي تمتّعي منها قبل فِراقها. ولم يربَع: لم يُقِم. والواضح الصَّلْت: يعني عُنُقَها، وأصل الصلت: الماضي، ومنه الناقة المِصْلاتُ: الماضية، وشَدّ عليه بالسيف صَلْتاً أي خارجاً من غِمْده. والصلت في هذا الشعر: الطويل الذي لا قِصَرَ فيه. والمنتصّ: المنتصب، يقال: أنتصّ فلان أي أنتصب، ومِنَصّة العَرُوس مأخوذةٌ من هذا، ومنه نَصَّ الحديثَ: رَفَعَه إلى صاحبه. واُستبتْك: غلبتْك على عقلك. والواضح: الخالص الأبيض. وأدكن مُترَع يعني الزِّقّ. والمشعشَع: المُرَقْرَق بالماء.

أخبار الحادرة ونسبه

[اسمه ونسبه وشعره]

أخبرني بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب ٱبن أخي الأصمعيّ عن عمّه، قال: وإنما سُمِّي الحادرةَ[١] بقول زَبّان بن سيّار الفَزَاريّ له: [المتقارب]

كأنّكَ حادرةُ المَنْكَبَيْـ ـنِ رَصْعاءُ تُنْقِض في حائرِ[٢]
عَجُوزُ ضَفَادِعَ مَحْجُوبَةٌ يَطِيفُ بها وِلْدةُ الحاضِرِ[٣]

قال: والحادرة: الضخم.

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ أن الحادرةَ خرج هو وزبّان الفَزاريّ يصطادان فاصطادا جميعاً، فخرج زَبّان يشتوي ويأكلُ في الليل وحده، فقال الحادرة: [الوافر]

تَرَكْتَ رَفِيقَ رَحْلِكَ قد تراهُ وأنْتَ لِفيكَ في الظَّلْماءِ هادِي

فحقَدَها عليه زَبّان، ثم أتَيَا غديراً فتجرّد[٤] الحادرة، وكان ضخم المنكبينِ أرسح فقال زبّان:

كأنّكَ حادِرَةُ المَنْكِبيْـ ـنِ رَصْعاءُ تُنْقِضُ في حائِرِ

فقال له الحادرة: [المتقارب]

لَحَا اللّه زَبّانَ مِنْ شاعِرٍ أخِي خَنْعَةٍ فاجِرٍ غادرِ[٥]

(١) هو قطبة بن أوس بن محصن بن جرول المازني الفزاري الغطفاني شاعر جاهلي يلقب بالحادرة.
(٢) حادرة المنكبين: ممتلئتهما. والرصعاء: خفيفة لحم العجيزة والفخذين. وتُنقض: تنقّ كالضفدع.
(٣) الحاضر: المقيم على الماء.
(٤) تجرد: خلع ثيابه، تعرى.
(٥) الخنعة: الفجور والريبة.

كـــأنَّـــكَ فُـــقّـــاحَـــةٌ نَـــوَّرَتْ مَـعَ الـصُّـبْـحِ فـي طَـرَفِ الـحـائـرِ[١]

فغَلَب هذا اللقبُ على الحادرة.

حدّثني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حدّثنا عبد الرحمن ٱبن أخي الأصمعيّ قال: حدّثني عمّي قال: سمعت شيخاً من بني كنانة من أهل المدينة يقول: كان حسّان بن ثابت إذا قيل له: تُنُوشِدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول: فهل أُنشِدتْ كلمةُ الحُوَيدرة: [الكامل]

* بَـكَـرَتْ سُـمَـيّـةُ غُـدْوةً فَـتَـمَـتَّـعـي *

قال أبو عُبَيدة: وهي من مختار الشعر، أصْمَعِيَّةٌ مُفَضَّلِيَّةٌ.

نسخت من كتاب ٱبن الأعرابيّ قال: حدّثني المفضَّل قال: كان الحادرةُ جاراً لرجل من بني سُلَيم، فأغار زبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفعها إلى رجلٍ من أهل وادي القُرَى يهوديٍّ، وكان له عليه دَيْنٌ فأعطاه إيّاها بدينه، وكان أهل وادي القرى حُلفَاء لبني ثَعْلبة؛ فلما سمِع اليهوديّ بذلك قال: سيجعل الحادرةُ هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه، ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نَغْدُرَ، فردّ الإبلَ على الحادرة فردّها على جاره، ورجع إلى زَبّان فقال له: أعطِني مالي الذي عليك، فأعطاه إياه زَبّان، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة؛ فقال الحادرة فيه: [الطويل]

لِعَـمْـرَةَ بَـيْـنَ الأخْـرَمَـيْـنِ طُـلـولُ تَـقَـادَمَ مـنـهـا مُـشْـهِـرٌ ومُـحِـيـلُ[٢]
وَقَفْتُ بـهـا حتى تعالَى لِيَ الضُّحَى لأُخْـبَـرَ عَـنْـهـا إنَّـنِـي لَـسَـؤولُ

يقول فيها:

فـإنْ تَـحْـسَـبـوهـا بـالـحـجـابِ ذَلِـيـلـةً فـمـا أنـا يـومـاً إن رَكِـبْـتُ ذلـيـلُ
سـأَمـنَـعُـهـا فـي عُـصْـبـةٍ ثَـعْـلـبـيَّـةٍ لـهـم عَـددٌ وافٍ وعِـزٌّ أَصِـيـلُ
فـإنْ شِـئـتُـمُ عُـدْنـا صَـدِيـقـاً وعُـدْتُـمُ وإمّـا أبَـيْـتُـم فـالـمُـقـامُ زَحُـولُ[٣]

قال: ولَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سَبَبَه.

---

(١) الفقاحة: الزهرة. ونوّرت: أزهرت.

(٢) الأخرمان: مثنى أخرم. والأخرم عدة مواضع منها جبل في ديار بني سليم (انظر معجم البلدان ١/ ١٢١).

(٣) زَحُول: بعيد.

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ يذكر عن أبيه أن جيشاً لبني عامر بن صَعْصَعة أقبل وعليهم ثلاثةُ رؤساء: ذُؤابُ بن غالِب من عُقَيْل ثم من بني كَعْب بن رَبيعة، وعبدُ الله بن عمرو من بني الصَّمُوت، وعُقَيلُ بن مالك من بني نُميرٍ، وهم يريدون غَزْو بني ثَعْلبة بن سَعْد رهطِ الحادرة ومن معهم من مُحَارِب، وكانوا يومئذ معهم، فَنَذِرَتْ بهم بنو ثعلبة، فركب قيس بن مالك المُحَارِبيُّ الخَصَفِيّ وجُؤَيّة بن نصْر الجَرْمِيّ أحد بني ثَعْلبة للنظر إلى القوم، فلما دَنَوْا منهم عرفَ عُقَيْل بنُ مالك النميريّ جُؤَيَّة بن نَصْر الجَرْميّ، فناداه: إليّ يا جُؤَيّة بن نَصر فإنّ لي خَبَراً أُسِرّه إليك؛ فقال: إليكَ أقبلتُ لكن لغير ما ظننتَ، فقال له: ما فعلتْ قَلُوصُ ـ يعني امرأته ـ؛ فقال: هي في الظُّعُن أَسَرَّ ما كانت قطُّ وأجملَه، ثم حَمَل كلّ واحدٍ منهما على صاحبه واختلفا طَعْنتين فَطَعنه جُؤَيّةُ طعنةً دقّت صُلْبَه، وانطلق قيس بن مالك المُحَاربيّ إلى بني ثعلبة فأنذرهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهُزِمَتْ بنو نُمَيْر وسائرُ بني عامر ومات عُقَيْل النُّمَيْرِيّ وقُتِل ذؤابُ بن غالب وعبدُ الله بن عمرو أحدُ بني الصَّمُوت، فقال الحادرة في ذلك: [الطويل]

كأنَّ عُقَيلاً في الضُّحَى حَلَّقتْ بهِ ... وطارَتْ بِهِ في الجَوِّ عَنْقاءُ مُغرِبُ[1]

ويروى: «وطارت به في اللَّوْح» وهو الهواء.

وَذي كَرَم يَدْعُوكُمُ آلَ عامِرٍ ... لدى مَعْرَكٍ سِرْبالُهُ يَتَصَبَّبُ
رأتْ عامرٌ وقْعَ السُّيوفِ فأسْلَموا ... أخاهُمْ ولم يَعْطِفْ مِنَ الخَيْلِ مَرْهَبُ
وَسَلَّمَ لمَّا أنْ رأى المَوْتَ عامِرٌ ... له مَرْكَبٌ فَوْقَ الأسِنَّةِ أحْدَبُ
إذا ما أظلَّتْه عَوالِي رماحِنا ... تَدَلَّى به نَهْدُ الجُزارَةِ مِنْهَبُ[2]
عَلَى صَلَوَيْهِ مُرْهَفاتٌ كأنَّها ... قَوادِمُ نَسْرٍ بُزَّ عَنْهُنّ مَنكِبُ[3]

قال: وفي هذه الوقعة يقول خِدَاشُ بن زُهَير: [الطويل]

أيا أخَوَيْنا مِنْ أبِينا وَأُمِّنا ... إلَيْكُمْ إلَيْكُمْ لا سَبِيلَ إلى جَسْرِ

(١) العنقاء: طائر لا وجود له. وحلقت به عنقاء مغرب: أي هلك.
(٢) نهد الجزارة: ضخمها. وأراد بالجزارة اليدين والرجلين. والمنهب السريع.
(٣) الصّلوان: مثنى الصلا، وهي وسط الظهر، وقيل: الفرجة بين الجاعرة والذنب، وقيل: ما على يمين الذنب وشماله.

جَسْر: قبيلة من مُحَارِب. قال: وهذا اليومُ يُعرَفُ بيوم شُوَاحِطٍ، قبيلة من محارب.

وقال أبو عمرو: خرج خارجةُ بن حِصْن في جمع من بني فَزارة ومن بني ثَعْلبة بن سعد وهو يريد غزو بني عَبْس بن بَغيض، فلقُوا جيشاً لبني تَميم على ماءٍ يقال له «الكُفَافة»[1] وتميم في جمع سعد والرِّباب وبني عمرو، فقاتلوهم قتالاً شديداً وهُزِمَتْ تميم وأُجْفلت، وهذا اليومُ يقال له: «يومُ كُفَافة» فقال الحادرة في ذلك: [الطويل]

وَنَحْنُ مَنَعْنا مِنْ تَمِيمٍ وَقَدْ طَغَتْ ... مَراعِي المَلا حَتَّى تَضَمَّنَها نَجْدُ
كَمَعْطِفِنا يَوْمَ الكُفَافَةِ خَيْلَنا ... لِتتْبَعَ أُخْرَى الجَيْشِ إذ بَلَغَ الجِدُّ
على حِينَ شالَتْ وٱستَخَفَّتْ رجالَهُمْ ... جلائِبُ أحْياءٍ يَسِيلُ بها الشَّدُّ[2]
إذا هِيَ شَكَّ السَّمْهَرِيُّ نُحُورَها ... وخامَتْ عَنِ الأبطالِ أتْعَبَها القِدُّ[3]
تَكُرُّ سِرَاعاً في المَضِيقِ عَلَيْهِمُ ... وَتُثْنَى بِطاءً ما تخُبُّ ولا تَعْدُو
فأَثْنُوا عَلَيْنا لا أبَا لأبِيكُمُ ... بإحْسانِنا إنَّ الثَّناءَ هُوَ الخُلْدُ

(١) الكفافة: اسم ماء وقعت عنده وقعة بين فزارة وبني عمرو بن تميم. (معجم البلدان ٤/ ٤٦٧).
(٢) شالت: رفعت ذنبها.
(٣) السمهريّ: الرمح المنسوب إلى سمهر. وخامت: جبنت. والقد: سير من جلد يقيّد به.

أخبار ابن مِسجَح ونسبه

[توفي نحو ٨٥ هـ - ٧٠٤ م]

[اسمه ونسبه وبعض أخباره]

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بني جُمَح، وقيل: إنه مولى بني نَوْفل بن الحارث بن عبد المطَّلِب، مكيٌّ أسودُ، مُغنٍّ متقدمٌ من فحول المغنِّين وأكابرهم، وأوّلُ من صنع الغِناءَ منهم، ونقل غِناءَ الفُرس إلى غِناءِ العرب، ثم رحَل إلى الشأم وأخَذ ألحانَ الروم والبَرْبطيّة[1] والأسطوخوسيّة[2]، وانقلب إلى فارس فأخذ بها غِناءً كثيراً وتعلّم الضربَ، ثم قَدِم إلى الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغَم، وألقى منها ما استقبحه من النَّبرات والنَغم التي هي موجودةٌ في نَغَم غِناء الفُرْس والروم خارجةً عن غناء العرب، وغنّى على هذا المذهبِ، فكان أوّلَ من أثبت ذلك ولحَّنه وتبِعه الناس بعدُ.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن هِشَام بن المُرِّيّة: أنّ أوّلَ من غنَّى هذا الغناء العربيَّ بمكّةَ ابنُ مِسْجَح مولى بني مَخْزُوم، وذلك أنه مرَّ بالفُرس وهم يَبْنون المسجدَ الحرام، فسمِع غناءهم بالفارسيّة فقلبه في شعرٍ عربيٍّ، وهو الذي علَّم ابنَ سريج والغَريضَ، وكان ابن مِسْجَح مولَّداً أسودَ يُكْنَى بأبي عيسى.

أخبرني محمد بن عُبَيد الله بن محمد الرازيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ، وذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال: كان سببُ بناء ابن الزُّبَير الكعبةَ لما احترقت، أنّ أهلَ الشام لما حاصروه سمِع أصواتاً بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهلُ الشام قد وصلوا إليه، وكانت ليلةً ظلماءَ

(١) البربطية: كذا في الأصل. ولعلها: البيزنطية.
(٢) الأسطوخوسية: قوم من أسطوخوس وهي جزيرة في جنوب فرنسا عرف أهلها بحبهم للغناء.

ذاتَ ريح شديدةٍ صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ، فرفع ناراً على رأس رمح لينظرَ إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها وٱستطالت فيها، وجهد الناسُ في إطفائها فلم يقدِروا، وأصبحت الكعبةُ تتهافتُ[1] وماتت ٱمرأة من قريش، فخرج الناسُ كلُّهم في جنازتها خوفاً من أن ينزلَ العذابُ عليهم، وأصبح ابن الزُّبَير ساجداً يدعو ويقول: اللهم إني لم أتعمّد ما جرى فلا تُهْلِك عبادَك بذنبي وهذه ناصيتي[2] بين يديك؛ فلمّا تعالى النهارُ أمِنَ وتراجَعَ الناسُ، فقال لهم: اللهَ اللهَ أن ينهدمَ في بيت أحدكم حجرٌ فيزولَ عن موضعه فيبنيَهُ ويُصلحَه وأتركَ الكعبةَ خراباً؛ ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفَعَلَةُ حتى بلغوا إلى قواعدها، ودعا ببنَّائِين من الفُرس والروم فبناها.

[ذكاؤه وغناؤه]

قال إسحاق: وأخبرني ٱبن الكلبيّ عن أبي مِسْكين قال: كان سَعيد بن مِسْجَح أسودَ مولّداً يُكنَى أبا عيسى مولىً لبني جُمَح، فرأى الفُرْسَ وهم يعملون الكعبةَ لابن الزُّبير ويتغَنَّوْن بالفارسيّة فاشتقَّ غِناءَه على ذلك. قال إسحاق: وحدّثني محمد بن سَلاّم عن شُعَيب بن صَخْر وجَرير قالا: كان سعيد بن مِسْجَح أسودَ وهو مولَى بني جُمَح يُكنى أبا عيسى.

قال إسحاق: وحدّثني المدائنيّ عن صَخْر بن جَعْفر عن أبي قَبِيل بمثل ذلك، وذكر أنه كان يُكنَى أبا عثمان. قال: وهو مولىً لبني نَوْفل بن الحارث كان هو وابن سُرَيج لرجلٍ واحدٍ، ولذلك قَبِل عنه ٱبنُ سُرَيج.

قال إسحاق: وحدّثني الهَيْثَم بن عَدِيّ عن صالح بن حَسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبِيل من كنيته وولائه، وقال: كان ٱبن مسجح فَطِناً كيِّساً ذكيّاً، وكان أصفرَ حسنَ اللون، وكان مولاه مُعْجَباً به، وكان يقول في صِغره: ليكونَنَّ لهذا الغلام شأنٌ وما منعني من عتقه إلا حسنُ فِراستي فيه، ولئن عشتُ لأتعرَّفَنَّ ذلك، وإن مُتُّ فهو حرٌّ، فسمِعه مولاهُ يوماً وهو يتغنَّى بشعر ٱبن الرِّقاعِ العامِليِّ وهو من الثقيلِ الأوّلِ بالسبّابة في مجرى الوسطى:

---

(١) تتهافت: تتداعى، تنهار.

(٢) الناصية: مقدم الرأس، أو شعر مقدم الرأس.

صوت [الكامل]

أَلْـمِـمْ عَـلَـى طَـلَـلٍ عَـفـا مُـتَـقـادِمِ ... بَيْنَ الـلَّـكِيكِ وَبَيْنَ غَيْبِ النَّاعِـمِ[١]
لَـوْلا الـحَـيـاءُ وأنّ رأسِـي قَـدْ عَـثَـا ... فـيـهِ الـمَـشِـيـبُ لَـزُرْتُ أُمَّ الـقـاسِـمِ[٢]

فدعا به مولاه فقال له: يا بُنَيَّ أعِدْ ما سمعتُه منك عليّ، فأعاده فإذا هو أحسنُ مما ٱبتدأ به، فقال: إن هذا لمن بعض ما كنتُ أقول، ثم قال: أنَّى لك هذا؟ قال: سمعتُ هذه الأعاجمَ تتغنَّى بالفارسيَّة فثَقِفْتُها[٣] وقلبتُها في هذا الشعر، قال له: فأنت حرٌّ لوجه الله، فلزم مولاه وكثُر أدبُه واتسعَ في غنائه ومهرَ بمكَّةَ، وأُعجِبُوا به لظَرْفِهِ وحُسْنِ ما سمعوه منه، فدفَع إليه مولاه عُبَيد بن سُرَيج، وقال له: يا بُنيّ علِّمه وٱجتهدْ فيه؛ وكان ٱبنُ سريج أحسنَ الناس صوتاً، فتعلَّم منه ثم برَّزَ عليه[٤] حتى لم يُعرَف له نظيرٌ.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال: حدَّثنا أخي هارونُ عن ابنِ المَاجِشُون عن شيخ من أهل المدينة، وأخبرني محمدُ بنُ خَلَف بن المَرْزُبان والحسين بن يحيى قالا: أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: ذكر ٱبنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكِينٍ عن شيخ من أهل المدينة قال: دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكنُ الطَّرْف نبيلٌ تأخذه العينُ، لا أعرفه؛ فقال له القرشيّ: أقسمتُ عليك إلاّ ما غنّيتَ صوتاً، فحوّل خاتمَه من خِنصره اليُسْرَى إلى بِنْصَره اليُمْنَى، ثم تناول قَدَحاً، فغنّاه لحنَ ٱبنِ سُرَيج في شعر كعب بن جُعَيلٍ: [الطويل]

إذا ٱمْـتَـشَـطَـتْ عـالَـوْا لـهـا بـوِسـادَةٍ ... وَمَـدَّتْ عَـسِـيـبَ الـمَـتْـنِ أنْ يـتـعَـفَّـرا[٥]
ثَوَتْ نِصْفَ شَهْرٍ تَحْسَبُ الشَّهْرَ لَيْلَةً ... تُنَاغِي غَزَالاً ساجِيَ الطَّرْفِ أحْوَرَا[٦]
تَـزَيَّـنُ حَـتَّـى تَـسْـلُـبَ الـمَـرْءَ عَـقْـلَـهُ ... وَحَـتَّـى يَـحَـارَ الـطَّـرْفُ فيـهـا ويَـسْـكُـرا

---

(١) اللكيك، وقيل اللكاك: موضع في ديار بني عامر. (معجم البلدان ٥/ ٢٢). وغيب الناعم: موضع ورد في شعر عديّ بن الرقاع.
(٢) عثا: أفسد.
(٣) ثقف: حذق.
(٤) برّز: تفوّق.
(٥) عسيب المتن: عظم الظهر. ويتعفر: يتمرغ بالتراب.
(٦) تناغي: تغازل. وساجي الطرف: فاتره. والأحور: الأبيض.

ثم غنّى في شعر تَوْبَة بن الحُمَيِّر: [الطويل]

وَغَيَّرَنِي إن كُنْتِ لَمّا تَغَيَّرِي هَواجِرُ تَكْتَنِّينَها وأَسِيرُها
وأَدْمَاءِ مِنْ سِرِّ المَهارِي كأَنَّها مَهَاةُ صُوَارٍ غيرَ ما مَسَّ كُورُها[1]
قَطَعْتُ بها أَجْوازَ كلِّ تَنُوفَةٍ مَخُوفٍ رَدَاها كلّما ٱستنَّ مُورُها[2]
تَرَى ضُعَفاءَ القَوْمِ فيها كأَنَّهُمْ دَعَامِيصُ ماءٍ نَشَّ عنها غَدِيرُها[3]

قال: فقلت له إني لأَرْوِي هذا الشعرَ وما أعرِف هذه الأبيات فيه، فقال: هكذا رويتُها عن عبد الله بن جعفر، قال: وإذا هو نافعُ الخيرِ مولى عبد الله بن جعفر.

الغناء في هذين اللحنين لابنِ مِسْجَح ولم أجد لهما طريقةً في شيء من الكتب التي مرَّتْ، وذكر حبشٌ أن في أبيات كَعْبِ بن جُعَيلٍ لإبراهيمَ خفيفَ رملٍ بالوسطى.

حدّثني جعفرُ بن قُدامَة بن زِيَاد الكاتبُ وعمّي وحبيبُ بن نصر المهلَّبِيّ قالوا: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشميّ قال: حدّثني أحمد بن موسى بن حمزة بن عِمَارة بن صَفوانَ الجُمَحيّ عن أبيه قال:

أوّلُ مَنْ نقل الغناء الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيدُ بن مِسْجَح مولى بني مَخْزُوم. قال: وقد يُختَلفُ في وَلاَئِه إلا أن الأغلب عليه ولاءُ بني مخزوم، وذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان لما بنى دُورَه التي يقال لها: «الرُّقُطُ» - وهي ما بين الدارينِ إلى الرَّدْم: أوّلها الدارُ البيضاءُ وآخرها دارُ الحمَّام، وهي على يسار المُصْعِدِ من المسجد إلى «رَدْم عُمَرَ» - حمل لها بَنَّائينَ فُرْساً من العراق فكانوا يبنونها بالجِصّ والآجُرّ، وكان سعيدُ بن مِسْجَح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بُنْيانِهم، فما ٱستحسنَ من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربيّ، ثم صاغ على نحو ذلك؛ وهو الذي عَلَّمَ الغريضَ، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني:

---

(١) الأدماء: الناقة التي أشرب لونها بياضاً مع سواد المقلتين. والمهاري: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، وهي من أفضل النوق. والمهاة: البقرة الوحشية. والصوار: قطيع البقر. والكور: الرحل.
(٢) الأجواز: جمع جوز، وهو وسط الشيء ومعظمه. والتنوفة: الفلاة التي لا ماء فيها. واستنّ: هاج وثار. والمور: الغبار الذي تثيره الرياح.
(٣) الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران. ونشّ الغدير: نضب ماؤه.

صوت

[الكامل]

أَسَلاَمُ إنَّكِ قد مَلَكْتِ فَأَسْجِجِي ... قَدْ يَمْلِكُ الحُرُّ الكَرِيمُ فَيُسْجِحُ[(١)]

مُنّي عَلَى عَانٍ أَطَلْتِ عَنَاءَه ... في الغُلّ عندك والعُنَاةُ تُسَرَّحُ[(٢)]

إنّي لأنصَحُكُمْ وأعلَمُ أنه ... سِيَّانِ عِنْدَكِ مَنْ يَغُشُّ ويَنْصَحُ

وإذا شكوتُ إلى سَلاَمَةَ حُبَّها ... قالَتْ أجِدٌّ مِنْكَ ذا أم تَمْزَحُ

ـ الشعر للأحْوَص. والغناء لابنِ مِسْجَحٍ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. ولِدَحْمَان فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. ولمالكٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ ـ قال: وهو أوّل من غنّى الغناءَ العربيّ المنقولَ عن الفارسيّ، وعاش سعيدُ بنُ مِسجح حتى لقِيَهُ معبدٌ وأخَذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك.

[بينه وبين عبد الملك بن مروان]

حدّثني عمّي والحسينُ بن القاسم الكوفيّ قالا جميعاً: حدّثنا محمدُ بن سعيد الكُرانيّ قال: حدّثنا النضرُ بن عمرو قال: حدّثني أبو أميّة القرشيّ قال: حدّثنا دَحْمَان الأشقرُ قال: كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة فنُمِيَ إليه أنّ رجلاً أسودَ يقال له: سعيدُ بنُ مِسجح أفسدَ فتيانَ قريش وأنفقُوا عليه أموالَهم، فكتب إليّ: أن اْقبض مالَه وسَيِّرْه، ففعَلتُ، فتوجّه اْبنُ مِسجح إلى الشام فصَحِبه رجلٌ له جَوارٍ مُغَنِّياتٌ في طريقه، فقال له: أين تُريدُ؟ فأخبره خبرَه، وقال له: أُريد الشامَ، قال له: فتكونُ معي؟ قال: نعم، فصحبه حتى بلغا دِمشقَ فدخلا مسجَدها فسألا: مَنْ أخَصُّ الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا: هؤلاء النفرُ من قريش وبنو عمّه، فوقف اْبنُ مسجح عليهم وسلّم ثم قال: يا فِتيانُ، هل فيكم مَنْ يُضيفُ رجلاً غريباً من أهل الحجاز؟ فنظر بعضُهم إلى بعضٍ وكان عليهم مَوعِدٌ أن يذهبوا إلى قَيْنةٍ يُقَالُ لها: «بَرْقُ الأُفقِ» فتثاقَلوا به إلا فتىً منهم تَذَمَّم[(٣)] فقال: أنا أُضِيفُكَ، وقال لأصحابه: انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفي، قالوا: لا، بل تجيء أنت وضيفُكَ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القَيْنةِ، فلما أُتُوا بالغَداء قال لهم سعيدٌ: إني رجلٌ أسودُ

(١) أسجح: سهل ورفق.
(٢) الغلّ: القيد. والعناة: جمع عانٍ، وهو الأسير.
(٣) تذمّم: استنكف واستحيا.

ولعلّ فيكم من يَقْذُرني فأنا أجلس وآكلُ ناحيةً وقام، فاستحيوا منه وبعثوا إليه بما أكل، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثلَ ذلك، ففعلوا به، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضِع لهما، فغنَّتا إلى العِشاء ثم دخلتا، وخرجت جاريةٌ حَسَنةُ الوجهِ والهيئةِ وهما معها فجلستْ على السرير وجلستَا أسفَل منها عن يمين السرير وشماله، قال ٱبنِ مِسجح: فتمثَّلتُ هذا البيتَ: [الطويل]

فَقُلْتُ أشَمْسٌ أم مَصابِيحُ بِيعَةٍ بدَتْ لكَ خَلْفَ السَّجْفِ أم أنْتَ حَالِمُ[1]

فغضبت الجارية وقالت: أَيَضرِبُ هذا الأسودُ بي الأمثالَ! فنظروا إليّ نظراً مُنكراً ولم يزالوا يُسَكِّنونَها، ثم غنَّتْ صوتاً، فقال ٱبن مسجح، أحسنْتِ والله، فغضب مولاها وقال: أمثلُ هذا الأسودِ يُقدِمُ على جاريتي! فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده: قم فانصرِفْ إلى منزلي فقد ثَقُلْتَ على القوم، فذهبتُ أقومُ فتذمَّمَ القوم وقالوا لي: بل أقِمْ وأَحْسِنْ أدبَك فأقمتُ، وغنَّتْ فقلتُ: أخطأتِ واللهِ يا زانيةُ وأسأتِ ثم اندفعتُ فَغَنَّيْتُ الصَّوتَ فوثبت الجاريةُ فقالت لمولاها: هذا والله أبو عثمانَ سعيدُ بن مِسجَح. فقلتُ: إني واللَّهِ أنا هو، والله لا أُقيمُ عندكم، فوثب القرشيون، فقال هذا: يكون عندي! وقال هذا: يكون عندي، وقال هذا: بل عندي، فقلت: والله لا أُقيمُ إلا عند سيّدكم - يعني الرجل الذي أنزله منهم - ثم سألوه عما أقدمه فأخبرهم الخبرَ، فقال له صاحِبُه: إني أسمُرُ الليلةَ مع أمير المؤمنين فهل تُحسِنُ أن تَحدُوَ؟ قال: لا، ولكني أستعمل حُدَاءً، قال: فإن منزلي بِحذَاءِ منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طِيبَ نفسٍ أرسلتُ إليكَ، ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طَيِّب النفس أرسلَ إلى ابن مسجح وأخرجَ رأسه من وراء شرَف القصر ثم حدَا: [الرجز]

إنَّكَ يا مُعاذُ يابْنَ الفُضَّلِ إنْ زُلْزِلَ الأقْدامُ لم تُزَلْزَلِ
عَنْ دِينِ مُوسَى وَالكِتابِ المُنْزَلِ تُقِيمُ أصْداغَ القُرونِ المُيَّلِ
لِلْحَقِّ حَتَّى يَنْتَحُوا للأعْدَلِ

فقال عبد الملك للقرشيّ: مَنْ هذا؟ قال: رجلٌ حجازيّ قَدِمَ عليّ، قال: أَحْضِرْهُ فأحضره له، وقال له: أُحْدُ مُجِدًّا، ثم قال له: هل تُغَنّي غِناء الركبانِ؟

(١) البيعة: معبد النصارى. والسجف: الستارة.

قال: نعم، قال: غَنِّه فتغنّى، فقال له: فهل تغنّي الغناءَ المُتقنَ؟ قال: نعم، قال: غنّه، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طرباً، ثم قال له: أُقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة، مَنْ أنتَ؟ ويلك! قال له: أنا المظلوم المقبوض مالُه المُسَيَّر عن وطنه سعيدُ ابن مِسْجح، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني، فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له: قد وضَح عذرُ فتيان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالَهم، وأمَّنَهُ وَوَصَله وكتب إلى عامله بِرَدّ ماله عليه وألاّ يَعْرِض له بسوء.

صوت

من المائة المختارة

سلا دارَ لَيْلَى هَلْ تُبِينُ فتَنْطِقُ وأَنّى تَرُدُّ القَوْلَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ[1]
وَأَنَّى تَرُدُّ القَوْلَ دارٌ كأنَّها لِطُولِ بِلاها وَالتَّقادُمِ مُهْرَقُ[2]

عروضُه من الطويل، الشِّعر لابن المَوْلَى. وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى؛ وذلك غَلط، وقد ٱلتمسناه في شعر كل أعشى ذُكِر في شعراء العرب فلم نجده، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة لأحد منهم، ووجدناه في شعر ٱبن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة، وقد أثبتناها بعَقِب أخباره ليُوقَفَ على صحّة ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة ٱحتيج إلى إيضاح الحجّةِ على ما خالفه والدّلالة على الصواب فيه. والغناءُ في اللحن المختار لعَطرَّد ثقيلٌ أوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو، وفيه لأيّوب زهرة خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ. وفي غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين وهما:

وقال خليلي والبُكا لِيَ غالِبٌ أقاضٍ عَلَيْكَ ذا الأسَى وَالتَّشَوُّقُ
وَقَدْ طالَ تَوْقاني أُكَفْكِفُ عَبْرَةً تكادُ إذا رُدَّتْ لها النَّفْسُ تَزْهَقُ[3]

(١) السملق: القفر التي لا نبات فيها.
(٢) المهرق: الصحيفة.
(٣) توقاني: اشتياقي.

أخبار ابن المَوْلَى ونسبه

[توفي نحو ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م]

[اسمه ونسبه وصفاته]

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلِم بن المَوْلى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عَوْف، شاعرٌ متقدّم مجيد من مُخَضْرَمِي الدولتين ومدّاحي أهلهما، وقدِم على المهديّ وامتدحه بعدّة قصائد فوصَله بِصلاتٍ سنيّةٍ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة.

[مدحه المهديّ]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا محمد بن عبد الله الحزَنْبل قال: قال لي محمد بن صالح بن النَّطّاح: كان ابن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، وكان مسكنه بقُبَاء[1]، وكان يَقْدَم على المهديّ فيمدحه، فقدِم عليه فأنشده قولَه: [الطويل]

سَلاَ دارَ لَيْلَى هَلْ تُبِينُ فَتَنْطِقُ ... وَأَنَّى تَرُدُّ القَوْلَ بيداءُ سَمْلَقُ
وَأَنَّى تَرُدُّ القَوْلَ دارٌ كأنَّها ... لِطُولِ بِلاها وَالتَّقادُم مُهْرَقُ
وَقالَ خَلِيلِي وَالبُكا لِيَ غالبٌ ... أقاضٍ عَلَيْكَ ذا الأسَى والتَّشَوُّقُ
وإنسانُ عَيْنِي في دَوائِرِ لُجَّةٍ ... مِنَ الدَّمْعِ يَبْدُو تارةً ثمَّ يَغْرَقُ

يقول فيها:

إلى القائم المَهْدِيِّ أعملتُ ناقتي ... بِكُلِّ فلاةٍ آلُها يَتَرَقْرَقُ

(١) قباء: قرية على ميلين من المدينة المنوّرة. (معجم البلدان ٤/ ٣٠١).

إذا غـال منهـا الرَّكـبَ صَحْـراءُ بَرَّحَـتْ ... بهم بَعْدَها في السَّيْرِ صَحْراءُ دَرْدَقُ[١]
رَمَـيْـتُ قَـراهـا بَـيْـنَ يَـوْمٍ ولَـيْـلَـةٍ ... بفَتْلاء لم ينكُبْ لها الزَّوْرَ مِرْفَقُ[٢]
مُـزَمِّـرَةً سَـقْـبـاً كـأن زِمـامَـهـا ... بِجَرْداءَ من عُمّ الصَّنَوْبرِ مُعْلَقُ[٣]
مـوكَّـلـةً بـالـفـادحـات كـأنـهـا ... وقد جَعَلَتْ منها الثَّمِيلةُ تَخْلُقُ[٤]
بـقِـيّ الـمَـلا هَـيْـقٌ أمـامَ رِئـالـهِ ... أصَـمُّ هِـجَفٌّ أقْـرَعُ الرَّأسِ نِقْنِقُ[٥]
تـراهـا إذا اَسْـتَـعْـجَـلْـتَـهـا وكـأنَّـهـا ... على الأيْنِ يَعْرُوها من الرَّوْعِ أوْلَقُ[٦]
مُـوَرِّكَـةٌ أرْضَ الـعُـذَيْـبِ وَقَـدْ بـدا ... فَـسُـرَّ بـه لـلآئِـبـيـنَ الـخَـوَرْنَـقُ[٧]

فاستحسنها المهديّ وأجزل صِلَته، وأمر فَغُنِّيَ في نسيب القصيدة. فأمّا ما شَرطتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقب البيت الثاني منها:

عَـفَـتْـهـا الـرِّيـاحُ الـرامِـسـاتُ مَعَ البِلَى ... بـأذيـالِـهـا والـرَّائِـحُ الـمُـتـبَـعِّـقُ[٨]
بـكـلِّ شـآبـيـبٍ مـن الـمـاءِ خَـلَّـفَـهـا ... شـآبِـيـبُ مـاءٍ مُـزْنُـهـا مـتـألِّـقُ[٩]
إذا رَيِّـقٌ مِـنْـهـا هُـرِيـقَـتْ سِـجَـالُـهُ ... أُعِـيـدَ لـهـا كِـرْفِـيُّ مـاءٍ ورَيِّـقُ[١٠]
فـأصْـبَـحَ يَـرْمِـي بـالـرَّبـابِ كـأنَّـمـا ... بِـأرْجُـلِـهِ مـنـهُ نَـعـامٌ مُـعَـلَّـقُ[١١]
فـلا تَـبْـكِ أطـلالَ الـدِّيـار فـإنَّـهـا ... خَبالٌ لِمَنْ لا يَدْفَعُ الشَّوْقَ عَوْلَقُ[١٢]

---

(١) غالت الصحراء الركب: قذفت بهم وأبعدتهم. ودردق: جبال رمل صغار تخرج من جبال رمل عظيمة.

(٢) قراها: ظهرها. والفتلاء: الناقة المتباعدة الذراعين. والزور: الصدر.

(٣) مزمرة: مصوتة، ولعله أراد أنها لسرعتها تصوّت. والسقب: الطويل من كل شيء. وعُمّ الصنوبر: أشجرات الصنوبر الطوال.

(٤) الثميلة: البقية.

(٥) القيّ: القفر. والهيق: الظليم. والرئال: جمع رأل، وهو فرخ النعام. والهجفّ: الظليم المسنّ، وقيل: الجافي الثقيل من النعام. والنقنق: الظليم.

(٦) الأولق: الجنون.

(٧) موركة: مجاوزة. والعذيب: ماء بين القادسية والمغيثة (معجم البلدان ٤/ ٩٢). والخورنق: قصر بالحيرة.

(٨) عفتها: محتها. الرامسات: الدافنات. والرائح: المطر. والمتبعق: المندفع بشدة.

(٩) الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر.

(١٠) الريّق: المطر الخفيف. والكرفيّ: السحاب المرتفع.

(١١) الرباب: السحاب الأبيض.

(١٢) الخبال: الهلاك. وعولق: غول.

وإنَّ سَفاهاً أن تُرَى مُتَفَجِّعاً ... بأطْلالِ دارٍ أو يَقُودَكَ مَعْلَقُ
فلا تَجْزَعنْ لِلْبَيْنِ كُلُّ جَماعَةٍ ... وَجَدِّكَ مَكْتُوبٌ عَلَيْها التَّفَرُّقُ
وَخُذْ بالتَّعَزِّي كلُّ ما أنْتَ لابسٌ ... جَديداً على الأيام بالٍ ومُخْلِقُ
فَصَبْرُ الفَتَى عَمَّا تَولَّى فإنَّهُ ... من الأمْرِ أوْلَى بالسَّدادِ وَأوْفَقُ

ويروى: «أدنى للذي هو أوفق».

وإنَّكَ بالإشْفاقِ لا تَدْفَعُ الرَّدَى ... ولا الحَيْنُ مَجْلُوب فما لَكَ تُشْفِقُ
كأنْ لَمْ يَرُعْك الدَّهْرُ أو أنْتَ آمِنٌ ... لأحْداثِهِ فيما يُغادِي ويَطْرُقُ
وقالَ خَليلِي وَالبُكا لِيَ غالِبٌ ... أقاضٍ عليكَ ذا الأسَى والتَّشَوُّقُ
وَقَدْ طالَ تَوْقانِي أُكَفْكِفُ عَبْرَةً ... على دِمْنَةٍ كادَتْ لها النَّفْسُ تَزْهَقُ(١)
وإنْسانُ عَيْنِي في دَوائِرِ لُجَّةٍ ... من الماءِ يَبْدُو تارةً ثم يَغْرَقُ
ولِلدّمع من عيني شَريجا صبابةٍ ... مُرِشٌّ الرَّجا والجائلُ المُترقرِقُ(٢)
وَكُنْتُ أخا عِشْقٍ وَلَمْ يَكُ صاحِبِي ... فيَعْذِرَنِي مِمّا يَصَبُّ وَيُعْشَقُ
وقد يعذِر الصَّبُّ السَّقِيمُ ذَوي الهَوَى ... وَيلحَى المحبّين الصديقُ فيَخرَقُ(٣)
وعاب رجالٌ أن عَلِقتُ وقد بدا ... لَهُمْ بَعْضُ ما أهْوَى وذو الحِلْمِ يَعْلَقُ

والقصيدة طويلة. وفي بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صحّة ما قلته.

[سمّى قوسه ليلى وتغزل به]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: خرجتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعُبَيد الله بن مُسلِم بن جُنْدَب وابن المولى وأصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُبَاء، وابن المولى مُتنكّب قوساً عربية، فأنشد ابن المولى لنفسه: [الطويل]

وَأبْكِي فلا لَيْلَى بَكَتْ مِنْ صَبابةٍ ... إلَيَّ ولا ليلَى لِذِي الوُدِّ تَبْذُلُ
وَأخْنَعُ بالعُتْبَى إذا كُنْتُ مُذْنِباً ... وإن أذْنَبَتْ كُنْتُ الذِي أتَنَصَّلُ(٤)

---

(١) الدمنة: أثر الدار. وجمعها: دِمَن.
(٢) الشريجان: لونان مختلفان. والمرشّ: الذي يتصبب ماؤه. والرجا: ناحية البئر. وللبئر رجوان.
(٣) يلحى: يلوم. يخرق: يحمق.
(٤) أخنع: أخضع.

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جُندَب: مَن ليلى هذه حتّى نقودَها إليك؟ فقال لهما ابن المولى: ما هي والله إلاّ قوسي هذه سمّيتها ليلَى.

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى لخَزْرَج؛ ويقال إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أبو هفّان قال: أخبرني أبو محلّم عن المفضَّل الضّبيّ قال: وفَد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها: [مجزوء الكامل]

يا واحِدَ العُرْبِ الَّذِي أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرُ
لو كانَ مِثْلَكَ آخَرٌ ما كانَ في الدُّنيا فَقِيرُ

قال: فدعا بخازنه وقال: كم في بيت مالي؟ فقال له: من الورِق والعَيْن[1] بقيَّةٌ عشرون ألف دينار، فقال: ادفَعْها إليه، ثم قال: يا أخي، المَعْذِرة إلى الله وإليك، والله لو أنّ في ملكي أكثر لما احتجبتُها عنك.

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المَرْزُبان قالا: حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال: حدّثنا مُصعَب الزُّبَيريّ عن عبد الملك بن المَاجِشُون قال: كان ابن المولى مَدَّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العبّاس الهاشميَّيْن ويزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلَّب، واستفرغ مدحَه في يزيد وقال فيه قصيدتَه التي يقول فيها:

[الكامل]

يا واحِدَ العَرَبِ الَّذِي دانَتْ له قَحْطانُ قاطِبَةً وسادَ نِزارا
إنِّي لأرْجُو إنْ لَقِيتُكَ سالماً ألاّ أُعالِجَ بَعْدَكَ الأسْفارا
رِشْتَ النَّدَى وَلَقَدْ تَكَسَّر رِيشُهُ فعَلا النَّدَى فَوْقَ البلادِ وطارا[2]

ثم قَصَده بها إلى مصر وأنشده إيّاها؛ فأعطاه حتّى رَضِيَ. ومرِض ابن المولى عنده مَرضاً طويلاً وثقُل حتّى أشْفَى فلمّا أفاق من علّته ونهَض، دخل عليه يزيد بن حاتم مُتعرِّفاً خبرَه، فقال: لوَدِدْتُ والله يا أبا عبد الله ألاّ تُعالج بعدي الأسفار حقاً، ثم أضعفَ صلتَه.

---

(١) الورق والعين: الذهب والفضة.
(٢) رشتَ الندى: جعلت للكرم ريشاً.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا أحمد بن زُهير قال: حدّثني الزُّبَير بن بَكّار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال: أخبرني ابن المولى قال: كنت أمدَح يزيد بن حاتم من غير أن أعرِفه ولا ألقاه، فلما ولاّه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فلقيتُه فأنشدتُه، وقد خرج من مسجدِ رسول الله ﷺ إلى أن صار إلى مسجد الشّجرة، فأعطاني رِزمتيْ ثياب وعشرةَ آلاف دينار فاشتريتُ بها ضِياعاً تُغِلّ ألفَ دينار، أقومُ في أدناها وأصيح بقَيِّمي ولا يَسمعني وهو في أقصاها.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الحزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أنّ الحسن بن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال: أتُشَبِّبُ بحُرَم المسلمين وتُنشِدُ ذلك في مسجد رسول الله ﷺ وفي الأسواق والمحافل ظاهراً! فحلَف له بالطّلاق أنّه ما تعرّض لمحرَّم قطّ ولا شبّب بامرأة مُسلم ولا مُعاهِدٍ[1] قطّ، قال: فمن ليلَى هذه التي تَذكُر في شعرك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلاّ قَوسي هذه، سمّيتُها ليلى لأذكُرَها في شعري، فإن الشعر لا يحسنُ إلاّ بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت.

[شوقه إلى المدينة]

فقال الحزنبل: وحُدّثت عن ٱبنِ عائشة محمد بن يحيى قال: قدِم ٱبن المولى إلى العراق في بعض سِنيه فأخفَق وطال مُقامه وغرِض[2] به وتشوّق إلى المدينة فقال في ذلك:

صوت

[الكامل]

ذهبَ الرِّجالُ فلا أُحِسُّ رِجالا ... وَأرَى الإقامةَ بالعراقِ ضَلالا
وطَربتُ إذ ذَكَر المَدينَةَ ذاكِرٌ ... يومَ الخَميسِ فهاجَ لي بَلْبالا[3]
فظللتُ أنظُرُ في السَّماء كأنّني ... أبغي بناحيةِ السَّماء هلالا
طرباً إلى أهلِ الحِجازِ وتارةً ... أبْكي بدمعٍ مُسْبِلٍ إسْبالا

(١) المعاهد: الذمي الذي عاهد المسلمين.
(٢) غرض: ضجر وملّ وقلق.
(٣) البلبال: الهمّ الشديد.

غنّى في هذه الأربعة الأبيات ٱبنُ عائشة. ولحنه ثاني ثقيل عن الهشاميّ، وذكره حمّاد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقته.

فيقالُ قد أضْحَى يُحَدِّث نَفْسَهُ ... وَالعَيْنُ تَذرِفُ في الرِّداءِ سِجالا[1]
إنَّ الغَرِيبَ إذا تَذَكَّرَ أَوْشَكَتْ ... منهُ المدامِعُ أن تَفيضَ عِلالا[2]
وَلَقَدْ أقولُ لِصاحِبِي وكأنَّهُ ... مِمّا يعالِجُ ضُمِّنَ الأغْلالا[3]
خَفِّضْ عَلَيْكَ فما يُرَدُّ بك تَلْقَهُ ... لا تُكثِرَنَّ وإن جَزِعْتَ مَقالا
قد كُنْتَ إذ تَدَعُ المَدِينَةَ كالذي ... ترك البحارَ ويَمَّمَ الأوشالا[4]
فأجابَنِي خاطِرْ بنفسكَ لا تَكُنْ ... أبداً تُعَدُّ مَعَ العِيالِ عِيالا
واْعْلَمْ بأنَّكَ لن تَنالَ جَسِيمَةً ... حَتَّى تُجشِّمَ نَفْسَكَ الأهوالا
إنّي وَجَدِّكَ يومَ أتْرك زاخراً ... بَحْراً يُنفِّلُ سيبُهُ الأنفالا[5]
لأضَلُّ مِن جَلب القوافِي صَعْبَةً ... حتَّى أذَلّ مُتونَها إذلالا

[مدحه المهديّ وتعريضه بالطالبيين]

قال الحَزَنْبَلُ: وحدّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال: حدّثني مولى للحسن بن زيد قال: قدم ٱبنُ المولى على المهديّ وقد مدَحه بقصيدته التي يقول فيها: [الطويل]

وما قارعَ الأعداءَ مثلُ محمّد ... إذا الحرب أبدت عن حُجول الكَواعبِ[6]
فَتىً ماجدُ الأعْراقِ من آل هاشِم ... تَبَحْبَحَ منها في الذُّرَى وَالذَّوائبِ[7]
أشَمُّ من الرّهْطِ الّذِينَ كأنَّهُمْ ... لَدى حِنْدِسِ الظَّلْماءِ زُهْرُ الكَواكِبِ[8]
إذا ذُكِرَتْ يَوْماً مَناقِبُ هاشِم ... فإنَّكُمْ مِنْها بِخَيْرِ المَناصِبِ

(١) السجال: جمع سَجْل، وهو الدلو العظيمة.
(٢) علالاً: مرة بعد أخرى.
(٣) ضُمِّن الأغلال: قيِّد بها.
(٤) الأوشال: جمع وشل، وهو الماء القليل.
(٥) السيب: العطاء. والأنفال: جمع نفل، وهو العطية والهبة.
(٦) الحجول: جمع حجل، وهو الخلخال.
(٧) تبحبح: تمكن وتوسع.
(٨) الحندس: الظلمة. وزهر الكواكب: الكواكب المضيئة.

وَمَن عِيبَ في أخلاقِهِ ونِصابِهِ فما في بَنِي العَبّاسِ عَيْبٌ لِعائبِ[1]
وإنّ أمِيرَ المُؤمنينَ ورَهْطَهُ لأهْلُ المَعَالِي من لُؤيٍّ بن غالبِ[2]
أُولئكَ أوتادُ البلادِ ووَارِثو النْـ ـنَبِيِّ بأمْرِ الحَقِّ غير التَّكَاذُبِ

ثم ذكر فيها آلَ أبي طالب فقال: [الطويل]

وما نَقَموا إلا المودَّةَ منهمُ وأن غادرُوا فِيهِمْ جَزِيلَ المَواهِبِ
وأنَّهُمُ نالُوا لهم بدمائهم شِفاءَ نُفُوسٍ من قتيلٍ وهاربِ
وقامُوا لهم دونَ العدا وكفَوْهُمُ بِسُمْرِ القَنا والمُرهَفاتِ القَواضِبِ
وَحامَوْا على أحْسابِهِمْ وكرائِم حِسانِ الوُجُوهِ واضحاتِ التَّرائِبِ
وإن أمِيرَ المؤمنينَ لَعائِدٌ بإنعامِهِ فِيهِمْ على كُلِّ تائِبِ
إذا ما دَنَوْا أدناهُمُ وإذا هَفَوْا تَجاوز عنهم ناظراً في العواقبِ
شفيقٌ على الأقْصَيْنَ أنْ يركبوا الرَّدَى فكيف به في واشِجات الأقاربِ[3]

قال: فوصله المهديّ بصلة سنيّة، وقدِم المدينةَ فأنفق وبنى داره ولبس ثياباً فاخرةً، ولم يزل كذلك مدى حياته بعدما حباه. ثم قدم على الحسن بن زيد وكانت له عليه وَظيفةٌ في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قولَه يمدحه: [الخفيف]

هاج شوقي تفرّقُ الجِيرانِ واْعترتني طوارقُ الأحزانِ[4]
وتذكّرتُ ما مضى من زماني حين صار الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد:

وَلَوَ اَنَّ اْمْرءًا ينالُ خُلوداً بِمَحَلٍّ ومَنْصِبٍ ومكانِ
أو بِبَيْتٍ ذُراه تَلْصَقُ بالنَّجْـ ـم قِراناً في غير بُرج قِرانِ
أو بِمَجْدِ الحَياة أو بِسَماحٍ أَو بِحِلْم أوْفَى عَلَى ثَهْلاَنِ[5]
أو بفضلٍ لنالَهُ حَسَنُ الخَيْـ ـرِ بفضلِ الرَّسُولِ ذي البرهانِ
فَضْلُهُ واضحٌ برهط أبي القا سم رَهْطِ اليقين والإيمانِ
هم ذَوُو النُّور والهُدَى ومَدَى الأمـ ـر وأهلُ البرهان والعِرفانِ

(١) النصاب: الأصل.
(٢) رهط الرجل: قومه وقبيلته.
(٣) الواشجات: جمع واشجة، وهي الرحم المشتبكة المتصلة.
(٤) طوارق الأحزان: الأحزان التي تأتي ليلاً.
(٥) ثهلان: جبل ضخم بالعالية (معجم البلدان ٢/ ٨٨).

مَـعْـدِنُ الـحَـقِّ والـنُّـبُـوَّةِ والـعَـدْ ... لِ إذا مـا تـنـازعَ الـخَـصْـمـانِ
وٱبْـنُ زيـد إذا الـرجـالُ تـجَـارَوْا ... يَـوْمَ حَـفْـلٍ وَغـايَـةٍ وَرِهـانِ
سـابِـقٌ مُـغْـلِـقٌ مُـجِـيـزُ رِهـانٍ ... وَرِثَ السَّبْقَ مِنْ أبيهِ الـهِـجـانِ[1]

قال: فلما أنشده إياها دعا به خالياً ثم قال له: يا عاضَّ كذا من أمه، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول: [الطويل]

وإنَّ أمِـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ وَرَهْـطَـهُ ... لَرَهْطُ المعالِي من لُؤَيِّ بن غالبِ
أولـئـكَ أوتـادُ الـبـلاد ووَارِثـو الـنَّـ ... ـبيِّ بأمْرِ الحَقِّ غير التَّكاذُبِ

فقال له: أتُنْصِفني يابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل:

* وإن أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ وَرَهْـطَـهُ *

ألستم رهطه؟ فقال: دَعْ هذا، ألم تقدِر أن يَنفُق شعرُك ومديحُك إلا بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول:

ومـا نَـقَـمُـوا إلا الـمَـوَدَّةَ مـنـهُـمُ ... وأن غادروا فيهم جَزِيلَ المواهِبِ
وَأنَّـهُـمُ نـالُـوا لـهـم بِـدمـائِـهِـمْ ... شفاءَ نُفُوسٍ مِنْ قَتِيلٍ وهارِبِ

فوجَم ٱبنُ المولى وأطرق ثم قال: يابن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرّب بجَهْده، ثم قام فخرج من عنده منكَسِراً، فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحمِلَ إليه وظيفته ويزيدَه فيها ففعل، فقال ٱبن المولى: والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ، فأما إنْ قرنَها بالرضا فقبلتُها، وأما إن أقام وهو عليّ ساخط ٱلبتّةَ فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قل له: قد رضيتُ فاقبلْها. ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه: [الطويل]

سألْتُ فأعطاني وَأعْطَى ولم أسَلْ ... وجادَ كما جادَتْ غوادٍ رَواعِدُ[2]
فأُقْسِمُ لا أنْفَكُّ أُنْشِدُ مَدْحَهُ ... إذا جمعتْني في الحَجيج المَشاهدُ
إذا قلتُ يوماً في ثنائي قصيدةً ... ثنَيْتُ بأُخْرَى حَيْثُ تُجْزَى القَصائِدُ

قال الحَزَنْبَل: وحدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال:

---

(١) الهجان: الكريم ذو الحسب النقي الرفيع.
(٢) الغوادي: جمع غادية، وهي السحابة التي تنشأ غدوة.

لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارِقة[١] وقد ظَفِرَ، خُلِع عليه وعُقِد له لواءٌ على كُور الأهْواز وسائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذِن له فأنشده:

صوت

[الطويل]

أَلا يا لقَومي هَلْ لِمَا فاتَ مَطْلَبُ وَهَلْ يُعْذَرَنْ ذو صَبْوَة وَهْوَ أشْيَبُ
يحِنّ إلى ليلى وقد شَطّت النوى بليلَى كما حَنّ اليَراعُ المثقَّبُ[٢]

غنّى في هذين البيتين عَطَرَّد، ولحنُه رمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة؛ وفيه ليونس لحن ذكره لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقته.

تَقَرَّبْتُ لَيْلَى كي تُثيبَ فَزادَني بِعاداً على بُعْدٍ إلَيْها التَّقَرُّبُ
فَدَاوَيْتُ وَجْدِي باجْتِناب فَلَمْ يَكُنْ دواءً لِما ألْقاهُ منها التَّجَنُّبُ
فلا أنا عِنْدَ النَّأيِ سالٍ لِحُبِّها ولا أنا مِنْها مُشْتَفٍ حِينَ تَصْقَبُ[٣]
وما كُنْتُ بالرَّاضِي بما غَيْرُهُ الرِّضا وَلٰكِنَّنِي أنوِي العَزاءَ فأُغْلَبُ
وَلَيْلٍ خُدَارِيِّ الرِّواقِ جَشِمْتُهُ إذا هابَهُ السَّارون لا أتَهَيَّبُ[٤]
لأظْفَرَ يَوْماً مِنْ يزيدَ بْنِ حاتِم بِحَبْلِ جِوارٍ ذاكَ ما كُنْتُ أطْلُبُ
بَلَوتُ وَقَلَّبْتُ الرِّجالَ كما بَلاَ بِكَفَّيْهِ أوْسَاطَ القِداحِ مُقَلِّبُ
وَصَعَّدني هَمِّي وَصَوَّب مَرَّةً وَذُو الهَمِّ يَوْماً مُصْعَدٌ ومُصوَّبُ[٥]
لأعْرِفَ ما آتَى فَلَمْ أرَ مِثْلَهُ من النَّاسِ فيما حازَ شَرْقٌ وَمَغْرِبُ
أكَرَّ على جَيْشٍ وَأعْظَمَ هَيْبَةً وَأوْهَبَ في جُودٍ لما لَيْسَ يُوهَبُ
تَصَدَّى رجالٌ في المعالِي لِيَلْحَقوا مَداكَ وما أدْرَكْتَهُ فَتَذَبْذَبُوا
ورُمْتَ الذي رامُوا فأذْلَلْتَ صَعْبَهُ وَرامُوا الَّذِي أذْلَلْتَ منهُ فأصْعَبوا[٦]
وَمَهما تَنَاوَلْ مِنْ مَنالٍ سَنيّة يُساعِدْكَ فيها المُنْتَمَى والمُرَكَّبُ[٧]

---

(١) الأزارقة: فرقة من الخوارج ينسبون إلى نافع بن الأزرق.
(٢) اليراع المثقب: المزمار.
(٣) تصقب: تدنو، تقرب.
(٤) الليل الخداريّ: الشديد الظلمة.
(٥) همّي: همتي.
(٦) أصعبوا: وجدوا الأمر صعباً.
(٧) المنتمى: الانتماء. والمركّب: الأصل والمنبت.

وَمَـنـصِـبُ آبـاءٍ كِـرامٍ نَـمـاهُـمُ إلى المَـجْـدِ آباءٌ كِرامٌ ومنصِبُ[١]

صوت

كَواكِبُ دَجْنٍ كُلَّما انْقَضَّ كَوْكَبٌ بـدا مِنْهُمُ بـدرٌ مُنِيرٌ وَكَوْكَبُ
أنـارَ بـه آل الـمُـهَـلَّـبِ بَـعْـدَمـا هَوَى مَنكِبٌ منهم بِلَيْلٍ ومَنكِبُ
ومـا زالَ إلْحـاحُ الزَّمـانِ عـليـهـمُ بنـائبـةٍ كـادَتْ لـهـا الأرْضُ تَخْرَبُ
فَلَوْ أبْقَتِ الأيـامُ حَيًّا نَفاسَةً لأبقـاهُمُ لِلْجُودِ نـابٌ ومِخْلَبُ
وَكُنْتَ لِيَومَيْ نِعْمَةٍ ونِكايةٍ كما فيهما لِلنّاسِ كانَ المُهَلَّبُ
ألا حَبَّذا الأحْيـاءُ مِنْكُمْ وَحَبَّذَا قُبورٌ بهـا مَوتـاكُمُ حِينَ غُيِّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخِلعةٍ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلٌّ واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده.

[بعض مديحه ورأي الناس فيه]

قال الحَزَنْبَل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها:

صوت

[مجزوء الكامل]

حَـيِّ الـمَـنـازِلَ قَـدْ بَـلِـيـنـا أقْـوَيْـنَ عَـنْ مَـرِّ الـسِّـنـيـنـا[٢]
وَسَـلِ الـدِّيـارَ لَـعَـلَّـهـا تُـخْـبِـرْك عَـنْ أُمِّ الـبَـنـيـنـا
بـانَـتْ وَكُـلُّ قَـرِيـنَـةٍ يـومـاً مـفـارِقَـةٌ قَـرِيـنـا
وَأَخُـو الـحـيـاةِ مِـنَ الـحـيا ةِ مُـعـالِـجٌ غِـلَـظـاً ولِـيـنـا

غنّى في هذه الأبيات نبيهٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر.

وَتَـرَى الـمُـوَكَّـلَ بِـالْـغَـوَا نِـي رَاكِـبـاً أَبَـداً فُـنـونـا
وَمِـنَ الـبَـلِـيَّـةِ أنْ تُـدا نَ بـمـا كَـرِهْـتَ ولـن تَـدِيـنـا
وَالـمَـرْءُ تُـخْـرَم نَـفْـسُـهُ مـا لا يـزالُ بـهِ حَـزِيـنـا

(١) المنصب: الأصل والمنبت.
(٢) أقوين: أقفرن.

وَتَـــراهُ يَــجْــمَـــعُ مـــالَـــهُ جَـمْـعَ الـحَـريـصِ لـوارِثـيـنـا
يَـسْـعَـى بـأفْـضَـلِ سَـعْـيِـهِ فَـيَـصِـيـرُ ذاكَ لِـقـاعِـدِيـنـا
لَـمْ يُـعْـطِ ذا الـنَّـسَـبِ الـقَـرِيـ ـبِ وَلَـمْ يَـجُـدْ لـلأبْـعَـدِيـنـا
قَـدْ حَـلَّ مَـنْـزِلَـهُ الـذَّمِـيــ ـمَ وفـارَقَ الـمُـتَـنَـصِّـحِـيـنـا[1]

قال الحَزَنْبَل: وذكر أحمدُ بن صالح بن النّطّاح عن المدائنيّ: أن المهديّ لمّا ولِيَ الخلافة وحجّ فرّق في قريشٍ والأنصارِ وسائرِ الناس أموالاً عظيمةً ووَصَلهم صلاتٍ سنيّةً، فحسُنتْ أحوالُهم بعد جُهد أصابَ الناس في أيّام أبيه، لتسرّعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن، وكانت سنةُ ولايته سنةَ خِصب ورُخص، فأحبّه الناس وتَبرّكوا به، وقالوا: هذا هو المهديّ، وهذا ٱبن عمّ رسول الله ﷺ وسَمِّيه، فلقُوه فدعَوْا له وأثنَوْا عليه، ومدحته الشعراء، فمدّ عينَه في الناس فرأى ٱبن المولى فأمر بتقريبه فقُرّب منه؛ فقال له: هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك، فأنشده قوله فيه:

[البسيط]

يـا لَـيـلَ لا تَـبْـخَـلـي يـا لَـيـلَ بـالـزّادِ وٱشْفِـي بذلكَ داءَ الحائِمِ الصّادِي[2]
وَأنْـجِـزِي عِـدّةً كـانَـتْ لَـنـا أمَـلاً قـد جـاءَ مِـيـعـادُهـا مـن بَـعْـدِ مِـيـعـادِ
مـا ضَـرَّهُ غَـيْـرُ أن أبْـدَى مَـوَدَّتَـهُ إنّ الـمُـحِـبَّ هـواهُ ظـاهِـرٌ بـادي

ثم قال فيها يصف ناقته:

تَـطْـوِي الـبِـلادَ إلـى جَـمٍّ مـنـافـعُـهُ فَـعّـالِ خَـيْـرٍ لِـفِـعْـلِ الـخَـيْـرِ عَـوّادِ
لِـلْـمُـهْـتَـدِيـنَ إلـيـهِ مِـن مـنـافـعِـهِ خَـيْـرٌ يَـروحُ وخَـيْـرٌ بـاكِـرٌ غـادي
أغـنَـى قُـرَيـشـاً وأنـصـارَ الـنَّـبِـيِّ ومَـنْ بِـالـمَـسْـجِـدَيْـنِ بِـإسْـعـادٍ وإحـفـادِ[3]
كـانَـتْ مـنـافـعُـهُ فـي الأرضِ شـائـعـةً تَـتْـرَى وَسِـيـرَتُـهُ كـالـمـاءِ لِـلـصّـادِي[4]
خَـلِـيـفَـةُ الله عَـبْـدُ اللهِ وَالِـدُه وأُمُّـهُ حُـرَّةٌ تُـنْـمَـى لأمْـجـادِ
مِـنْ خَـيْـرِ ذي يَـمَـنٍ فـي خَـيْـرِ رابِـيَـةٍ مِن القَبولِ إلـيـهـا مَـعْـقِـلِ الـنّـادي[5]

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة، وأمر صاحب

(١) المتنصحون: الذين يكثرون من النصح.
(٢) الصادي: العطشان.
(٣) الإحفاد: الإسراع في الإرضاء وقضاء الحاجات.
(٤) تترى: متتالية، متواترة.
(٥) المعقل: الملجأ، الملاذ. والنادي: مجتمع القوم.

الجارِي[١] بأن يُجْرِيَ له ولعياله في كلّ سنة ما يكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء.

قال: وذكر ٱبن النّطاح عن عبد الله بن مصعَب الزبيريّ قال: وفدنا إلى المهديّ ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلْنا عليه سلّمنا ودَعونا وأثنينا، فلما فَرغنا من كلامنا أقبلَ على ٱبن المولَى فقال: هاتِ يا محمّد ما قلتَ، فأنشده:

صوت

[مجزوء الكامل]

نَادَى الأحِبَّةُ باحْتِمالِ ... إنَّ المُقِيمَ إلى زَوالِ
رَدَّ القِيانُ عليهِمُ ... ذُلُلَ المَطِيِّ من الجِمالِ[٢]
فَتَحَمَّلُوا بِعَقِيلَةٍ ... زَهْراءَ آنِسَةِ الدَّلالِ[٣]
كالشَّمْسِ راقَ جَمالُها ... بينَ النّساءِ على الجَمالِ
لمّا رَأيْتُ جِمالَهُمْ ... في الآلِ تَغْرَقُ بالّلآلي
يا لَيْتَ ذلكَ بَعْدَ أنْ ... أظْهَرْتَ أنَّكَ لا تُبالِي
وَلِمِثْلِ ما جَرَّبْتَ مِنْ ... إخْلافِهِنَّ لِذِي الوِصالِ
أسْلاكَ عَنْ طَلَبِ الصِّبا ... وأَخُو الصِّبا لا بُدّ سالي
يابْنَ الأطايِبِ للأطا ... يِبِ ذا المَكارم والمَعالي
وأبْنَ الهُداةِ بَنِي الهدا ... ةِ وكاشِفِي ظُلَمِ الضّلالِ
أصْبَحْتَ أكْرَمَ غالِبٍ ... عِندَ التّفاخُرِ والنِّضالِ
وَإذا تُحَصِّلُ هاشِمٌ ... يَعْلُو بِمَجْدِكَ كلُّ عالي
وَيكونُ بَيْتُكَ مِنْهُمُ ... في الشّاهِقاتِ من القِلالِ[٤]
هٰذا وأنْتَ ثِمالُها ... وأبْنُ الثّمال أخُو الثِّمالِ[٥]
وَمآلُها بأمُورِها ... إنّ الأمُورَ إلى مَآلِ

قال: فأمر له خاصّةً بعشرة آلاف درهم معجّلة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد

---

(١) الجاري: الجراية، وهي الرزق المقدر.
(٢) القيان: جمع قين وهو العبد، أو جمع قينة وهي الجارية.
(٣) العقيلة: السيدة المخدّرة المصونة.
(٤) القلال: جمع قُلّة، وهي من كل شيء أعلاه.
(٥) الثمال: الغياث، الملجأ.

ذلك في الجائزة وأعطاه مثلَ ما أعطاهم، وقال: ذلك بحقّ المديح، وهذا بحقّ الوِفادة.

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفِيّ أبو أحمد وعمّي قالا: حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنزيّ قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال: حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال: قدِم عبدُ الملك بن مروان المدينة، وكان ٱبن المولى يُكْثر مدحَه، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا ٱلتقيا ـ قال: وٱبن المولى مولى الأنصار ـ فلما قدم عبدُ الملك المدينة قدِم ٱبنُ المولى، لما بلغَه من مسألة عبد الملك عنه، فوَرَدها وقد رحَل عبد الملك عنها، فأتْبعه فأدركه بإِضَمَ بذي خُشُب[1] بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعاً لمروان، فالتفت عبدُ الملك إليه وٱبنُ المولى على نجيبٍ مُتَنكّباً قوساً عربيّةً، فقال له عبد الملك: ٱبنُ المولى؟ قال: لبَّيْك يا أمير المؤمنين، قال: مرحباً بمن نالنا شكرُه ولم يَنَلْه منا فعلٌ، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها: [الطويل]

وأبْكِي فلا لَيْلَى بَكَتْ من صَبابةٍ إليّ ولا لَيْلَى لِذي الوُدّ تَبْذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرّةً لأُزوِّجَنَّكها، ولئن كانت أمَةً لأبتاعنّها لك بما بلغَتْ، فقال: كلا يا أمير المؤمنين، والله ما كنتُ لأَذْكُر حُرْمَة حُرّ أبداً ولا أمتَه، والله ما ليلى إلا قوسي هذه، سمّيتها ليلى لأُشبِّب بها، وإن الشاعر لا يُسْتَطاب إذا لم يَتشبّب؛ فقال له عبد الملك: ذلك والله أظرف لك، فأقام عنده يومه وليلتَه يُنشده ويُسامره ثم أمر له بمال وكسوة، وٱنصرف إلى المدينة.

أخبرني حَبيب المهلّبيّ عن الزُّبير وغيره عن محمد بن فَضَالة النحويّ قال: قدِم ٱبنُ المولى البَصرةَ، فأتى جعفرَ بن سليمان فوقَف على طريقه وقد ركب فناداه:

كم صارخٍ يَدْعُو وذي فاقةٍ يا جَعْفَرَ الخَيْراتِ يا جَعْفَرُ
أنْتَ الَّذي أحْيَيتَ بَذْلَ النَّدَى وكانَ قد ماتَ فلا يُذْكَرُ
سَلِيلُ عبّاسٍ وَلِيِّ الهدى وَمَنْ بِهِ في المَحْلِ يُسْتَمْطَرُ
هٰذا ٱمتداحِيكَ عقيدَ النَّدَى أشْهَدُ بِالمَجْدِ لكَ الأشْقَرُ[2]

---

(١) ذو خشب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة. (معجم البلدان ٢/ ٣٧٢).

(٢) عقيد الندى: حليف الكريم، الكريم.

أخبارُ عَطَرَّد ونسبُه

[اسمه ونسبه وولاؤه]

عَطَرّد مولَى الأنصار، ثم مولى بني عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مُزَيْنَة، مَدَنيٌّ، يكنى أبا هارون، وكان ينزل قُبَاء. وزعم إسحاق أنه كان جميلَ الوجه، حسنَ الغناء، طيّبَ الصوت، جيّدَ الصَّنْعة، حسنَ الرأي والمروءة، فقيهاً، قارئاً للقرآن، وكان يغنّي مرتجلاً، وأدرك دولةَ بني أميّة، وبقي إلى أيام الرشيد، وذكر ابن خُرْداذْبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه: أنه كان مُعَدَّل الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجم عن أبي أيّوب المدينيّ عن إسحاق.

[غناؤه]

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه: أن سلَمة بن عبّاد وَلِي القضاءَ بالبَصْرة، فقصد أبنُه عَبّادُ بن سَلَمة عطرَّداً وهو بها مقيم قد قصد آلَ سليمان بن عليّ وأقام معهم، فأتى بابَه ليلاً فدقّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحابه أصحابِ القَلانس، فخرج عطرَّد إليه، فلما رآه ومن معه فزع؛ فقال: لا تُرَعْ[1].

[الكامل]

إنِّي قَصَدْتُ إليكَ مِنْ أهْلِي ... في حاجَةٍ يأتِي لها مثْلي

فقال: وما هي أصلحك الله؟ قال:

لا طالباً شيئاً إليكَ سِوَى ... «حيِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ»[2]

فقال: انزلوا على بركة الله، فلم يزل يغنّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا.

---

(١) لا ترع: لا تخف.

(٢) العزل: ماء بين البصرة واليمامة. (معجم البلدان ٤/ ١١٩).

نسبة هذا الصوت

صوت

[الكامل]

حيِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ إذ لا يوافِقُ شَكْلُها شَكْلِي
اللّهُ أنْجَحُ ما طَلَبْتَ بِهِ وَالبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ
إنّي بِحَبْلِكَ واصِلٌ حَبْلِي وَبِرِيشِ نَبْلِكَ رائِشٌ نَبْلِي
وَشَمائِلِي ما قَدْ عَلِمْتَ وما نَبَحَتْ كِلابُكَ طارِقاً مِثْلِي

الشعر لامرىء القيس بن عابِس الكِنْديّ، هكذا روى أبو عمرو الشَّيْبانِيّ، وقال: إن من يرويه لامرىء القيس بن حُجْر يغلَط. والغِناء لعطرَّد ثقيلٌ أوّل بالبِنصر عن عمرو بن بانة، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايته أيضاً، وفيه لابن عائشةَ خفيفُ رملٍ بالبِنْصر، وفيه عنه وعن دنانيرَ لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، وفيه عنه أيضاً لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالبِنصر.

وأخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال: كتب إليّ أبو أيّوب المَدينيّ، وخبرُه أتمّ، قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيطيّ قال: دخلت على المهديّ، وقد كان وُصِف له غِنائي، فسألني عن الغناء وعن علمي به، فَنَسَبْتُهُ من ذلك طَرَفاً، فقال لي: أتُغنِّي النواقيس[1]؟ قلت: نعم، وأغنِّي الصُّلْبان يا أمير المؤمنين، فتبسّم، والنواقيسُ لحن مَعْبد. كان معبد وأهلُ الحجاز يسمونه النواقيس، وهو: [الطويل]

سَلاَ دارَ لَيْلَى هَلْ تُبِينُ فتَنْطِقُ وأنَّى تَرُدُّ القَوْل بَيْداءُ سَمْلَقُ

قال: ثم قال لي المهديّ وهو يضحك: غنِّه، فغنّيته فأمر لي بمالٍ جزيلٍ وخلَع عليّ وصرفني، ثم بَلغني أنه قال: هذا مُعَيْطِيٌّ وأنا لا آنَسُ به، ولا حاجةَ لي إلى أن أُدْنِيَه من خَلْوتي وأنا لا آنسُ به. هكذا ذُكِرَ في هذا الخبر أن اللّحنَ لمعبد، وما ذكره أحدٌ من رُوَاة الغِناء له، ولا وُجِد في ديوانٍ من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به ولا شِرْكة فيه، ولعلّه غلط.

وقد أخبرني هذا الخبر الحَرمِيُّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار قال: كان إبراهيم بن المُعَيْطِيّ يغنّي، فدخل يوماً الحمّامَ وابنُ جامع فيه، وكان له

---

(١) النواقيس: في الأصل الأجراس.

شيءٌ يجاوز ركبتيه، فقال له ٱبنُ جامع: يا إبراهيم أتَبِيع هذا البغلَ؟ قال: لا بل أحمِلك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خرج ٱبنُ جامع من الحمّام رأى ثياب المُعَيْطِيّ رثّةً فأمر له بخِلْعةٍ من ثيابه، فقال له المعيطيّ: لو قبِلتَ حُمْلانِي قبلتُ خِلْعَتك، فضَحِكَ ٱبن جامع وقال له: ما لك أخزاك الله! ويلك! أمَا تَدَع ولَعَك وبِطالتَك وشرَّك! ودخل إلى الرشيد فحدثه حديثَه؛ فضحك وأمر بإحضاره، فأُحْضِر، فقال له: أتغنّي النواقيس؟ قال: نعم، وأُغنّي الصلبان أيضاً. ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ الذي تقدّمه.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال:

كان عطرَّد منقطعاً في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يَخْدِمْ غيرَهم، وتُوُفِّي في خلافة المهديّ. قال: وكان يوماً يغنّي بين يدَيْ سليمان بن عليّ، فغنّاه:

صوت

[السريع]

أَلْهُ فَكَمْ من ماجِدٍ قَدْ لَها ... وَمِنْ كريمٍ عِرْضُهُ وافِرُ

ـ الغناء لعَطَرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ ـ فقيل له: سرَقت هذا من لحن الغريض:

يا رَبْعَ سلاَّمَةَ بالمُنْحَنى ... فَخَيْفِ سَلْعٍ جادَكَ الوابِلُ[1]

فقال: لم أسْرِقه ولكنَّ العقولَ تتوافَق، وحلَف أنه لم يسمعه قطّ.

نسبة هذا الصوت

صوت

[السريع]

يا رَبْعَ سلاَّمَةَ بالمُنْحَنَى ... فَخَيْفِ سَلْعٍ جادَكَ الوابِلُ

إن تُمْسِ وَحْشاً طالما قد تُرَى ... وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهِمْ آهِلُ

(١) الخيف: الناحية، أو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. وسلع اسم لمواضع كثيرة. انظر (معجم البلدان ٣/٢٣٦) والوابل: المطر الشديد.

أيـــامَ سَـــلاَّمَــةُ رُعْـبُــوبَــةٌ خَــوْدٌ لَـعُـوبٌ حـبُّـهـا قـاتِـلُ[١]
مَـخْطُوطَـةُ الـمَـتْـنِ هَـضِيـمُ الحَشى لا يَـطَّـبِـيـهـا الـوَرَعُ الـواغِـلُ[٢]

الغِناء للغَريض ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ. قال: ومن الناس من ينسُبه إلى ٱبن سريج.

[حبسه وإطلاقه]

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال: سمِعت جدّي عليّ بن يحيى قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال: حدّثني خالد بن كلثوم قال: كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، فأمر بأصحاب الملاهي فحُبِسوا وحُبِس عطَرّد وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمُروءة والنّعمة والدِّين، فدعا به فخلّى سبيلَه، وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له، وخرج فإذا هو بالمغنّين أُحضِرُوا ليُعْرضوا، فعاد إليه عطرّد، فقال: أصلح الله الأمير، أعلَى الغِناء حبست هؤلاء؟ قال: نعم؛ قال: فلا تَظْلِمهم، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قط! فضحِك وخلّى سبيلَهم.

[بينه وبين الوليد بن يزيد]

أخبرني محمد بن مَزْيَد وجَحْظَةُ قالا: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيّوب بن إسماعيل قال: لما ٱستُخلِف الوليدُ بن يزيدَ كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرَّد المغنّي؛ قال عطرّدٌ: فأقرأني العاملُ الكتابَ وزوّدني نفقةً وأشخصني إليه، فأُدخِلتُ عليه وهو جالسٌ في قصره على شَفِير[٣] بِركةٍ مرصّصةٍ مملوءةٍ خمراً ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سِباحةً، فوالله ما تركني أسلِّم عليه حتى قال: أعَطرَّد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ قال: لقد كنتُ إليك مشتاقاً يا أبا هارون. غنّني:

---

(١) الرعبوبة: الفتاة الناعمة.

(٢) يطبيها: يستميلها. والورع: الجبان الضعيف. والواغل: الداخل مع القوم في طعامهم وشرابهم من غير دعوة.

(٣) الشفير: الجانب، والحرف، والناحية.

[الكامل]

حَيِّ الحُمُولَ بجانِبِ العَزْلِ ... إذ لا يلائم شَكْلُها شَكْلي
إنِّي بِحَبْلِكِ واصِلٌ حَبْلي ... وَبِريشِ نَبْلِكِ رائِشٌ نَبْلي
وَشَمائِلي ما قد عَلِمْتِ وما ... نَبَحَتْ كِلابُكِ طارِقاً مِثْلي

قال: فغنّيتُه إيّاه، فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلّة وَشْي كانت عليه لا أدري كم قيمتها، فتجرّد منها كما ولدته أُمُّه وألقاها نِصْفَيْن، ورمى بنفسه في البركَة فنَهِل منها حتى تبيّنتُ ـ عَلِم اللهُ ـ فيها أنها قد نَقَصَت نُقصاناً بَيّناً، وأُخرِجَ منها وهو كالميّت سُكراً، فأُضجعَ وغُطّيَ، فأخذتُ الحُلّةَ وقمتُ، فوالله ما قال لي أحدٌ: دَعْها ولا خُذْها، فانصرفتُ إلى منزلي متعجّباً مما رأيتُ من ظَرْفه وفعله وطَرَبه، فلما كان من غَدٍ جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني، فلما دخلتُ عليه قال لي: يا عطرّد، قلت: لَبّيك يا أمير المؤمنين؛ قال غنّني: [الطويل]

أيَذْهَبُ عُمْري هٰكَذا لم أَنَلْ بها ... مَجالسَ تَشفِي قَرْحَ قلبي من الوَجْدِ
وقالوا تَداوَ إنَّ في الطِّبِّ راحَةً ... فَعَلَّلْتُ نَفْسِي بالدواءِ فَلَمْ يُجْدِ

فغنّيته إيّاه، فشقّ حلّةَ وشْي كانت تَلْتَمِع عليه بالذهب ٱلتماعاً ٱحتقرتُ والله الأولى عندها، ثم ألقى نفسَه في البركة فنهِل فيها حتى تبيّنتُ ـ علم الله ـ نقصانَها، وأُخرجَ منها كالميّت سكراً، وأُلقِيَ وغُطّيَ فنام، وأخذتُ الحلّة فوالله ما قال لي أحد: دعها ولا خذها وٱنصرفتُ؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسولُه فدخلتُ إليه وهو في بهْوٍ قد أُلقيت سُتُورُه، فكلّمني من وراء الستور وقال: يا عطرّد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: كأني بك الآن قد أتيتَ المدينةَ فقمتَ بي في مجلسها ومَحْفلِها وقعدتَ وقلتَ: دعاني أمير المؤمنين فدخلتُ إليه فاقترح عليَّ فغنّيتُه وأطربتُه فشقّ ثيابَه وأخذتُ سَلَبَه وفعلَ وفعل، واللهِ يابن ٱلزانية، لئن تحرّكتْ شَفَتاك بشيء مما جرى فبلَغني لأضْرِبَنّ عنقك، يا غلام أعْطِه ألفَ دينار، خُذْها وٱنصرف إلى المدينة؛ فقلت: إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في تقبيل يده، ويزوِّدَني نظرةً منه وأُغنّيَهُ صوتاً! فقال: لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك، فانصرِفْ. قال عطرّد: فخرجتُ من عنده وما علم الله أني ذكرتُ شيئاً مما جَرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة.

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأوّل ممّا غنّاه عطرّد الوليدَ قد نُسِب في أوّل أخباره، والثاني الذي أوّله:

* أيذهبُ عُمْرِي هٰكَذا لم أنَلْ بها *

الغِناء فيه لعطرّد ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ليونس من كتابه لَحنٌ لم يَذكُر طريقتَه؛ وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى.

صوت

من المائة المختارة

[الكامل]

إن امرأً تَعْتَادُه ذِكَرٌ ... منها ثَلاثُ مِنًى لَذو صَبْرِ

وَمَواقِفٌ بالمَشْعَرَيْنِ لها ... وَمَناظِرُ الجَمَراتِ والنَّحْرِ[1]

وَإفاضَةُ الرُّكبانِ خَلْفَهُمُ ... مِثْلُ الغَمامِ أرَذَّ بالقَطْرِ[2]

حَتَّى اسْتَلَمْنَ الرّكْنَ في أُنُفٍ ... مِنْ لَيْلِهِنَّ بَطَأنَ في الأُزْرِ[3]

يَقْعُدن في التَّطْوافِ آونَةً ... ويَطُفْنَ أحياناً على فَتْرِ[4]

فَفَرَغْنَ مِنْ سَبْعٍ وَقَدْ جُهِدتْ ... أحْشاؤهُنَّ مَوائِلَ الخُمْرِ

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ، والغِناء في اللحن المختار للأَبْجَر، وإيقاعُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مَجرَى البِنصر في الأوّل والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق. وفيه للغريض خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج في الثالث والرابع رمَلٌ بالسبّابة في مَجْرَى البنصر عن إسحاق.

---

(١) المشعر: موضع مناسك الحج. والجمرات: الحصيات التي يرمى بها في الحج.

(٢) أرذّ: أمطر الرذاذ: والرذاذ: المطر الخفيف.

(٣) الأنف: أول الزمان المستقبل. والأزر: جمع إزار.

(٤) الفتر: الفتور.

أخبار الحارث بن خالد المَخْزوميّ ونسبه

[توفي نحو ٨٠ هـ ـ ٧٠٠ م]

[اسمه ونسبه]

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزوم ابن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وأمّه فاطمةُ بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأمُّها بنت أبي جهل بن هشام. وكان العاص بن هشام جَدُّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فقتله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

[ما جرى بين أبي لهب والعاص بن هشام]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: حدّثني مُصْعَب بن عبد الله قال: قامَر أبو لَهَب العاصَ بن هشام في عَشْرٍ من الإبل فقَمَره[1] أبو لهب، ثم في عشرٍ فقَمعره، ثم في عشرٍ فقَمَره، ثم في عشر فقَمَره، ثم في عشرٍ فقَمَره، إلى أن خلعه من ماله فلم يَبْق له شيءٌ، فقال له: إني أرى القداحَ قد حالفتْك يابن عبد المطّلب فهلمّ أُقَامِرْك، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لصاحبه، قال: أفعل، ففَعل، فقمَره أبو لهب فكرِه أن يسترقّه فتَغْضَبَ بنو مخزوم، فمشى إليهم وقال: أفتَدُوه منّي بعشرٍ من الإبل؛ فقالوا: لا والله ولا بوَبَرة، فاسترقّه فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر. وقال غيرُ مُصْعَب: فاسترقه وأجلسه قَيْناً[2] يعمَل الحديدَ. فلما خرج المشركون إلى بدر كان مَنْ لم يَخرُج أخرَج بديلاً، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ.

---

(١) قمره: غلبه في القمار.

(٢) القين: الحداد.

[شاعر الغزل]

والحارث بن خالد أحدُ شعراء قريش المعدودين الغَزَلِيِّين، وكان يذهب مَذْهبَ عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء، وكان يهوَى عائشةَ بنت طلحةَ بن عبيد الله ويشبِّب بها؛ وولاّه عبدُ الملك بن مروان مكّةَ، وكان ذا قَدْرٍ وخَطَرٍ ومنظَرٍ في قريش؛ وأخوه عِكْرِمَةُ بن خالد المخزوميّ محدِّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين، قد رَوى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضاً أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعرٌ، وهو الذي يقول: [الكامل]

رَحَلَ الشَّبابُ وَلَيتَهُ لم يَرْحَلِ ... وَغَدا لِطِيَّةِ ذاهِبٍ مُتَحَمِّلِ[1]
وَلّى بلا ذَمٍّ وَغادَرَ بَعْدَهُ ... شَيْباً أقام مكانَهُ في المَنزِلِ
لَيتَ الشَّبابَ ثَوَى لَدَيْنا حِقْبَةً ... قَبْلَ المَشِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْجَلِ[2]
فَنُصِيبَ مِنْ لَذّاتِهِ وَنَعِيمِهِ ... كالعَهْدِ إذ هُوَ في الزَّمانِ الأوَّلِ

وفيه غِناء. حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا الرياشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: قال مُعاذ بن العَلاء أخو أبي عمرو بن العلاء: كان أبو عمرو إذا لم يَحُجّ آستَبْضَعني الحروف[3] أسأل عنها الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتِيه بجوابها؛ قال: فقَدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولاّه عبدُ الله بن مروان مكةَ، فلما رآني قال: يا مُعاذ، هاتِ ما معك من بضائع أبي عمرو، فجعلتُ أعجَب من آهتمامه بذلك وهو أمير.

[مكانته في الشعر ورأي الشعراء والأدباء والناس فيه]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير، ولفظُه أتمّ، قال: حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال: كانت العرب تُفَضّل قريشاً في كلّ شيء إلا الشعر، فلما نَجَمَ[4] في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعَرْجِيّ وأبو دَهْبَل وعبيد الله بن قيس الرّقَيّات، أقرّت لها العربُ بالشعر أيضاً.

---

(١) الطية: النية، والقصد. والمتحمل: الراحل.
(٢) ثوى: أقام.
(٣) استبضعني الحروف: حمّلني إياها وجعلها بضاعتي. والحروف: الكلمات هنا.
(٤) نجم: ظهر ونبغ ولمع نجمه.

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم وإسماعيل بن يونس وحَبيب بن نصر وأحمد ابن عبد العزيز قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني محمد بن يحيى أبو غَسّان قال: تفاخَر مَوْلًى لعمر بن أبي ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشِعريْهما، فقال مولَى الحارث لمولَى عمر: دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرِف المنازلَ إذا قُلِبت، يعني قول الحارث: [الكامل]

إنّـي ومـا نَـحَـرُوا غَـداةَ مِـنًـى ... عِـنْـدَ الـجِـمـار تَـؤُودهـا الـعُـقُـلُ[١]
لَـوْ بُـدِّلـتْ أعْـلَـى مَـسَـاكِـنِـهـا ... سُـفْـلاً وَأصْـبَـحَ سُـفْـلُـهـا يَـعْـلُـو
فَـيـكـادُ يَـعْـرِفُـهـا الـخَـبِـيـرُ بـهـا ... فَـيَـرُدُّهُ الإقْـواءُ والـمَـحْـلُ[٢]
لَـعَـرَفْـتُ مَـغْـنـاهـا بـمـا ٱحـتَـمَـلـتْ ... مِـنّـي الـضُّـلُـوعُ لأهْـلِـهـا قَـبْـلُ[٣]

ـ قال عمر بن شبّة: وحدّثني محمد بن سلاّم بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان، وزاد فيه: ـ فقال مولَى ابن أبي ربيعة لمولَى الحارث: والله ما يُحسِنُ مولاك في شعرٍ إلا نُسِب إلى مولاي. قال ٱبن سلاّم: وأنشَد الحارثُ بن خالد عبدَ الله بن عمرَ هذه الأبيات كلّها حتى ٱنتهى إلى قوله: [الكامل]

لَـعَـرَفْـتُ مـغـنـاهـا بـمـا ٱحْـتَـمَـلَـتْ ... مِـنّـي الـضُّـلُـوعُ لأهْـلِـهـا قَـبْـلُ

فقال له ٱبنُ عمر: قُلْ: إن شاء الله؛ قال: إذاً يَفْسُد بها الشعرُ يا عَمّ فقال له: يابن أخي، إنه لا خيرَ في شيء يُفسِدُه «إن شاء الله». قال عمر: وحدّثني هذه الحكايةَ إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحدٍ، وأظنّه لم يَرْوِها إلا عن محمد بن سلاّم. وأخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان عن أبي الفضل المَرْوَرُّوذِيّ عن إسحاق عن أبي عُبَيْدة، فذكر قصّةَ الحارث مع ٱبن عمر مثلَ الذي تقدّمه.

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال: حدّثنا الرِّياشيّ قال: حدّثني أبو سَلَمَةَ الغِفَاريّ عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَيْنَة عن أبيه قال: كان كُثَيِّرٌ جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مرّ بهم سعيدُ الراس، وكان مُغَنّياً، فقالوا لكثيّر: يا أبا صخر، هل لك أن نُسمِعك غناء هذا، فإنه مُجيد؟ قال: ٱفعلوا؛ فدعَوْا به فسألوه أن يغنّيَهم:

---

(١) تؤودها: تثقلها.
(٢) أقوت الدار إقواء: أقفرت، خلت.
(٣) المغنى: المنزل وجمعه: المغاني.

صوت

[الكامل]

هَـلاَّ سـأَلْـتَ مـعـالِـمَ الأطـلالِ ... بـالـجِـزْعِ مـن حُـرُضٍ وَهُـنَّ بَـوَالِـي[١]

سَـقْـيـاً لِـعَـزَّةَ خُـلَّـتـي سَـقْـيـاً لـهـا ... إذ نَـحْـنُ بـالـهَـضَـبـاتِ مـن أمْـلالِ[٢]

إذ لا تُـكَـلِّـمُـنـا وكـانَ كـلامُـهـا ... نَـفَـلاً نُـؤمِّـلُـهُ مِـنَ الأَنْـفـالِ[٣]

فغنّاه، فطرِب كثيّر وأرتاح، وطرِب القومُ جميعاً، وأستحسنوا قولَ كثيّر، وقالوا له: يا أبا صَخْر مَا يستطيع أحدٌ أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول:

صوت

إنِّـي ومـا نَـحَـروا غَـداةَ مِـنًـى ... عـنـدَ الـجِـمـارِ تَـؤودُهـا الـعُـقُـلُ

لَـوْ بُـدِّلَـتْ أعْـلَـى مَـسـاكِـنِـهـا ... سُـفْـلاً وأصْـبَـحَ سُـفْـلُـهـا يَـعْـلُـو

لَـعَـرَفْـتُ مَـغـنـاهـا بـمـا ٱحْـتَـمَـلَـتْ ... مِـنِّـي الـضُّـلُـوعُ لأهْـلِـهـا قَـبْـلُ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كُثَيِّر الأَوَّل

التي أوّلها:

* هـلاّ سـألـتَ مَـعـالِـمَ الأطـلال *

لابن سُرَيْج منها في الثاني والثالث رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ مطلَقٌ في مجرى البنصر عنه. وفيهما لعَلُّويه رمَل بالوسطى عن عمرو. وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلّي رمَل بالسبّابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق أيضاً.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرَانِيّ قال: حدّثنا الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال: دخل أَشْعَبُ مسجدَ النبيﷺ فجعل يطوف الحِلَق، فقيل له: ما تريد؟ فقال: أَسْتَفْتي في مسألة؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير

---

(١) حُرُض: واد عند أحد. (معجم البلدان ٢/ ٢٤٢).

(٢) أملال: موضع على طريق المدينة إلى مكة. (معجم البلدان ١/ ٢٥٥).

(٣) النفل: الغنيمة.

وهو مُسْنَدٌ إلى سارية[١] وبين يديه رجلٌ عَلَويّ، فخرج أشعب مبادراً؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتَطْوافه: أَوَجدتَ من أفتاك في مسألتك؟ قال: لا، ولكني علِمتُ ما هو خير لي منها؛ قال: وما ذاك؟ قال: وجدتُ المدينةَ قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قد بُدّلتْ أعْلَى مَساكنِها ... سُفْلاً وأصْبَحَ سُفْلُها يَعْلُو

رأيتُ رجلاً من ولد الزبير جالساً في الصدر، ورجلاً من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه، فكفى بهذا عَجَباً، فانصرفت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرني هذا الخبرَ إسماعيلُ بن يونس الشِّيعيّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا محمد ابن يحيى أبو غسّان، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا أبو عبد الله بن محمد بن حَفْص عن أبيه قال: قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيوب سليمان بن أيوب المدينيّ قال: حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيريّ، وأخبرني به أيضاً الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي، وقد جمعتُ رواياتهم في هذا الخبر: أنّ بني مَخزوم كلّهم كانوا زُبَيْرِيّة سوى الحارث بن خالد فإنه كان مَرْوَانياً.

[عبد الملك يوليه مكة]

فلما ولِي عبدُ الملك الخلافةَ عامَ الجماعة وفدَ عليه في دَيْن كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين؛ وقال مُصْعَب في خبره: بل حجّ عبدُ الملك في تلك السنة فلما انصرف رحَل معه الحارثُ إلى دِمَشق، فظهرت له منه جَفْوة، وأقام ببابه شهراً لا يَصِل إليه، فانصرف عنه وقال فيه: [الطويل]

صَحِبتُكَ إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ ... فلما انجَلَتْ قَطّعْتُ نفسي ألومُها
وما بي وإنْ أقصيْتَني من ضَراعةٍ ... ولا افْتَقَرَتْ نَفْسِي إلى من يَضِيمُها[٢]

هذا البيت في رواية ابن المَرْزُبان وحده:

عَطَفتُ عليك النفسَ حتى كأنما ... بكفّيْكَ بؤسِي أو عليك نعيمُها

(١) السارية: العمود.
(٢) يضيمها: يظلمها.

وبلغ عبدَ الملك خبرُه وأُنْشِد الشعرَ، فأرسلَ إليه مَنْ رَدّه من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حَارِ[١]، أخبِرْني عنك: هل رأيتَ عليك في المُقام ببابي غَضَاضةً[٢] أو في قصدي دناءةً؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين؛ قال: فما حَملك على ما قلتَ وفعلتَ؟ قال: جفوةٌ ظهرتْ لي، كنتُ حقيقاً[٣] بغير هذا، قال: فاختَرْ، فإن شئتَ أعطيتُك مائة ألف درهم، أو قضيتُ دَيْنَك، أو ولّيتُك مكّةَ سنةً، فولاّه إياها، فحجَّ بالناس وحجَّت عائشةُ بنت طَلْحة عَامَئذٍ، وكان يهواها، فأرسلتْ إليه: أَخِّر الصلاةَ حتى أَفرُغَ من طَوافي، فأمَر المؤذِّنين فأخّروا الصلاة حتى فرَغتْ من طَوافها، ثم أُقِيمت الصلاةُ فصلّى بالناس، وأنكر أهلُ المَوْسم ذلك من فعله وأعظَموه، فعزَله وكتب إليه يؤنّبه فيما فعل؛ فقال: ما أهونَ واللهِ غضبَه إذا رَضِيَتْ والله لو لم تفرغْ من طوافها إلى الليل لأخّرتُ الصلاةَ إلى الليل. فلمّا قَضَتْ حَجّها أرسَل إليها: يابنة عمّي أَلِمِّي بنا أو عِدِينا مجلِساً نتحدّث فيه؛ فقالت: في غَدٍ أفعلُ ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارث فيها:

صوت

[الكامل]

مـا ضـرّكـم لَـوْ قُـلْـتُـمُ سَـدَداً ... إنّ الـمَـطـايـا عـاجِـلٌ غَـدُهـا
وَلَـهـا عَـلَـيْـنـا نِـعْـمَـةٌ سَـلَـفَـتْ ... لَـسْـنـا عـلـى الأيـامِ نَـجْـحَـدُهـا
لَـوْ تَـمَّـمَـتْ أَسْـبـابَ نِـعْـمَـتِـهـا ... تَـمَّـتْ بِـذلـكَ عـنـدنـا يَـدُهـا

لِمعْبَد في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودَنَانِيرَ، وقد ذكره إسحاق فنَسبه إلى ابن محرز ثقيلاً أوّل في أصوات قليلة الأشباه؛ وقال عمرو بن بانة: من الناس من نسبه إلى الغريض.

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

[الطويل]

ومـا بـي وَإنْ أَقْـصَـيْـتَـنِـي مِـنْ ضَـراعَـةٍ ... ولا ٱفْـتَـقَـرَتْ نَـفْـسِـي إلـى مـن يُـهـيـنُـهـا

---

(١) حارِ: يا حارث. منادى مرخم.
(٢) غضاضة: انتقاص، ذلة.
(٣) حقيقاً: جديراً.

بَلَى بأَبِي إنّي إليكَ لضارعٌ فَقِيرٌ وَنَفْسِي ذاكَ منها يَزِينُها

البيتُ الأوّل للحارث بن خالد، والثاني أُلْحِق به. والغِناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ، وذكر الهشاميّ أن لحن الغريض خفيفُ ثقيلٍ في البيت الأوّل فقط، وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله:

* ولا أفتقرت نفسي إلى من يَضيمها *

وأن الثقيل الأوّل لعُلَيّة بنت المهديّ، ومن غنائها البيتُ المضاف. وأَخْلِقْ بأن يكون الأمرُ على ما ذكره، لأن البيت الثانيَ ضعيفٌ يُشبه شِعرَها.

[غزله بنساء عصره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى قال: لما تزوّج مُصْعَب بن الزبير عائشةَ بنت طلحة ورحَل بها إلى العراق، قال الحارث بن خالد في ذلك:

صوت [الكامل]

ظَعَنَ الأميرُ بأحْسَنِ الخَلْقِ وَغَدا بِلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
في البيت ذي الحَسَبِ الرفيع ومِن أَهْلِ التُّقَى والبِرِّ والصِّدْقِ
فظَلِلْتُ كالمَقْهورِ مُهْجَتُهُ هٰذا الجُنُونُ وَلَيْسَ بالعِشْقِ
أَتْرُجَّةٌ عَبِقَ العَبِيرُ بها عَبَقَ الدِّهانِ بجانبِ الحُقِّ
ما صَبَّحَتْ أَحَداً برؤيتها إلا غدا بكواكبِ الطَّلْقِ

وهي أبيات، غنّى ٱبن مُحرز في البيتين الأوّلين خفيف رمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أن فيها لمالك ثقيلاً بالوسطى، وذكر حَبَش أن فيهما لمالك رملاً بالوسطى، وذكر حبش أيضاً أن فيهما لِلدّلاَل ثانيَ ثقيل بالبنصر، ولابن سُرَيج ومالك رَمَلَيْن، ولسعيد بن جابر هَزَجاً بالوسطى.

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن ابن جعدبة قال: لما أن قدِمتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أميرٌ على مكة: إني أريد السلامَ عليكِ، فإذا خفّ عليكِ أَذِنْتِ، وكان الرسولُ الغريضَ، فقالت له: إنّا حُرُم، فإذا أحلَلْنا

أذِنّاك، فلما أحَلّت سَرَتْ على بَغَلاتها، ولَحِقَها الغَريضُ بعُسفان[1] أو قريبٍ منه، ومعه كتاب الحارث إليها:

* مـا ضَـرّكـم لـو قـلـتُـمْ سَـدَداً *

- الأبيات المذكورة -؛ فلما قرأتِ الكتابَ قالت: ما يَدَعُ الحارث باطلَه! ثم قالت للغريض: هل أحدثْتَ شيئاً؟ قال: نعم، فاسمعي، ثم اندفع يغنّي في هذا الشعر؛ فقالت عائشة: والله ما قلنا إلا سَدَداً، ولا أردنا إلا أن نشتريَ لسانَهُ؛ وأتى على الشعر كلّه، فاستحسنته عائشة، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب، وقالت: زِدْني، فغنّاها في قول الحارث بن خالد أيضاً:

زَعَـمُـوا بـأنَّ الـبَـيْـنَ بَـعْـدَ غَـدٍ ... فَـالْـقَـلْـبُ مِـمَّـا أَحْـدَثـوا يَـجِـفُ[2]

وَالـعَـيْـنُ مُـنْـذُ أُجِـدَّ بَـيْـنُـهُـمُ ... مِـثْـلُ الـجُـمـانِ دُمـوعُـهـا تَـكِـفُ[3]

ومـقـالُـهـا وَدُمُـوعُـهـا سُـجُـمٌ ... أَقْـلِـلْ حَـنِـيـنَـكَ حـيـنَ تَـنْـصَـرِفُ[4]

تَـشْـكُـو وَنَـشْـكُـو مـا أَشَـتَّ بِـنـا ... كُـلٌّ بِـوَشْـكِ الـبَـيْـنِ مُـعْـتَـرِفُ[5]

- إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ، ولم يذكر له حمادٌ طريقاً - قال: فقالت له عائشة: يا غريض، بحقّي عليك أهو أَمَرَكَ أن تغنِّيَني في هذا الشعر؟ فقال: لا، وحياتِك يا سيدتي! فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت له: غَنّني في شعرِ غيره؛ فغنّاها قولَ عمر فيها:

صوت

[الخفيف]

أَجْـمَـعَـتْ خُـلَّـتِـي مَـعَ الـفَـجْـرِ بَـيْـنـا ... جَـلَّـلَ اللهُ ذلـكَ الـوَجْـهَ زَيْـنـا

أَجْـمَـعَـتْ بـيـنَـهـا وَلَـمْ نَـكُ مـنـهـا ... لَـذَّةَ الـعَـيْـشِ وَالـشـبـابِ قَـضَـيْـنـا

فَـتَـوَلَّـتْ حُـمُـولُـهـا وٱسْـتَـقَـلَّـتْ ... لـم نَـنَـلْ طـائـلاً ولـم نُـقْـضَ دَيْـنـا

وَلَـقَـدْ قُـلْـتُ يَـوْمَ مَـكّـةَ لـمّـا ... أرْسَـلَـتْ تَـقْـرَأُ الـسَّـلامَ عَـلَـيْـنـا

---

(١) عسفان: قرية جامعة على بعد ٣٦ ميلاً من مكة، وهي حدّ تهامة. (معجم البلدان ٤/ ١٢١).

(٢) يجف: يخفق، يرتجف.

(٣) تكِفُ: تسيل.

(٤) سُجُم: سائلة بغزارة.

(٥) أشتّ بنا: فرق بيننا.

أنْـعَـمَ الـلّـهُ بـالـرّسُـولِ الّـذي أر سِـلَ والـمُـرسِـلِ الـرِّسـالـةَ عَـيْـنـا

ـ الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة، والغناءُ للغريض خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيرُه ينسبُه إلى ابن سريج. وفيه لمعبدٍ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وأظنه هذا اللحن ـ قال: فضحِكَتْ ثم قالت: وأنت يا غريض فأنْعَم اللهُ بك عيناً، وبابن أبي ربيعة عيناً، لقد تَلَطّفتَ حتى أدّيتَ إلينا رسالته، وإن وفاءَك له لممّا يَزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك. وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنّيَها هذا الصوتَ لأنه قد كان ترك ذِكرها لمّا غضِبت بنو تَيْم من ذلك، فلم يحبّ التصريحَ بها وكَرِه إغفالَ ذكرها؛ وقال له عمر: إن أبْلغتَها هذه الأبيات في غناء فلَكَ خمسةُ آلاف درهم، فوفَى له بذلك، وأمَرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أُخرى؛ ثم انصرف الغريضُ من عندها فلَقي عاتِكةَ بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجّت في تلك السنة، فقال لها جَواريها: هذا الغريضُ؛ فقالت لهنّ: عليَّ به، فجِيء به إليها. قال الغريض: فلما دخلتُ سلّمتُ فردّت عليّ وسألتني عن الخبر، فقَصَصْتُه عليها؛ فقالت: غنّني بما غنّيتَها به، ففعلتُ فلم أرها تَهِشّ لذلك، فغنّيتُها مُعرِّضاً لها ومذكِّراً بنفسي في شعر مُرّة بن مَحْكان السَّعْديّ يُخاطب امرأتَه وقد نَزل به أضيافٌ: [البسيط]

أقُـولُ والـضّـيْـفُ مَـخْـشِـيٌّ ذَمَـامَـتُـه على الكَريمِ وَحَقُّ الضّيْفِ قد وَجَبا[1]

صوت

يـا ربّـةَ الـبَـيْـتِ قُـومِـي غيـرَ صـاغِـرَةٍ ضُمّي إليك رِحالَ القَوْمِ والقِرَبا[2]

فـي لـيـلـةٍ مـن جُـمَـادَى ذاتِ أنـدِيَـةٍ لا يُبصر الكَلْبُ من ظَلْمائها الطُّنُبا[3]

لا يَـنْـبَـحُ الـكَـلْـبُ فـيـهـا غيـرَ واحِـدَةٍ حتّـى يَـلُـفَّ علـى خَيْشـومِـهِ الـذَّنَـبا

ـ الشعر لمُرّة بن مَحْكان السَّعْديّ، والغِناءُ لابن سريج. ذكر يونس أن فيه ثلاثةَ ألحان، فوجدتُ منها واحداً في كتاب عمرو بن بانة رَمَلاً بالوسطى، والآخرَ في كتاب الهِشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى، والآخر ثانيَ ثقيلٍ في كتاب أحمد بن

(١) الذمامة: الذمة، العهد.

(٢) القِرَب: جمع قربة، وهي ظرف من جلد يستعمل لحفظ الماء أو اللبن ونحوهما.

(٣) الأندية: جمع الندى، وهو الطلّ. والطنب: الحبال تشد بها الخيمة.

المكيّ ـ قال: فقالت وهي متبسّمة: قد وجَب حقّك يا غريض، فغنّني؛ فغنّيتها:

صوت [الكامل]

يـا دَهْـرُ قـد أكْـثَـرْتَ فَـجْـعَـتَـنـا ... بِـسَـراتِـنـا وَوَقَـرْتَ فـي الـعَـظْـم[1]

وَسَـلَـبْـتَـنـا مـا لَـسْـتَ مُـخْـلِـفَـهُ ... يـا دَهْـرُ ما أنْـصَـفْـتَ فـي الـحُـكْـم

لَـوْ كـانَ لـي قِـرنٌ أُنـاضِـلُـهُ ... مـا طـاشَ عِـنْـدَ حَـفِـيـظَـةٍ سَـهْـمـي[2]

لَوْ كـان يُـعـطِـي الـنّـصْـفَ قُـلْـتُ لَـهُ ... أحْـرَزْتَ سَـهْـمَـكَ فـالْـهُ عـن سَـهْـمِـي[3]

فقالت: نُعْطِيك النّصف ولا نُضيع سهمَك عندنا، ونُجزِل لك قِسمك، وأَمَرتْ لي بخمسة آلاف درهم وثيابٍ عَدَنِيّة وغير ذلك من الألطاف، وأتيتُ الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبرَ وقصصتُ عليه القصّة؛ فأمر لي بمثل ما أَمَرَتَا لي به جميعاً، فأتيتُ ٱبنَ أبي ربيعة وأعلمتُه بما جرى، فأمر لي بمثل ذلك، فما ٱنصرف واحد من ذلك المَوْسِم بمثل ما انصرفتُ به: بنظرة من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالمهما، وبما أمرتا لي به، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكّة، وابنِ أبي ربيعة، وما أجازاني به جميعاً من المال.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أبو الحسنِ المَرْوَزِيّ قال: حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال: لما حجّتْ عائشةُ بنتُ طَلْحةَ أرسل إليها الحارثُ بن خالد وهو أمير مكة: أنعم اللهُ بكِ عيناً وحيّاكِ، وقد أردتُ زيارتَكِ فكرِهتُ ذلك إلاّ عن أمرك، فإن أَذِنْتِ فيها فعلتُ؛ فقالت لمَوْلاة لها جَزْلةٍ[4]: وما أَرُدّ على هذا السفيه؟ فقالت لها أنا أَكْفِيك، فخرجتْ إلى الرسول وقالت له: اقرأ عليه السلام، وقل له: وأنت أنعم الله بكَ عيناً وحيّاك، نَقْضي نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله، ثم قالت لها: قُومي فطُوفي وٱسْعَيْ وٱقضِي عُمْرَتَكِ وٱخرجي في الليل، ففعلتْ؛ وأصبح الحارثُ فسأل عنها فأُخبِر خبرَها، فوجّه إليها رسولاً بهذه الأبيات، فوجَدها قد خرجتْ عن عمل مكّة، فأوصل الكتاب إليها، فقالت لمولاتها: خُذِيه فإني أظنه بعض سَفاهاته، فأخذتْه وقرأته وقالت له: ما قلنا إلا

(١) وقر في العظم: صدعه.
(٢) الحفيظة: الغضب.
(٣) النصف: العدل.
(٤) جزلة: عاقلة، صائبة الرأي.

سَدَداً وأنت فارغ للبطَالة[1]، ونحن عن فَرَاغك في شغل.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيب ابن نصر المهلّبيّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلّي قال: زعم كُلْثُوم بن أبي بكر بن عمر بن الضّحّاك بن قيس الفِهْرِيّ قال: قدِم المدينةَ قادمٌ من مكّة فدخل على عائشة بنت طلحة، فقالت له: من أين أقبل الرجل؟ قال: من مكّة، فقالت: فما فعل الأعرابيّ؟ فلم يَفْهَم ما أرادت، فلما عاد إلى مكّة دخل على الحارث، فقال له: من أين؟ قال: من المدينة، قال: فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة؟ قال: نعم، قال: فَعَمّاذا سألتْك؟ قال: قالت لي: ما فعل الأعرابيّ؟ قال له الحارث: فَعُدْ إليها ولك هذه الراحلةُ والحُلّة ونَفَقَتُك لطريقك وادفع إليها هذه الرقعة، وكتب إليها فيها:

صوت

[البسيط]

مـن كـان يَـسـألُ عـنّـا أيـن مَـنْـزِلُـنـا ... فـالأُقْـحُـوانَـةُ مـنـا مَـنْـزِلٌ قَـمَـنُ[2]

إذ نَـلْـبَـسُ الـعَـيْـشَ صَـفْـواً مـا يُـكَـدِّرُهُ ... طَـعْـنُ الـوُشَـاة ولا يـنـبـو بـنـا الـزمـنُ

قال إسحاق: وزادني غيرُ كلثوم فيها:

لَـيْـتَ الـهَـوَى لـم يُـقَـرِّبْـنِـي إلـيـكِ وَلَـمْ ... أعْـرِفْـكِ إذ كـان حَـظّـي مِـنْـكُـمُ الـحَـزَنُ

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحناً ولم يُجنِّسه، وذكر عمرو أن فيه لبابُويه ثاني ثقيل بالبنصر.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم، قال: لما ولّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزوميّ مكّةَ بعث إلى الغريض فقال له: لا أرَيَنّكَ في عملي[3]، وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يُجيبه، فخرج الغريضُ إلى ناحية الطائف، وبلغ ذلك الحارثَ فرقّ له فردّه وقال له: لِمَ كنتَ تُبْغِضنا وتهجر شِعرَنا ولا تَقْرَبُنا؟ قال له الغريض: كانت هفوةً من هفوات النفس،

---

(١) البطالة: اتباع اللهو.

(٢) الأقحوانة: موضع قرب مكة. (معجم البلدان ١/ ٢٣٤). والقَمَن: الجدير، الخليق.

(٣) عملي: ولايتي، البلد الذي أحكمه.

وخطرةً من خطَرات الشيطان، ومثلُك وهَب الذنب، وصفَحَ عن الجُرْم، وأقال العَثْرةَ[١]، وغَفر الزَّلَّة، ولستُ بعائدٍ إلى ذلك أبداً؛ قال: وهل غنّيتَ في شيء من شعري؟ قال: نعم، قد غنّيتُ في ثلاثة أصوات من شعرك، قال: هاتِ ما غنّيتَ، فغنّيتُ:

صوت

[البسيط]

بانَ الخَلِيطُ فما عاجُوا ولا عَدَلوا ... إذ وَدَّعُوكَ وَحَنَّتْ بالنَّوَى الإبِلُ[٢]

كأنَّ فِيهِمْ غداةَ البَيْن إذ رَحَلوا ... أَدْمَاءَ طاع لها الحَوْذَانُ والنَّفَلُ[٣]

ـ الغِناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش؛ قال حَبَش: وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رمَل بالبنصر، ولإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر ـ فقال له: أحسنتَ والله يا غريض، هات ما غنّيت فيه أيضاً من شعري، فغنّاه في قوله:

صوت

[البسيط]

يا لَيْتَ شِعْرِي وكم من مُنْيةٍ قُدِرَتْ ... وَفْقاً وأُخْرَى أتَى مِنْ دُونِها القَدَرُ

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيعُ له ... طَيَّ الحِمالَةِ لا جافٍ ولا فَقِرُ[٤]

لَهُ شَبِيهانِ لا نَقْصٌ يَعيبهما ... بِحَيْثُ كانا ولا طُولٌ ولا قِصَرُ

ـ لم أَعْرِف لهذا الشعر لحناً في شيء من الكتب ولا سمعتُه ـ فقال له الحارث: أحسنت والله يا غريض، إيهِ، وماذا أيضاً؟ فغنّاه قولَه: [الكامل]

عَفَتِ الدِّيارُ فما بها أهْلُ ... حُزّانُها ودِمَاثُها السّهلُ[٥]

إنّي وما نَحَرُوا غداةَ مِنًى ... عِنْدَ الجِمارِ تَؤودُها العُقْلُ

ـ الأبياتَ المذكورة وقد مضت نِسْبتُها معها ـ فقالِ له الحارث: يا غريضُ لا

(١) العثرة: السقطة، الزلة.

(٢) عاج: مال.

(٣) الأدماء: الظبية البيضاء فيها خطوط غبر. وقيل: التي لونها لون الجبال، وقيل: البيضاء الخالصة. والحوذان والنفل: نوعان من النبات.

(٤) الحمالة: علاقة السيف. والفَقِر: المكسور الفقار.

(٥) الحزّان: الأراضي الغليظة ذات الحجارة. والدماث: الأراضي السهلة اللينة.

لومَ في حبّك، ولا عذرَ في هجرك، ولا لذّة لمن لا يروِّح قلبَه بك، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكّةَ حظٌّ إلا أنتَ لكان حظًّا كافياً وافياً، يا غريض إنما الدنيا زينة، فأزْيَنُ الزينة ما فرّح النفسَ، ولقد فَهِم قَدْرَ الدنيا على حقيقته من فَهِم قَدْر الغناء.

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ قال: أنْشدت سُكَيْنَة بنت الحسين قول الحارث بن خالد: [الكامل]

فَـفَـرَغْـن مِـنْ سَـبْـعٍ وَقَـدْ جُـهِـدَتْ ... أحْـشـاؤهُـنَّ مَـوائِـلَ الـخُـمْـرِ

فقالت: أحَسَنٌ عندكم ما قال؟ قالوا: نعم، فقالت: وما حُسْنُه؟ فوالله لو طافت الإبل سَبْعاً لجُهِدت أحشاؤها.

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال: لما مات عمر بن عبد الله التَّيْمِيّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصْعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: ما يمنعك الآن منها؟ قال: لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نَسِيبي بها كان لشيء من الباطل.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: لما خرج ابنَ الأشعث على عبد الملك بن مروان شُغِل عن أن يولِّيَ على الحَجّ رجلاً، وكان الحارثُ بن خالد عامِلَه على مكّةَ، فخرج أبَانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكّة ليَحُجّ بالناس؛ فنَازَعه الحارثُ وقال له: لم يأتِني كتابُ أمير المؤمنين بتَوْليتك على المَوْسِم، وتغالَبا فَغَلبه أبانُ بن عثمان بنسبه، ومال إليه الناسُ فحجّ بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك: [الطويل]

فـإن تَـنْـجُ مـنـهـا يـا أبَـانُ مُـسَـلَّـمَـا ... فـقـد أفْلَتَ الـحَـجَّاجَ خَيْلُ شَبِيبِ[1]

وكـادَ غَـداةَ الـدَّيْـرِ يُـنْـفِـذُ حِـضْـنَـهُ ... غـلامٌ بـطَـعْـنِ الـقِـرْنِ جِـدُّ طَـبِـيـبِ[2]

وَأنْـسَـوْه وَصْـفَ الـدَّيْـرِ لـمـا رآهُـمُ ... وَحَـسَّـنَ خَـوْفُ الـمَـوْتِ كـلَّ مَـعِـيـبِ

فَلَقِيَه الحجّاجُ بعد ذلك، فقال: ما لي ولك يا حارث! أيُنازِعك أبانُ عملاً

---

(١) الحجاج: هو الحجاج بن يوسف والي العراق، وشبيب: أحد زعماء الخوارج وقادتهم.

(٢) الدير: دير الجماجم وفيه كانت الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث. والقرن: المماثل، والمشابه، والمساوي.

فتذكرَني! فقال له: ما أعتمدتُ مَساءَتك ولكن بلغني أنك أنت كاتَبتَه، قال: والله ما فعلتُ، فقال له الحارث: المَعْذِرة إلى الله وإليك أبا محمد.

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات: حدّثني عمرو بن سلم قال: حدّثني هارون بن موسى الفَرْوِيّ قال: حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال: حدّثني مؤدِّب لبني هشام بن عبد الملك قال: بَيْنا أنا أُلقِي على ولد هشام شعرَ قريشٍ إذ أنشدتُهم شعرَ الحارث بن خالد: [الكامل]

إنَّ امْــرأً تَــعْــتَــادُهُ ذِكَــرٌ ... مِــنْـهـا ثَـلاثُ مِـنـىً لَـذُو صَـبْـرِ

وهشامٌ مُصغٍ إليّ حتى ألقيتُ عليهم قولَه:

فَـفَـرَغْـنَ مـن سَـبْـعٍ وقـد جُـهِـدَتْ ... أحْـشـاؤهُـنَّ مَـوائِـلَ الـخُـمْـرِ

فانصرف وهو يقول: هذا كلامُ مُعَاينٍ.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أبو عبد الله السَّدُوسِيّ قال: وحدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال: أخبرنا أبو عُبَيدة قال: قدِمتْ عائشةُ بنت طلحة مكّةَ تريد العُمْرة، فلم يزل الحارثُ يدور حولها وينظر إليها ولا يُمكنه كلامُها حتى خرجتْ، فأنشأ يقول ـ وذكر في هذه الأبيات بُسْرَة حاضِنَتَها وكَنَى عنها ـ:

صوت

[مجزوء الكامل]

يــا دارُ أقْــفَــرَ رَسْــمُــهــا ... بـيـنَ الـمُـحَـصَّـبِ والـحَـجُـونِ[1]

أقْــوَتْ وَغــيَّــرَ آيَــهــا ... مَــرُّ الـحَـوادِثِ وَالـسِّـنِـيـنِ

واسْـتَـبْـدَلُـوا ظَـلَـفَ الـحِـجـازِ ... وَسُــرَّةَ الـبَـلَـدِ الأمِـيـنِ[2]

يــا بُــسْــرَ إنّــي فــاعْــلَــمِــي ... بــالله مُـجْـتَـهِـداً يَـمِـيـنـي

مــا إنْ صَــرَمْــتُ حِـبـالَـكُـمْ ... فَـصِـلِـي حِـبـالِـي أو ذَرِيـنـي[3]

في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ قال: وفيها

(١) المحصب: موضع بين مكة ومنى. والحجون: جبل بأعلى مكة.
(٢) ظلف الحجاز: غلظه وشدته. وسرّة البلد الأمين: وسط مكة المكرمة.
(٣) ذريني: دعيني.

لابن مِسجح ثقيلٌ أوّل، وذكر أحمد بن المكيّ أنّ فيها لابن سريج رملاً بالبنصر؛ وفيها لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حَبَش.

أخبرني الطُّوسيّ والحَرَمِيّ بن أبي العلاء قالا: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني مُصْعَب بن عثمان بن مُصْعب بن عُرْوة بن الزُّبَيْر، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن أحمد بن زُهَيْر عن مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ قال: كانت أُمُّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أَسِيد عند الحارث بن خالد، فولدتْ منه فاطمةَ بنت الحارث، وكانت قَبْلَه عند عبد الله بن مُطِيع، فولدت منه عِمْرَان ومحمداً، فقال فيها الحارث وكنّاها بابنها عمران: [البسيط]

يا أُمَّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحت ... بِيَ الصَّبابَةُ حتى شَفَّنِي الشَّفَقُ[1]

القَلْبُ تاقَ إلَيْكُمْ كَيْ يُلاقِيَكُمْ ... كما يَتُوقُ إلى مَنْجاتِهِ الغَرِقُ

تُنِيل نَزْراً قَليلاً وَهْيَ مُشْفِقَةٌ ... كما يخافُ مَسِيسَ الحَيَّةِ الفَرِقُ[2]

قال مصعب بن عثمان: فأنشَد رجل يوماً بحضرة ٱبنها عمران بن عبد الله بن مُطيع هذا الشعرَ، ثم فطِنَ فأمسك؛ فقال له: لا عليك، فإنها كانت زوجَته. وقال ٱبنُ ٱلمرزُبان في خبره: فقال له: امضِ رحِمك الله وما بأس بذلك، رجلٌ تزوّج بنت عمّه وكان لها كفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ، فكان ماذا!.

أخبرني محمد بن خَلف بن المرزُبان قال: حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التَّميميّ عن أبي شُعَيْب الأسديّ عن القَحذميّ قال: بينا الحارث بن خالد واقف على جَمْرة العَقَبة إذ رأى أمَّ بكر وهي ترمي الجَمْرَة فرأى أحسنَ الناس وجهاً، وكان في خدّها خالٌ ظاهر، فسأل عنها فأُخْبِر باسمها حتى عرَف رَحْلَها، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذن له في الحديث، فأذِنت له، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى ٱنقضت أيامُ الحجّ، فأرادت الخروجَ إلى بلدها، فقال فيها: [الطويل]

ألا قُل لذاتِ الخالِ يا صاحِ في الخدّ ... تَدُومُ إذا بانَتْ على أحْسَنِ العَهْدِ[3]

وَمنها عَلاماتٌ بِمَجْرَى وِشاحِها ... وَأُخرَى تَزِينُ الجِيدَ من مَوْضِعِ العِقْدِ

وَتَرْعَى مِنَ الوُدِّ الَّذِي كانَ بيننا ... فما يَسْتَوِي راعِي الأمانةِ والمُبْدِي

(١) شفني: أنحلني. والشفق: رقة الحب المؤدية إلى بعض الخوف.
(٢) الفَرِق: الشديد الفزع.
(٣) بانت: بعدت.

وَقُلْ قَدْ وَعَدْتِ اليومَ وعداً فأَنْجِزِي ... ولا تُخْلِفي، لا خَيْرَ في مُخْلِف الوَعْدِ
وَجُودِي عَلَيَّ اليومَ منكِ بنائلٍ ... ولا تَبْخَلِي، قُدِّمْتُ قَبْلَكِ في اللَّحدِ
فَمَنْ ذا الذي يُبْدِي السُّرورَ إذا دَنَتْ ... بكِ الدّارُ أو يُعْنَى بنأيِكُمُ بَعْدِي
دُنُوّكُمُ مِنّا رَخاءٌ نَنالُهُ ... وَنَأْيُكُمُ وَالبعدُ جَهْدٌ على جَهدِ
كَثِيرٌ إذا تَدْنُو اْغتباطِي بك النَّوى ... وَوَجْدِي إذا ما بِنْتُمُ لَيْسَ كالوَجْدِ
أقولُ ودمعي فوقَ خَدِّي مُخَضِّلٌ ... لَهُ وَشَلٌ قد بَلَّ تَهْتَانُهُ خدّي
لقد منحَ اللهُ البَخِيلَةَ وُدَّنا ... وما مُنِحتْ ودّي بِدَعْوَى ولا قَصْدِ

أخبرني محمد بن خلف قال: وحُدّثت عن المدائنيّ ولست أحفظ من حدّثني به قال: طافت ليلى بنت أبي مرّة بن عُرْوة بن مسعود وأمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها: [الطويل]

أطافَتْ بنا شَمْسُ النهارِ ومَنْ رأى ... من النَّاسِ شَمْساً بالعِشاءِ تَطُوفُ
أبُو أُمِّها أوْفَى قريشٍ بذِمّةٍ ... وأعْمامُها إمّا سألْتَ ثَقِيفُ

وفيها يقول: [الطويل]

أَمِن طَلَلٍ بالجِزْعِ من مكّة السِّدرِ ... عفا بين أكناف المُشَقَّر فالحَضْرِ[1]
ظَلِلتَ وَظَلَّ القَوْمُ مِنْ غيرِ حَاجَةٍ ... لَدُنْ غُدوةٍ حتى دَنَتْ حَزَّةُ العَصْرِ[2]
يُبَكُّونَ مِنْ لَيلَى عُهوداً قديمةً ... وماذا يُبَكِّي القَوْمُ من مَنْزِلٍ قَفْرِ

الغِناءُ في هذه الأبيات لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخِنصر والبِنصر عن يحيى المكيّ، وَذكر غيرُه أنه للغَريض. وفي ليلى هذه يقول ـ أنشدَناه وكيعٌ عن عبد الله ابن شَبيب عن إبراهيم بن المُنْذِر الحِزاميّ للحارث بن خالد، وفي بعض الأبيات غناءٌ ـ:

صوت

[الطويل]

لقد أرْسَلَتْ في السِّرِّ ليلَى تَلُومُنِي ... وَتَزْعُمُنِي ذا مَلَّةٍ طرِفاً جَلْدا[3]
وقد أخْلَفَتْنا كُلَّ ما وَعَدَتْ بهِ ... وَواللهِ ما أخْلَفْتُها عامِداً وعْدا

(١) الحضر: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٢/ ٢٦٧).

(٢) حزة العصر: وقت العصر.

(٣) الطّرِف: الذي لا يثبت على صاحب.

فَقُلْتُ مُجيباً لِلرَّسُولِ الَّذِي أتى تُرَاه، لَكَ الوَيْلاتُ، مِنْ قولِها جِدّا؟
إذا جِئْتَها فاقْرَ السَّلام وقُلْ لها دَعِي الجَوْرَ ليلَى واسْلُكِي مَنْهَجاً قَصْدا[١]
أفِي مُكْثِنا عَنْكُمْ لِيالٍ مَرِضْتُها تزيدينَنِي ليلَى على مَرَضِي جَهْدا
تَعُدِّينَ ذَنْباً واحِداً ما جَنَيْتُهُ عَلَيَّ وما أُحْصِي ذُنُوبَكُمُ عَدّا
فإن شِئْتِ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِواكُمُ وإن شِئْتِ لم أطْعَمْ نُقَاخاً ولا بَرْدا[٢]
وإن شئتِ غُرْنا بَعْدَكُمْ ثمَّ لم نَزَلْ بِمَكَّةَ حتَّى تَجْلِسِي قابِلاً نَجْدا[٣]

الغِناءُ للغَريض ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى. وذكر ابنُ المكيّ أن فيه لدَحْمَان ثانيَ ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيرُه. وفيه ثقيلٌ أوّلُ للأبْجَر عن يونس والهِشاميّ. وفيه لابن سُرَيج رمَل بالبِنصر. ولعَرار خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ وحَبَش.

أخبرني محمد بن خَلَف قال: أخبرني محمد بن الحارث الخَرّاز قال: حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ قال: كان الحارث بن خالد والياً على مكّة، وكان أبَان بن عثمان ربما جاءه كتابُ الخليفة أن يُصَلِّيَ بالناس ويُقيمَ لهم حَجّهم، فتأخّر عنه في سنة الحرب كتابُه ولم يأتِ الحارثَ كتابٌ، فلما حضر المَوْسِمُ شخَص أبَان من المدينة، فصلّى بالناس وعاونَتْه بنو أميّة ومَوَاليهم فغلَب الحارث على الصلاة، فقال: [الطويل]

فإن تَنْجُ مِنْها يا أبَانُ مُسَلَّماً فقد أفْلَتَ الحَجَّاجَ خَيْلُ شَبِيبِ

فبلغَ ذلك الحجّاجَ فقال: ما لي وللحارث! أيغلِبُه أبان بن عثمان على الصلاة ويهتِف بي أنا! ما ذِكْرُه إيّاي! فقال له عُبَيْد بن مَوْهَب: أتأذن أيها الأمير في إجابته وهِجائه؟ قال: نعم؛ فقال عبيد: [الطويل]

أبا وابِصٍ رَكِّبْ عَلاتَكَ والْتَمِس مَكاسِبَها إن اللَّئيمَ كَسُوبُ[٤]
ولا تَذْكُرِ الحَجّاجَ إلا بِصالِحٍ فَقَدْ عِشْتَ من معروفهِ بذَنُوبِ[٥]
وَلَسْتَ بوالٍ ما حَيِيتَ إمارةً لِمُسْتَخْلَفٍ إلا عَلَيْكَ رَقِيبُ

(١) المنهج القصد: الطريق المستقيم.
(٢) النقاخ: الماء البارد العذب الصافي.
(٣) غرنا: أتينا الغور. وجلس الرجل: أتى نجداً.
(٤) العلاة: الزبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد، وتشبه بها الناقة الصلبة.
(٥) الذَّنوب: يقصد بوفرة ونعيم.

قال المدائنيّ: وبلغني أن عبد الملك قال للحارث: أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: ما حَسُنَتْ فيه حالي وعَرُضَ وجهي، ثم قال:

لا كُوفَةٌ أُمِّي ولا بَصْرةٌ أبي ... وَلَسْتُ كَمَنْ يَثنيهِ عن وجهِهِ الكَسَلْ

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها في تشبيب الحارث بامرأته أمّ عِمْران:

صوت [البسيط]

بانَ الخَليطُ الَّذِي كنّا به نَثِقُ ... بانُوا وَقَلْبُكَ مَجْنُونٌ بهِمْ عَلِقُ

تُنِيلُ نَزْراً قليلاً وَهْيَ مُشْفِقةٌ ... كما يَخافُ مَسِيسَ الحَيَّةِ الفَرِقُ

يا أمّ عِمرانَ ما زَالتْ وما بَرِحَتْ ... بيَ الصَّبَّابَةُ حَتَّى شَفَّنِي الشَّفَقُ

لا أعْتَقَ اللَّهُ رِقّي من صَبابَتِكُمْ ... ما ضَرَّنِي أنَّنِي صَبٌّ بكم قَلِقُ

ضَحِكْتِ عن مُرْهَفِ الأنيابِ ذي أُشُرٍ ... لا قَضَمٌ في ثناياهُ ولا رَوَقُ[1]

يَتُوقُ قَلْبِي إليكم كي يلاقيكُمْ ... كما يَتُوقُ إلى مَنْجاتِهِ الغَرِقُ

غنّى ابنُ محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولِسَلْسَل في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشاميّ، ولابن سُرَيْج في الثاني والأوّل والرابع والخامس رمَل بالخنصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق، وللهُذليّ في الثاني ثم الأوّل هَزَج عن الهشاميّ. وذكر حَبَش أن فيها لابن سريج ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى، ولابن مُحْرِز ثانِيَ ثقيل آخر بالبِنصر، وذكر الهشاميّ أن لابن سُرَيج في الأبيات خفيفَ رمل.

وممّا يغنّى فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببُشْرَة جاريتها:

---

(١) الأشر: رقة وحدّة في الأسنان. والقضم: انصداع في الأسنان، وقيل: تثلّم في أطرافها. والرَّوَق: إشراف الثنايا العليا على السفلى، وهو عيب في الأسنان.

صوت

[الكامل]

يـا رَبْـعَ بُـسْـرَة بـالـجَـنـابِ تَـكَـلَّـم وأبِـنْ لـنـا خَـبَـراً ولا تَـسْـتَـعْـجِـم
مـا لِـي رأيـتُـكَ بـعـدَ أهْـلِـكَ مُـوحِـشاً خَـلَـقـاً كَـحَـوْض الـبـاقِـر الـمُـتَـهَـدِّم[1]
تَـسْـبي الـضَّـجِـيعَ إذا الـنُّـجُـومُ تَـغَـوَّرَتْ طَـوْعُ الـضَّـجِـيـعِ أنِـيـقَـةُ الـمُـتَـوَسَّـم
قُـبُّ الـبُـطُـونِ أوانِـسٌ مِـثْـلُ الـدُّمَـى يَـخْـلِـطْـنَ ذاكَ بِـعِـفَّـةٍ وَتَـكَـرُّمِ[2]

الغِناء لمعبدٍ خفيفُ رمَلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. والأبياتُ أكثر من هذه إلا أنّي اعتمدتُ على ما غُنِّيَ فيه.

ومنها صوتٌ قد جُمعتْ فيه عدّةُ طرائقَ وأصوات في أبياتٍ من القصيدة:

[الكامل]

أعَـرَفْـتَ أطـلالَ الـرُّسُـومِ تَـنَـكَّـرَتْ بَـعْـدِي وَبُـدِّلَ آيُـهُـنَّ دُثُـورَا[3]
وَتَـبَـدَّلَـتْ بـعـدَ الأنِـيـسِ بـأهْـلِـهـا عُـفْـراً بَـوَاغِـمَ يَـرْتَـعِـيـنَ وُعُـورا[4]
مِنْ كُـلِّ مُـصْـبِـيَـةِ الـحَـدِيـثِ تَـرَى لـهـا كَـفَـلاً كَـرابِـيَـةِ الـكَـثِـيـبِ وَثِـيـرا[5]
دَعْ ذا وَلَـكِـنْ هَـلْ رَأيْـتَ ظَـعـائِـنـاً قَـرَّبْـنَ أجْـمَـالاً لَـهُـنَّ بُـكُـورا
قَـرَّبْـنَ كـلَّ مُـخَـيَّـسٍ مُـتَـخَـمِّـلٍ بُـزُلاً تُـشَـبَّـهُ هـامُـهُـنَّ قُـبُـورا[6]
يَـفْـتِـنَّ لا يـألُـونَ كُـلَّ مُـغَـفَّـلٍ يَـمـلأنَـهُ بِـحَـدِيـثِـهِـنَّ سُـرُورا
يـا دارُ حَـسَّـرَهـا الـبِـلـى تَـحْـسِـيراً وَسَـفَـتْ عـلـيـهـا الـرِّيحُ بَعْدَكِ بُورا[7]
دَقَّ الـتـرابُ نَـخِـيـلُـه فَـمُـخَـيَّـمٌ بِـعِـراصِـهـا وَمُـسَـيَّـرٌ تَـسْـيِـيـرا[8]
يـا رَبْـعَ بُـسْـرَةَ إن أضَـرَّ بـكَ الـبِـلَـى فـلـقـد عَـهِـدْتُـكَ آهِـلاً مَـعْـمُـورا
عَـقَـبَ الـرَّذَاذُ خِـلافَـهـم فـكـأنَّـمـا بَـسَـطَ الـشَّـواطِـبُ بَـيْـنَـهُـنَّ حَـصِـيـرا[9]

---

(١) خلقاً: بالياً. والباقر: جماعة البقر.

(٢) قُبّ البطون: ضامرات البطون دقيقات الخصور.

(٣) الدثور: البلى.

(٤) العفر: جمع عفراء، وهي الظبية البيضاء يعلو بياضها حمرة. والبواغم: الظبية المصوتة إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها.

(٥) الكفل: العجيزة.

(٦) المخيّس: المذلّل.

(٧) حسّرها: أضرَّ بها. وسفت عليها الريح: هبت وذرت التراب ونحوه.

(٨) العراص: جمع عرصة، وهي ساحة الدار، أو البقعة الواسعة أمام الدور لا بناء فيها.

(٩) الشواطب: جمع شاطبة، وهي المرأة التي تشق الجريد لتعمل منه حصيراً.

إنْ يُمْسِ حَبْلُك بعدَ طولِ تَوَاصُلٍ خَلَقاً ويُصْبِح بَيْنُكم مَهْجُورا[١]
فلقد أرانِي، وَالجَدِيدُ إلى بِلىً زمناً بِوَصْلِكِ قانعاً مسرورا
جَذِلاً بما لي عندكم لا أبتغي لِلنَّفْسِ غَيْرَكِ خُلَّةً وَعَشِيرا
كنتِ المُنَى وأعزَّ مَنْ وطىء الحصا عِندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

غنَّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات معبد، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، مطلقٌ في مجرى الوسطَى عن إسحاق، وللغريض فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابنِ المكّيّ، وغنَّى الغريضُ في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنَّى معبدٌ في السابع والثامن والعاشر خفيف ثقيلٍ بالسبّابة والوسطَى عن يحيى المكّيّ، وفيها ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى طُوَيْس وابن مسجح وابن سُرَيج، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكيّ، وفيها بأعيانها لابن سُرَيج رملٌ بالسّبابة والوسطَى، عن يحيى أيضاً، وليحيى المكّيّ في الحادي عشر وما بعده إلى آخر الأبيات، ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ، وفيها لإسحاق رَمَلٌ، وفي الثالث والرابع لحنٌ لخُلَيْدةَ المكّيّة خفيفُ رملٍ عن الهشاميّ أيضاً.

ومنها من أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أوّلها: [البسيط]

هل تعرفُ الدّارَ أضْحَتْ آيُها عُجُمَا كَالرَّقِّ أجْرَى عَلَيْها حاذقٌ قَلَمَا[٢]
بِالخَيْفِ هاجَت شؤوناً غيرَ جامِدَةٍ فانْهَلَّتِ العَيْنُ تُذْرِي واكفاً سَجِما
دارٌ لِبُسْرَةَ أمْسَتْ ما تُكَلِّمُنا وَقَدْ أبَنْتُ لها لو تَعْرِفُ الكَلِما
وَاهاً لِبُسْرَةَ لو يَدْنُو الأمِيرُ بها يا لَيْتَ بُسْرَةَ قد أمْسَتْ لنا أَمَمَا[٣]

صوت

حَلَّتْ بِمَكَّةَ لا دارٌ مُصاقِبَةٌ هيهاتَ جَيْرونُ ممّن يسكن الحَرَما[٤]

---

(١) البَيْن: الوصل.
(٢) العجم: جمع عجماء، وهي الخرساء. والرَّق: جلد يكتب عليه.
(٣) أمماً: قريبة.
(٤) جيرون: بناء عند باب دمشق. (انظر معجم البلدان ٢/١٩٩).

يـا بُـسْـرُ إنَّـكُـمُ شَـطَّ الـبِـعـادُ بِـكُـمْ فـمـا تُـنـيـلـونَـنـا وَصْـلاً ولا نِـعَـمـا

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيهما ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر، جميعاً من روايته:

قَدْ قُلْتُ بالخَيْفِ إذ قالَتْ لِجارَتِها أدامَ وَصْلُ الَّذِي أهْدَى لنا الكَلِما

صوت

لا يُـرْغِـمُ الـلَّـهُ أنْـفـاً أنْـتَ حـامِـلُـهُ بل أنْفُ شانِيكَ فيما سَرَّكُمْ رَغِما[1]

إن كـانَ رابَـكَ شـيء لَـسْـتُ أعـلـمـه منّي فَهٰذِي يَمِيني بالرِّضا سَلَما

أوْ كُنْتُ أحْبَبْتُ شيئاً مثلَ حُبِّكُم فـلا أرَحْـتُ إذاً أهْـلاً ولا نَـعَـمـا

لا تَـكِـلـيـنـي إلى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُني وَقاكِ مَنْ تُبْغِضِينَ الحَتْفَ وَالسَّقما[2]

إنَّ الـوُشـاةَ كَـثِـيـرٌ إنْ أطَـعْـتُـهُـمُ لا يَـرْقُـبُـونَ بـنـا إلاً ولا ذِمَـمـا[3]

غنّى ٱبن مُحرز في:

* لا يُـرغـمُ الـلَّـهُ أنـفـاً أنْـتَ حـامِـلُـهُ *

خفيفَ ثقيل بالبنصر، ولابن مسجَح فيه ثاني ثقيلٍ عن حَبَش؛ وفي:

* لا تكـليـنـي إلى مـن لـيـس يرحمـنـي *

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ والهشاميّ.

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى قالا: أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيريّ قال: أذَّن المؤذِّنُ يوماً وخرج الحارثُ بن خالد إلى الصلاة، فأرسلتْ إليه عائشةُ ٱبنةُ طلحةَ: إنه بقيَ عليَّ شيءٌ من طوافي لم أُتِمَّهُ، فقعد وأمرَ المؤذِّنين فكفُّوا عن الإقامة وجعل الناسُ يَصيحون حتى فرغَتْ من طوافها، فبلغ ذلك عبدَ الملك بن مروان، فعزله وولَّى مكَّةَ عبدَ الرحمن بن عبدِ الله بن خالد بن أسِيد، وكتب إلى الحارث: ويلَكَ، أتركت الصلاةَ لعائشةَ بنتِ طلحة! فقال الحارث: والله لو لم تَقْضِ طوافَها إلى الفجرِ لما كَبَّرتُ؛ وقال في ذلك:

---

(١) شانيك وشانئك: مبغضك.
(٢) الحتف: الموت. والسقم: المرض.
(٣) الإلّ: الذمّة والعهد.

[الخفيف]

لَـمْ أُرَحِّـبْ بـأن سَـخِـطْـتِ ولـكـن مَـرْحَـبـاً أنْ رَضِـيـتِ عـنّـا وأهْـلا
إنْ وَجْـهـاً رأيـتُـهُ لـيـلـةَ الـبَـدْ رِ عَـلَـيْـهِ ٱنْـثَـنَـى الـجَـمـالُ وحَـلاّ
وجـهُـهـا الـوَجْـهُ لـو يُـسـالُ بـه الـمُـزْ نُ من الـحُـسْـنِ وَالـجَـمـالِ ٱستـهـلاّ
إنَّ عِـنْـدَ الـطَّـوافِ حِـيـنَ أتَـتْـهُ لَـجَـمـالاً فَـعْـمـاً وَخُـلْـقـاً رِفَـلاّ[1]
وكُـسِـيـن الـجَـمـالَ إن غِـبْـنَ عـنـهـا فـإذا مـا بَـدَتْ لَـهُـنَّ ٱضْـمَـحَـلاّ

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلَّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه، وهو:

صوت

[الطويل]

أثْـلَ جُـودِي عَـلَـى الـمُـتَـيَّـم أثْـلاَ لا تَـزِيـدِي فـؤادَه بـكِ خَـبْـلا
أثْـلَ إنّـي وَالـرَّاقِـصـاتِ بِـجَـمْـعٍ يـتـبـارَيْـنَ فـي الأزِمّـةِ فُـتْـلا[2]
سـانِـحـاتٍ يَـقْـطَـعْـنَ مـن عـرفـاتٍ بَـيْـنَ أيْـدِي الـمَـطِـيِّ حَـزْنـاً وسَـهـلا
وَالأكُـفِّ الـمُـضَـمَّـرات عـلـى الـرُّكْـ ـنِ بشُعْثٍ سَعَوْا إلى البَيْتِ رَجْلى[3]
لا أخُـونُ الـصَّـدِيـقَ فـي الـسِّـرّ حـتّـى يُـنْـقَـلَ الـبَـحْـرُ بِـالـغَـرَابِـيـلِ نَـقْـلا
أو تَـمُـرَّ الـجِـبـالُ مَـرَّ سَـحـابٍ مُـرْتَـقٍ قـد وَعَـى مـن الـمـاءِ ثِـقْـلا
أنْـعَـمَ الـلَّـهُ لـي بـذا الـوَجْـهِ عَـيْـنـاً وَبِـهِ مَـرْحَـبـاً وأهْـلاً وَسَـهْـلا
حِـيـنَ قـالـتْ لا تُـفْـشِـيَـنَّ حَـدِيـثـي يـابْـنَ عَـمِّـي أقْـسَـمْـتُ قُـلْـتُ أجَـلْ لا
إتَّـقِـي الله وٱقْـبَـلِـي الـعُـذرَ مـنّـي وتَـجـافَـيْ عـن بـعـضِ مـا كـان زَلاَّ[4]
لا تَـصُـدّي فـتـقـتُـلـيـنِـيَ ظُـلـمـاً ليس قَتْلُ الـمُـحِـبِّ لِلْحِبّ حِلاَّ[5]
مـا أكُـنْ سُـؤتُـكُـمْ بـه فَـلَـكِ الـعُـتْـ ـبَـى لَـدَيْـنـا وَحَـقَّ ذاك وَقَـلاّ
لـم أُرَحِّـبْ بـأن سَـخِـطْـتِ ولـكـنْ مَـرْحَـبـاً أنْ رَضِـيـتِ عـنّـا وأهـلا
إنَّ شَـخْـصـاً رأيـتُـهُ لـيـلـةَ الـبـد رِ عـلـيـهِ ٱنْـثـنـى الـجـمـالُ وحـلاّ

---

(١) الفعم: الممتلىء. والرفلّ: الموسَّع ثيابه.
(٢) الراقصات: النوق المسرعات. وجمع: المزدلفة، وهو المشعر الحرام سمّي جمعاً لاجتماع الناس فيه. والفتل: جمع فتلاء، وهي المتباعدة الذراعين.
(٣) رَجْلَى: ماشين على أرجلهم. جمع رَجْلان.
(٤) زلَّ: حدث خطأ وبدون قصد.
(٥) حلاًّ: حلالاً.

جَـعَـلَ الـلَّـهُ كُـلَّ أُنْـثَـى فِـداءً ... لَـكِ بَـلْ خَـدَّهـا لِـرِجْـلِـكِ نَـعْـلا
وَجْـهُـكِ الـبَـدْرُ لـو سَـأَلْـتُ بـه الـمُزْ ... نَ مِـنَ الـحُسْـنِ وَالـجَـمـالِ ٱسْـتَـهَـلاَّ

غنَّى معبدٌ في الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولابن تَيْزن في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق، ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ، وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيفُ ثقيلٍ بالوسطَى عن عمرو، ولدحمان في التاسع والعاشر والثالثَ عشر والرابع عشر خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو، ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عَشرَ لحنٌ ذكَره يونس ولم يجنِّسه ولابن سُرَيْج في هذه الأبيات بعينها رَمل بالوسطى عن عمرو، وللغريض فيها أيضاً خفيفُ رَمل بالبنصر عن ابن المَكيّ، ولابن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكَره حمّاد عن أبيه ولم يذكر طريقتَه.

ومنها:

صوت

[الوافر]

أَحَـقًّـا أنَّ جِـيـرَتَـنـا ٱسْـتَـحَـبُّـوا ... حُـزُونَ الأرْضِ بِـالـبَـلَـدِ الـسَّـخـاخِ[1]
إلـى عُـقْـرِ الأبـاطِـحِ مِـن ثَـبِـيـرٍ ... إلـى ثَـوْرٍ فـمَـدْفَـعِ ذي مُـرَاخِ[2]
فَـتِـلْـكَ ديـارُهُـمْ لـم يَـبْـقَ فـيـهـا ... سِـوَى طَـلَـلِ الـمُـعَـرَّسِ وَالـمُـنـاخِ
وقـد تَـغْـنَـى بـهـا فـي الـدّار حُـورٌ ... نَـواعِـمُ فـي الـمَـجـاسِـدِ كـالإراخِ[3]

غنَّى في هذه الأبيات الغريضُ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشاميّ.

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا عبد الله بن محمد قال: أخبرني محمد بن سلاّم قال: كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبي ربيعة، وكانت من مولّدات مكّة، فلما ورد على أهل المدينة نَعْيُ عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك وٱشتدّ عليهم، وكانت السوداءُ أشدَّهم حزناً وتَسَلّباً[4] وجعلت لا تمرّ

(١) السَّخاخ: الأرض اللينة الحرّة لا رمل فيها.
(٢) ثبير وثور: جبلان بمكة. وذو مراخ: موضع قريب من المزدلفة.
(٣) المجاسد: جمع مجسد، وهو القميص الذي يلي الجسد. والإراخ: بقر الوحش.
(٤) التسلُّب: حداد المرأة على زوجها أو غيره.

بسِكّة[١] من سكك المدينة إلا نَدَبَتْه، فلقيها بعضُ فتيان مكّة، فقال لها: خَفِّضي عليك، فقد نَشَأ ٱبنُ عمّ له يشبه شعرُه شِعره، فقالت: أنشِدني بعضه، فأنشدها قولَه:

إنـي ومـا نـحـروا غـداةَ مِـنـىً   عـنـد الـجِـمـار تـؤودُهـا الـعُـقْـلُ

الأبيات كلّها، قال: فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول: الحمد لله الذي لم يُضيِّع حَرَمه.

أخبرني اليَزيديّ قال: حدّثني عمّي (جدُّ عبيد الله) عن ٱبن حبيب عن ٱبن الأعرابيّ قال: ناضل[٢] سليمانُ بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبْس، فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العَبْسيُّ فأصاب، فقال: [الرجز]

* أنـا نَـضَـلْـتُ الـحـارث بـن خـالِـد *

ثم رَمى العبسيّ فأخطأ ورمى الحارثُ فأصاب، فقال الحارث: [الرجز]

* حَـسِـبْـتَ نَـضْـلَ الـحـارث بـن خـالِـد *

ورَمَيَا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ:

* مَـشْـيَـكَ بـيـن الـزِّرْبِ والـمَـرَابِـد[٣] *

ورَميا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ:

* وإنــك الـنـاقـصُ غـيـرُ الـزائـدِ *

فقال سُليمان: أقسمتُ عليك يا حارثُ إلاّ كفَفْتَ عن القولِ والرَّمْي فكَفّ.

(١) السكة: الطريق.
(٢) المناضلة: المباراة في الرمي.
(٣) الزِّرْب: حظيرة الغنم. والمرابد: جمع مربد وهو محبس الإبل وموقفها.

أخبارُ الأَبْجَر ونَسَبه

[اسمه وكنيته ولقبه وولاؤه]

الأَبْجَر لَقَبٌ غَلَب عليه، وٱسمه عُبَيد الله بن القاسم بن ضبية[١]، ويُكْنَى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه: أن ٱسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لِكنانة ثم لِبَنِي بَكْر، ويقال: إنه مولى لِبَني لَيْث.

أخبرني عمّي قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا ٱبن مَهْرُويه وهارون بن الزيّات قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال: كنا يوماً جلوساً عند إسحاق، فغنّتنا جارية يقال لها «سَمْحة»: [البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مَرَضٌ قتَلْننا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا

فَهِبتُ إسحاق أن أسألَه لِمَن الغِناء، فقلت لبعضٍ من كان معنا: سَلْه، فسأله فقال له إسحاقُ: ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أحْبَبتُه لمّا أسْنَنتُ[٢]، فقال: لا ولكنّ هذا النَّقْبَ عمَلُ هذا اللّص، وضرب بيده إلى تَلابيبي، فقال له الرجل: صدقتَ يا أبا محمد، فأقْبَل عليّ فقال لي: ألم أَقُلْ لك إذا ٱشْتَهيتَ شيئاً فَسلْ عنه، أمَا لأُعْطِيَنّكَ فيه ما تُعايي[٣] به مَنْ شئت منهم، أتدري لمن الشعرُ؟ فقلتُ: لجرير، فقال لي: والغِناء للأبجر؛ وكان مَدَنِيًّا مَنْشَؤه بمكّة، أو مَكيًّا منشؤه بالمدينة، أتدري ما ٱسمُه؟ قلت: لا، قال: ٱسمه عبيد الله بن القاسم

(١) أغلب الظن أن هذا الاسم مصحف إذ لم نعثر على عربي بهذا الاسم.

(٢) أسننت: أصبحت مسنًّا، كبرت.

(٣) عايا صاحبه معاياة: عاجزه، ألقى عليه كلاماً لا يهتدى لوجهه.

ابن ضبية، أتدري ما كنيته؟ قلت: لا، قال: أبو طالب، ثم قال: اْذهب فعَاي بهذا من شئتَ منهم فإنك تظفرَ به.

[غناؤه وخروجه إلى الشام]

وقال هارون: حدّثني حمّاد عن أبيه قال: الأَبْجر اْسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرّة أُخرى: عبيد الله بن القاسم، مولى لبني بكر بن كِنانة، وقيل: إنه مولى لبني لَيْث، يُلقّبُ بالحَسْحَاس.

قال هارون: وحدّثني حماد عن أبيه قال: حدّثني عَوْرَك اللّهبيّ قال: لم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أسْرى ولا أحسنَ هيئةً من الأبجر، كانت حُلّتُه بمائة دينار وفرسُه بمائة دينار ومركَبُه بمائة دينار، وكان يقف بين المأزِمَيْن[1] فيرفع صوتَه فيقف الناسُ له يركَبُ بعضُهم بعضاً.

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، قالا: جلَس الأبجرُ في ليلة اليوم السابع من أيام الحَجّ على قريبٍ من التّنْعِيم[2] فإذا عَسْكَرٌ جَرّار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دوابٌّ تجْنَبُ وفيها فرسٌ أدْهَمُ عليه سَرْجٌ حِلْيتُه ذهب فاندفع، فغنّى:

عَـرَفْـتُ ديـارَ الـحَـيِّ خـالـيـةً قَـفْـرا ... كـأنَّ بـهـا لَـمَّـا تـوهَّـمْـتُـهـا سَـطْـرا

فلما سمِعَهُ مَنْ في القِباب والمَحامل أمسكوا، وصاح صائحٌ: ويحك! أعد الصوتَ، فقال: لا والله! إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار، فإذا الوليدُ بن يزيد صاحبُ الإبل، فنُودِيَ: أين منزلُك ومَنْ أنتَ؟ فقال: أنا الأبجر ومنزلي على باب زُقاق الخَرّازين، فغدا عليه رسُول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَخْتٍ من ثياب وَشْي وغيرِ ذلك، ثم أتى به الوليدَ فأقام عنده، وراح مع أصحابه عشيّة التّرْوية[3] وهو أحسنهم هيئة، وخرج معه أو بعده إلى الشأم.

---

(١) المأزمان: جبلان بمكة. (انظر معجم البلدان ٥/ ٤٠).

(٢) التنعيم: موضع بمكة في الحلّ بين مكة وسرف. (معجم البلدان ٢/ ٤٩٠).

(٣) عشية التروية: عشية اليوم الثامن من ذي الحجة.

قال إسحاق: وحدّثني عَوْرك اللّهبيّ أن خروجه كان معه، وذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكّةَ، وفي تلك السنة حَجّ الوليد، لأن هشاماً أمره بذلك ليَهْتِكه عند أهل الحَرَم، فيجدَ السبيلَ إلى خَلْعه، فظهر منه أكثرُ مما أراد به من التّشاغُل بالمغنّين واللهو، وأقبل الأبجرُ معه حتى قُتل الوليدُ، ثم خرج إلى مصر فمات بها.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[الطويل]

عَرَفْتُ ديارَ الحَيِّ خاليةً قَفْرا ... كأنَّ بها لمّا تَوَهَّمْتُها سَطْرا
وَقَفْتُ بها كَيْما تَرُدَّ جوابَها ... فَمَا بَيَّنَتْ لي الدَّارُ عَنْ أَهْلِها خُبْرا

الغناءُ لأبي عبّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو وفيه لسِياطَ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر.

قال إسحاق: وحُدِّثتُ أنّ الأبجرَ أخذ صوتاً من الغريض ليلاً ثم دخل في الطّواف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبي ربَاح يطوف بالبيت، فقال: يا أبا محمد، اسمع صوتاً أخذتُه في هذه الليلة من الغريض؛ قال له: ويحك! أفي هذا الموضع! فقال: كفرتُ بربِّ هذا البيتِ لئن لم تسمَعْه منّي سرًّا لأجهَرَنّ به؛ فقال هاته، فغنّاه:

صوت

[السريع]

عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ ... إنَّكِ إلاّ تَفْعَلِي تَحْرَجِي[1]
إنِّي أُتِيحَتْ لي يَمَانِيَةٌ ... إحْدَى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حَوْلاً كامِلاً كُلَّهُ ... لا نَلْتَقِي إلا عَلَى مَنْهَجِ[2]
في الحَجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنىً ... وأهْلُهُ إنْ هِيَ لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء: الخيرُ الكثيرُ والله في مِنىً وأهلِهِ حجّت أو لم تحجّ، فاذهب

(١) تحرجي: تأثمي.
(٢) الحَوْل: العام. والمنهج: الطريق الواضحة.

الآن. وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبرُه في أخبار العَرْجيّ والغريض.

قال إسحاق: وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عُبَيد بن عُمَير قال: خَتَّن عطاء بن أبي رَبَاح بنيه أو بني أخيه، فكان الأبجرُ يختلف إليهم ثلاثةَ أيام يغنّي لهم.

قال هارون بن محمد حدّثني حمّاد بن إسحاق قال: نسخت من كتاب ٱبن أبي نجيح بخطّه: حدّثني غُرَيْر بن طَلْحة الأرقميّ عن يحيى بن عِمْران عن عمر بن حفص بن أبي كِلاب قال: كان الأبجرُ مولانا وكان مَكّيًّا، فكان إذا قَدِم المدينةَ نَزَل علينا، فقال لنا يوماً: أسمِعُوني غناء ٱبن عائشتِكم هذا، فأرسلنا فيه فجمَعْنا بينهما في بيت ٱبن هَبّار فتَغنّى ابن عائشة، فقال الأبجر: كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن تَغَنّيتُ معك إلاّ بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعه في شِدْقه فتغنّى، فسمِع صوتَه مَنْ في السّوق فحُشِر الناسُ علينا، فلم يفترقا حتى تشاتَما، قال: وكان ابن عائشة حديداً[1] جاهلاً.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: وحدّثني ابن أبي سعد قال: حدّثني القطرانيّ المغنّي عن محمد بن جَبْر عن إبراهيم بن المهديّ قال: حدّثني ابن أشعب عن أبيه قال: دُعِيَ ذات يوم المغنُّون للوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم فقلت للرسول: خُذني فيهم؛ قال: لم أُؤْمَرْ بذلك وإنما أُمِرتُ بإحضار المغنِّين وأنت بطّال[2] لا تدخل في جملتهم، فقلت: أنا والله أحسنُ غِناءً منهم، ثم ٱندفعتُ فغنّيته؛ فقال: لقد سمعتُ حَسَناً ولكنّي أخاف؛ فقلت: لا خوف عليك، ولك مع هذا شرطٌ، قال: وما هو؟ قلت: كلّ ما أصبتُه فلك شَطْرُه[3]؛ فقال للجماعة: اشهدوا عليه، فشهدوا ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ النفس[4]، فغنّاه المغنُّون في كل فنّ من خفيفٍ وثقيلٍ، فلم يتحرّك ولا نَشِط، فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادم عن خبره، وبأيِّ سببٍ هو خاثر[5]؟ فقال: بينه وبين ٱمرأته شرٌّ، لأنه عشِق أختها فغَضِبتْ عليه فهو إلى أختها أميل،

---

(١) حديداً: حادّ الغضب.

(٢) البطّال: الكثير اللهو والبطالة والهزل.

(٣) الشطر: النصف.

(٤) لقس النفس: مصاب بالغثيان.

(٥) الخاثر: الذي غثت نفسه.

وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألاّ يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها، فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى أندفع فغنّى:

صوت

[الطويل]

فـبِـيـنِـي فـإنِّـي لا أُبـالـي وَأَيْـقِـنـي أصَعَّـدَ بـاقِـي حُـبِّـكُـمْ أمْ تَـصَـوَّبـا[1]
ألـم تـعـلَـمِـي أنّـي عَـزُوفٌ عـن الـهَـوَى إذا صاحِبي مِنْ غيرِ شيءٍ تَغَضَّبا[2]

فطَرِب الوليد وأرتاح وقال: أصبتَ يا عُبَيْدُ والله ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِب حتى سكِر، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأبجر، فلما أيقنتُ بانقضاء المجلس وثَبتُ فقلت: إن رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تأمرَ مَنْ يضربني مائةَ الساعةَ بحضرتك! فضحك وقال: قبّحك الله! وما السببُ في ذلك؟ فأخبرتُه بقصتي مع الرسول وقلت: إنه بَدأني من المكروه في أوّل يومه بما اتصل عليّ إلى آخره، فأريد أن أُضرَبَ مائةً ويُضرَبَ بعدي مثلها، فقال له: لقد لَطُفتَ، أعطوه مائةَ دينار وأعطُوا الرسولَ خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذَها، فقبضتُها وما حَظِيَ أحدٌ بشيء غيري وغيرَ الرسول. والشعر الذي غَنى فيه الأبجر الوليدَ بن يزيدَ لعبد الرحمٰن بن الحكم أخي مَرْوان بن الحكم، والغناءُ للأبجر ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبتْ.

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة

حَـمْـزَةُ الـمُـبْـتـاعُ بـالـمـالِ الـثَّـنَـا وَيَـرَى فـي بَـيْـعِـهِ أنْ قَـدْ غَـبَـنْ
فَـهْـوَ إن أعْـطَـى عـطـاءً فـاضِـلاً ذَا إخـاءٍ لـم يُـكَـدِّرْهُ بـمَـنّ
وإذا مـا سَـنَـةٌ مُـجْـدِبَـةٌ بَـرَتِ الـنـاسَ كـبـرْيِ بـالـسَّـفَـنْ[3]
كـان لـلـنـاسِ ربـيـعـاً مُـغْـدِقـاً سـاقـط الأكـنـافِ إن راح أرجَـحـنّ[4]

(١) تصوّب: انحدر.
(٢) عزوف: مبتعد، ممتنع.
(٣) السفن: كل ما ينحت به أو يبرى من فأس، أو قدوم، أو حجر.
(٤) ارجحنّ: مال، اهتز.

نُــور شــرقٍ بَــيِّــنٌ فــي وجــهــه لــم يُــصِــبْ أثــوابَــه لــونُ الــدَّرَنْ[١]

عروضه من الرمل. الشعر لموسى شَهَوات. والغناءُ لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) الدرن: الوسخ. يقال: درن الثوب: اتّسخ.

أخبار موسى شَهَوات ونسبُه وخبرُه في هذا الشعر

[توفي نحو ١١٠ هـ ـ ٧٢٨ م]

[اسمه ونسبه ولقبه وولاؤه]

هو موسى بن يَسَار مولى قريش، ويُختَلفُ في وَلائه فيقال: إنه مولى بني سَهْم، ويقال: مولى بني تَيْم بن مُرَّة، ويقال: مولى بني عَدِيّ بن كعب، ويُكنى أبا محمد، وشَهَوات لقبٌ غلَب عليه.

وحدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: إنما لُقِّب موسى شهوات لأنه كان سَؤولاً مُلحِفاً[1]، فكان كلّما رأى مع أحد شيئاً يُعجبه من مالٍ أو مَتَاع أو ثوب أو فرس، تَباكى، فإذا قيل له: ما لك؟ قال: أشتهِي هذا، فسُمِّيَ موسى شهوات. قال: وذكر آخرون أنه كان من أهل أذْرَبِيجان وأنه نشأ بالمدينة وكان يُجْلَب إليه القَنْدُ[2] والسّكرُ، فقالت له امرأة من أهله: ما يزال موسى يَجيئنا بالشهوات؛ فغَلَبتْ عليه.

أخبرني الحرمِيّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: كان محمد ابن يحيى يقول: موسى شَهَوات مولى بني عَدِيّ بن كعْب، وليس ذاك بصحيح، هو مولى تيْم بن مرّة، وذكر عبد الله بن شَبيب عن الحِزَاميّ أنه مولى بني سَهْم.

وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ عن مُصْعَب ومحمد بن سلاّم قال: موسى شهوات مولى بني سَهْم.

---

(١) ملحفاً: ملحًّا في السؤال.

(٢) القند: عسل قصب السكر إذا جمد.

[بعض أخباره وشعره]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة قال: هوِيَ موسى شهوات جاريةً بالمدينة فاستُهِيم بها وساوَم مولاها فيها فاستام[1] بها عشرةَ آلاف درهم، فجمع كلَّ ما يَملِكه واْستماح[2] إخوانَه فبلَغ أربعةَ آلافِ درهم، فأتى إلى سعيد بن خالد العُثْمانِيّ فأخبره بحاله واْستعان به، وكان صديقَه وأوثقَ الناس عنده، فدافَعه[3] واْعتلّ عليه فخرج من عنده؛ فلما ولَّى تَمثّل سعيدٌ قولَ الشاعر:

كَتَبْتَ إلَيَّ تَسْتَهْدِي الجَوارِي ... لَقَدْ أنْعَظْتَ مِنْ بَلَدٍ بَعيدِ

فأتَى سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيد فأخبره بقصّته فأمر له بستة آلاف درهم، فلما قبَضَها ونهَض قال له: اْجلِسْ، إذا اْبتعتَها بهذا المال وقد أنفدتَ كلّ ما تَمْلِك فبأيّ حالٍ تَعِيشان! ثم دفع إليه ألفيْ درهم وكُسْوةً وطِيباً، وقال: أَصلِحْ بهذا شأنكما؛ فقال فيه: [مجزوء الكامل]

أبا خالدٍ أعْنِي سعيدَ بْنَ خالدٍ ... أخا العُرْف لا أعْنِي اْبنَ بنتِ سعيدِ
ولكنّني أعْنِي اْبنَ عائِشَةَ الذي ... أبُو أبَوَيْهِ خالدُ بنُ أسِيدِ
عَقِيدُ النَّدَى ما عاشَ يَرْضَى به النَّدَى ... فإن ماتَ لم يَرْضَ النَّدَى بعَقِيدِ
دَعُوهُ دعوه إنَّكُمْ قد رَقَدْتُمُ ... وما هُوَ عن أحْسابِكُمْ برَقُودِ
قَتَلْتَ أُناساً هكذا في جُلُودِهِمْ ... مِنَ الغَيْظِ لم تقتُلْهُم بحَدِيدِ

قال: فشكاه العثمانيّ إلى سليمان بن عبد الملك، فأحْضر موسى وقال له: يا عاضّ كذا وكذا، أتهجو سعيدَ بن خالد! فقال: واللهِ يا أميرَ المؤمنين ما هجوتُه ولكنّي مدحتُ اْبنَ عمّه فغضِب هو، ثم أخبره بالقصّة؛ فقال للعثمانيّ: قد صدَق، إنما نَسَبَ مَنْ مَدَحَه إلى أبيه ليُعْرَف. قال: وكان سليمانُ إذا نظر إلى سعيد بن خالد ابن عبد الله يقول: لَعَمْري واللهِ ما أنت عن أحسابنا برَقود.

وأخبرني محمد بن عبد الله اليَزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عُبَيدة وقال فيه:

---

(١) استام جارية: ساوم على ثمنها.

(٢) استماحه: استعطاه.

(٣) دافعه: ماطله، أجّله.

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتةُ[1] في كلّ سنة، فأرادوا عِلاجَه، فتكلّمتْ صاحبتُه على لسانه وقالت: أنا كريمة بنت مِلْحان سيِّد الجنّ، وإن عالَجتموه قتلتموه، فوالله لو وجدتُ أكرم منه لهَوِيتُه.

أخبرني وكِيع عن أبي حَمْزة أَنَسِ بن خالد الأنْصاريّ عن قَبِيصة بن عمر بن حَفْص المهلَّبيّ عن أبي عُبيدة قال: حدّثني الحارث بن سليمان الهُجَيْميّ، ـ وهو أبو خالد بن الحارث المحدِّث ـ قال: وكان عنده رُؤْبَة بن العَجّاج، قال:

شهِدت مجلسَ أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيدُ بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان، فقال: يا أمير المؤمنين، أتيتُك مُسْتَعْدِياً، قال: ومَنْ بك؟ قال: موسى شَهَوات، قال: وما له؟ قال: سَمّع بي[2] وٱستطالَ في عرْضي، فقال: يا غلام، عليّ بموسى فأتني به فأُتِيَ به، فقال: ويلك! أسمَّعتَ به وٱستطلتَ في عِرْضه؟ قال: ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنّي مدحتُ ٱبن عمّه فغضِب هو، قال: وكيف ذلك؟ قال: علِقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنَها جِدَتِي[3]، فأتيتُه وهو صديقي فشكوتُ إليه ذلك، فلم أُصِبْ عنده شيئاً، فأتيتُ ٱبنَ عمّه سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد فشكوتُ إليه ما شكوتُه إلى هذا، فقال: تعودُ إليّ، فتركتُه ثلاثاً ثم أتيتُه فسَهَّل مِن إذْنِي، فلما ٱستقرّ بي المجلسُ قال: يا غلام، قل لقيِّمتي: هاتي ودِيعتي، ففتَح باباً بين بيتين وإذا بجارية، فقال لي: أهذِه بُغْيتُك؟ قلتُ: نعم فِدَاك أبي وأمِّي! قال: ٱجلِس ثم قال: يا غلام، قل لقيِّمتي: هاتِي ظَبية نَفَقَتي[4]، فأُتِي بظَبيةٍ فنُثِرت بين يديه فإذا فيها مائةُ دينار ليس فيها غيرها فرُدّت في الظَّبْية، ثم قال: عَتِيدةَ طِيبي[5]، فأُتِيَ بها، فقال: ملْحَفَةَ فِراشي، فأُتِيَ بها، فصَيَّر ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي المِلْحفة، ثم قال: شأنك بهواك وٱستعِنْ بهذا عليه؛ فقال له سليمانُ بن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا: قال: قلت:

أبا خالدٍ أعْنِي سَعِيدَ بْنَ خالدٍ ... أخا العُرْفِ لا أعْنِي ٱبْنَ بِنْتِ سَعِيدِ
وَلٰكِنَّنِي أعني ٱبنَ عائشة الذي ... أبو أبويهِ خالدُ بن أسِيدِ

(١) الموتة: ضرب من الصرع.
(٢) سَمَّعَ بي: شهَّر بي، فضحني.
(٣) جِدتي: ما أملك من مال.
(٤) ظبية النفقة: كيس من جلد الظبية تحفظ فيه الأموال.
(٥) العتيدة: حقّ الطيب.

عَقِيدُ النَّدَى ما عاشَ يَرضَى به النَّدَى ... فإن ماتَ لم يرضَ النَّدَى بِعَقِيدِ
دَعُوهُ دَعُوهُ إنكمْ قد رَقَدْتُم ... وما هُوَ عن أحْسابِكُمْ بِرَقودِ

فقال سليمان: عليّ يا غلام بسعيد بن خالد، فأُتِيَ به، فقال: أحقّ ما وصفَك به موسى؟ قال: وما ذاك يا أميرَ المؤمنين؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك يا أميرَ المؤمنين، قال: فما طوّقتك هذه الأفعال؟ قال: دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار؛ فقال له: قد أمرتُ لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثُلُث مثلها، فحُمِلت إليه مائةُ ألف دينار؛ قال: فلقِيتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلت له: ما فعلَ المالُ الذي وصَلَك به سليمانُ؟ قال: ما أصبحتُ والله أملِك منه إلا خمسين ديناراً؛ قلتُ: ما ٱغتالَه؟ قال: خَلّةٌ[1] مِن صديق أو فاقةٌ من ذي رَحِم.

أخبرني وَكِيع قال: حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة عن مُصْعَب الزبيريّ ومحمد بن سَلاّم قال: عشق موسى شهوات جاريةً بالمدينة فأَعْطَى بها عشرةَ آلاف درهم؛ ثم ذكر باقيَ الحديث مثل حديث سليمان بنِ أبي شَيْخ؛ وقال فيه: أما والله لئن مدحتُه وهو سَمِيُّك وأبوه سَمِيُّ أبيك ولم أُفرِّق بينكما لَيقولنّ الناسُ: أهذا أم هذا، ولكن والله لأقولنّ قولاً لا يُشَكُّ فيه، وتمامُ هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها: [الطويل]

فِدًى لِلْكَريمِ العَبْشَمِيِّ ٱبنِ خالد ... بَنِيَّ ومالِي طارِفي وتَلِيدي[2]
على وجهِهِ تُلْقَى الأيامِنَ وٱسْمِهِ ... وَكُلُّ جَوارِي طَيْرِهِ بِسُعودِ[3]
أبانَ وما ٱسْتَغْنَى عن الثَّدْيِ خيرُهُ ... أبانَ به في المهدِ قَبْلَ قُعُودِ
دَعُوه دعُوه إنَّكُمْ قد رَقَدْتُمُ ... وما هُو عن أحسابكم بِرَقودِ
تَرَى الجُنْدَ والجُنَّابَ يَغْشَوْن بابَهُ ... بحاجاتهم مِنْ سَيِّدٍ ومَسُودِ[4]
فيُعطِي ولا يُعْطَى ويُغْشَى ويُجْتَدَى ... وما بابُهُ للمُجْتَدِي بِسَدِيدِ
قتلتَ أُناساً هكذا في جُلودِهِمْ ... من الغيظِ لَمْ تَقْتُلْهُمُ بِحَدِيدِ
يَعيشونَ ما عاشُوا بِغَيْظٍ وإن تَجِنْ ... مَنَايَاهُمُ يَوْماً تَجِنْ بِحُقُودِ
فَقُلْ لِبُغاةِ العُرْفِ قد ماتَ خالدٌ ... وماتَ النَّدَى إلا فُضُولَ سَعِيدِ

---

(١) الخلّة: الفقر والحاجة.
(٢) العبشمي: المنسوب إلى عبد شمس. والطارف: المال المستفاد. والتليد: المال الموروث.
(٣) الأيامن: الخيرات.
(٤) الجُنّاب: الغرباء، مفرده: جانب.

قال وكِيعٌ في خبره: أمّا قوله: «لا أعني ٱبنَ بنت سعيد» فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمِنةُ بنت سعيد بن العاصي، وعائشةَ أمّ عَقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخُزَاعيّة أختُ طَلْحة الطَّلَحاتِ، وأمُّها صَفِيّة بنت الحارث بن طَلْحة بن أبي طَلْحة من بني عبد الدار بن قُصَيّ، وأمّ أبي عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية بن أبي سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: لما أنشد موسى شهوات سليمانَ بن عبد الملك شعرَه في سعيد ابن خالد قال له: ٱتّفق ٱسمَاهُما واسْما أبوَيْهما، فتخوّفتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرّقتُ بينهما بأمّهما، فأغضبه أنْ مدحتُ ٱبنَ عمّه، فقال له سليمانُ: بَلَى والله لقد هجوتَه وما خَفِي عليّ ولكني لا أجد إليك سبيلاً، فأطلَقه.

أخبرني وكيع قال: حدّثني أحمد بن زُهَير قال: حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا محمد بن مَسْلَمة الثقفيّ قال: قال موسى شهوات لِمعبد: أأَمْدَحُ حَمْزَةَ بن عبد الله بن الزبير بأبياتٍ وتُغَنِّي فيها ويكون ما يُعطينا بيني وبينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى: [الرمل]

حَمْزَةُ المبتاعُ بالمالِ الثَّنا ... وَيَرى في بَيْعِهِ أنْ قَدْ غَبَنْ

فَهْوَ إن أعْطَى عَطاءً فاضِلاً ... ذا إخاءٍ لم يُكدِّرْه بِمَنّ

وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَةٌ ... بَرَتِ النَّاسَ كَبَرْيِ بالسَّفَنْ[1]

حَسَرَتْ عنه نَقِيًّا عِرْضُهُ ... ذا بلاءٍ عند مُخْناها حَسَنْ[2]

نُورُ صِدْقٍ بَيِّنٌ في وَجْهِهِ ... لم يُدَنِّسْ ثوبَهُ لَوْنُ الدَّرَنْ

كُنْتَ لِلنَّاسِ رَبِيعاً مُغْدِقاً ... ساقِطَ الأكنافِ إن راحَ أرجَحَنّ

قال أحمد بن زهير: وأوّلُ هذه القصيدة عن غير ٱبن سلاّم:

شاقَني اليومَ حَبِيبٌ قد ظَعَنْ ... فَفُؤادِي مُسْتَهَامٌ مُرْتَهَنْ

إنّ هِنْداً تَيَّمَتْنِي حِقْبَةً ... ثم بانَتْ وهي لِلنَّفْسِ شَجَنْ

فِتْنَةٌ أُلْحِقَها اللَّهُ بِنا ... عائِذٌ بِاللَّهِ من شَرِّ الفِتَنْ

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: أخبرني

---

(١) السنة المجحفة: القاسية الشديدة، الكثيرة القحط والجدب.

(٢) مخناها: مصدر ميمي من أخنى، أي هلك.

الطَّلْحي قال: أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمْران بن موسى بن طَلْحة قال: لما زُفَّت فاطمةُ بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان عارَضها موسى شهوات: [مجزوء الخفيف]

طَلْحَةُ الخَيْرِ جَدُّكم وَلِخَيْرِ الفَوَاطِمِ
أنتِ للطَّاهِراتِ مِن فَرْعِ تَيْمٍ وهاشِمِ
أَرْتَجِيكُمْ لِنَفْعِكم ولِدَفْعِ المَظالِمِ

فأُمر له بكُسْوةٍ ودنانيرَ وطيبٍ.

[بين مديح وهجاء]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرَانيّ قال: حدّثنا العَنَزيّ عن العُتْبيّ قال: كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمرَ بن عبد العزيز فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

[المتقارب]

أبَعْد الأغَرِّ ٱبْنِ عَبْدِ العَزِيزِ قَرِيعِ قُرَيْشٍ إذا يُذْكَرُ[1]
تَزوّجْتِ داودَ مَخْتارةً ألاَ ذلكَ الخَلَفُ الأعْوَرُ[2]

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقول: صدق واللهِ موسى، إنك لأنتَ الخَلَف الأعور، فيشتُمُه داود.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال: أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدِمَشق، وكان فتىً جواداً سَمْحاً، فلما ركِب وثَب إليه فأخذ بعِنان دابّته، ثم قال: [الخفيف]

قُمْ فَصَوِّتْ إذا أتَيْتَ دِمَشْقاً يا يَزِيدُ بْنَ خالِدِ بْنِ يزيدِ
يا يَزِيدُ بْنَ خالِدٍ إنْ تُجِبْنِي يَلْقَنِي طائِرِي بِنَجْمِ السُّعُودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال له: كلما شئتَ فنادِنا نُجِبْك.

أخبرنا وكيع قال: حدّثني أحمد بن زهير قال: حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيْريّ قال:

---

(١) قريع قريش: سيد قريش.

(٢) الأعور: الرديء من كل شيء.

زُوِّج موسى شهوات بنتَ مولًى لمَعْن بن عبد الرحمن بن عَوْف يقال له داود ٱبن أبي حُمَيدة، فلما جُلِيت عليه قال داود: ما للجَلْوة؟ فأنشأ يقول: [الوافر]

تـقـولُ لـيَ الـنِّـسـاءُ غـدَاةَ تُـجْـلَـى ... حـمـيـدةُ يـا فَـتَـى مـا لِـلْـجِـلاءِ
فَـقُـلْـتُ لَـهُـمْ سَـمَـرْقَـنْـدٌ وبَـلْـخٌ ... ومـا بِـالـصِّـيـنِ مِـنْ نَـعَـمٍ وشَـاءِ
أبـوهـا حـاتِـمٌ إن سِـيـلَ خـيـراً ... ولـيـثُ كـريـهـةٍ عـنـدَ الـلِّـقـاءِ

أخبرني وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حدّثنا مصعَب قال: قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِب على موسى شهوات بقضيّة، وكان خالدُ بن عبد الملك ٱستقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوه:

[الطويل]

وَجَدْتُكَ فَهًّا في القَضاءِ مُخَلِّطاً ... فَقَدْتُك من قاضٍ وَمِنْ مُتأمِّرِ(١)
فَدَعْ عَنْكَ ما شَيَّدتَهُ ذات رَخَّةٍ ... أذَى النَّاسِ لا تَحْشُرْهُمُ كُلَّ مَحْشَرِ(٢)

ثم وَلِيَ القضاءَ سَعيدُ بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاريّ، فقال يمدحه:

مَنْ سَرَّهُ الحُكْمُ صِرفاً لا مِزاجَ لَهُ ... مِنَ القُضَاةِ وَعَدْلٌ غيرُ مَغْمُوزِ
فَلْيأْتِ دارَ سَعِيدِ الخَيْرِ إنَّ بها ... أمْضَى على الحَقِّ من سَيْفِ ٱبن جُرْمُوزِ(٣)

قال: وكان سعدُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف، قد وليَ المدينةَ وٱشتدّ على السفهاء والشعراء والمغنّين، ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه، وكان قبيحَ الوجه، فقال موسى يهجوه: [الخفيف]

قُلْ لِسَعْدٍ وَجْهِ العَجُوزِ لقد كنـ ... ـتَ لِمَا قد أُوتِيتَ سعداً مُخِيلا
إن تَكُنْ ظالماً جَهُولاً فقد كا ... ن أبوكَ الأدْنَى ظلوماً جهولا

وقال يهجوه: [الخفيف]

لعن اللَّهُ والعِبادُ ثُطَيْطَ الـ ... ـوَجْهِ لا يُرْتَجَى قبيحَ الجِوارِ(٤)
يَتَّقِي النّاسُ فُحْشَهُ وأذَاهُ ... مِثْلَ ما يتَّقونَ بَوْلَ الحِمارِ

(١) ألفة: العييّ. وخلّط في كلامه: هذى.

(٢) ذات رخة: كذا في الأصول والمعنى غامض، ولعل ذلك تحريفاً من النساخ.

(٣) ابن جرموز: هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام.

(٤) ثطيط: تصغير ثطّ. والمثطّ والأثطّ، وهو الذي خفّ شعر لحيته وحاجبيه.

لا تَغُرَّنْك سَجْدَةٌ بين عينيْـ ـهِ حَذارِ منها ومنه حَذارِ
إنها سَجْدةٌ بها يَخْدَع النا سَ عليها من سَجْدة بالدَّبارِ(١)

أخبرني عمّي قال: أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شَبيب قال: ذكر الحِزاميّ أنّ موسى شهوات سأل بعض آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها، وبلغ ذلك عبدَ الله بن عمرو بن عثمان، فبعث إليه بما كان ٱلتمسه من الزُّبَيْريّ من غير مسألة؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد، ثم أنشأ يقول:

ليسَ فيما بَدا لنا منكَ عيبٌ عابَهُ النَّاسُ غيرَ أنَّكَ فاني
أنْتَ نِعمَ المَتَاعُ لو كُنْتَ تَبْقى غيرَ أنْ لا بَقَاءَ للإنسانِ

والشعر المذكور فيه الغناء، يقوله موسى شَهَوات في حَمْزة بن عبد الله بن الزبير، وكان فتىً كريماً جواداً على هَوَجٍ كان فيه، ووَلاّه أبوه العِراقَين وعَزَل مُصْعَباً لمّا تزوّج سُكَيْنة بنت الحسين رضيَ الله عنه وعائشةَ بنت طلحة وأمهر كلَّ واحدة منهما ألفَ ألفِ درهم.

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعَب الزبيريّ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرّازي والحسينُ بن عليّ: قال عُبَيد الله: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، وقال الحسين: حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة عن المدائنيّ عن أبي مِخْنَف أن أَنَسَ بن زُنَيْم اللّيْثيّ كتب إلى عبد الله بن الزُّبَير:

[الكامل]

أبْلِغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً مِن ناصِحٍ لكَ لا يُريك خِداعا
بَضَعَ الفتاةَ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتَبِيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا(٢)
لو لأبي حَفْصٍ أقولُ مَقَالتي وَأَبُثُّ ما أبثثُكُمْ لارتاعا

فلما وصلت الأبياتُ إليه جَزِع ثم قال: صَدَقَ والله، لو لأبِي حفصٍ يقول:

إنَّ مُصْعَباً تزوّج ٱمرأتين بألفي ألفِ درهم لارتاع، إنّا بعثنا مصعباً إلى العِراق فأغمد سيفَه وسَلّ أيره وسنَعْزِله، فدعا بابنه حمزة، وأمُّه بنت منظور بن زَبّان

(١) الدبار: الهلاك.
(٢) بضع الفتاة: نكحها.

الفَزَاريّ وكان لها منه مَحَلٌّ لطيف، فولاّه البَصْرة وعَزَل مصعباً. فبلغ قولهُ عبدَ الملك في أخيه مصعب، فقال: لكنّ أبا خُبَيْب أغمد سيفَه وأيرَه وخَيْرَه.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: هذه الأبيات لعبد الله بن همّام السَّلُوليّ.

قالوا جميعاً: فلما ولي ٱبنُه حمزة البصرة أساء السِّيرة وخَلّط تخليطاً شديداً، وكان جواداً شجاعاً أهوجَ، فوفدتْ إلى أبيه الوفود في أمره، وكتب إليه الأحنف بأمره وما يُنكره الناسُ منه وأنه يخشى أن تفسُد عليه طاعتُهم؛ فعزلَه عن البصرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا المدائنيّ قال: لما قَدِم حمزةُ بن عبد الله البصرةَ والياً عليها، وكان جواداً شجاعاً مُخَلِّطاً يجود أحياناً حتى لا يَدَعَ شيئاً يملِكه إلا وَهَبه ويَمْنَع أحياناً ما لا يُمْنَع من مثله، فظَهَرتْ منه بالبصرة خِفّة وضَعْف. ورَكِب يوماً إلى فَيْض البصرة[1]، فلما رآه قال: إنّ هذا الغدير إن رَفَقُوا به لَيَكْفِيَنّهم صَيْفَتَهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركِب إليه فوافقه جازِراً[2] فقال: قد رأيتُه ذاتَ يوم فظننتُ أن لن يكفيَهم؛ فقال له الأحنف: إن هذا ماءٌ يأتينا ثم يَغِيض عنّا ثم يعود. وشَخَص إلى الأهواز فرأى جبلَها، فقال: هذا قُعَيْقِعان ـ وقعيقعان جبلٌ بمكّة ـ فلُقِّب ذلك الجبلُ بقُعَيقعان.

قال أبو زيد: وحدّثني غيرُ المدائنيّ أنه سَمِع بذكر الجبل بالبَصْرة، فدعا بعامله فقال له: ابعث فائتنا بخَرَاج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه. وبعث إلى مَرْدَانْشاه فاستحثّه بالخراج فأبطأ به، فقام إليه بسيفه فقتله؛ فقال له الأحنف: ما أحَدَّ سيفك أيّها الأمير! وهَمَّ بعبد العزيز بن شَبيب بن خيّاط أن يضرِبه بالسِّياط؛ فكتب إلى ابن الزبير بذلك وقال له: إذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرِف ٱبنَك عنها وأعِدْ إليها مُصْعَباً؛ ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعِيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جَزَر:

يـابْنَ الـزُّبَـيْـرِ بَـعَـثْـتَ حَـمْـزَةَ عـامـلاً ... يـا لَـيْـتَ حَـمْـزَةَ كـان خَـلْـفَ عُـمَـانِ
أزْرَى بِـدَجْـلَـةَ حِـيـنَ عَـبَّ عُـبَـابُـهـا ... وتـقـاذَفَـتْ بِـزَواخِـرِ الـطُّـوفـانِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبي عُبَيدة

(١) فيض البصرة: نهرها.

(٢) جزر النهر: انحسر ماؤه.

قال: خَطَبَ النَّوَارَ ٱبنةَ أَعْيَن المُجَاشِعية رجلٌ من قومها، فجعلت أمْرَها إلى الفَرَزْدق، وكان ابنَ عمها دِنْيَةً، ليزوّجها منه، فأشهَدَ عليها بذلك وبأنّ أمْرَها إليه شُهوداً عُدُولاً؛ فلما أشهدتْهم على نفسها قال لهم الفرزدق: فإني أُشْهِدكم أنّي قد تزوّجتُها، فمنعته النَّوار نفسَها وخرجت إلى الحجاز إلى عبد الله بن الزُّبَير، فاستَجارت بامرأته بنت منظور بن زَبّان، وخرج الفرزدق فعاذَ بابنه حمزةَ، وقال يمدحه: [البسيط]

يا حَمْزَ هَلْ لكَ في ذي حاجةٍ غَرِضتْ ... أنضاؤهُ بمكانٍ غيرِ مَمْطُورِ[1]

فأنْتَ أولَى قُرَيشٍ أن تكونَ لها ... وأنت بَيْنَ أبي بكرٍ ومنظورِ

فجعل أمرُ النَّوار يقوَى وأمرُ الفرزدق يضعُف؛ فقال الفرزدق في ذلك:

[البسيط]

أمّا بَنُوه فلم تَنفَعْ شَفَاعتُهُمْ ... وشُفِّعَتْ بِنْتُ منظورِ بن زَبَّانا

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذي يأتيكَ مُؤْتَزِراً ... مثل الشَّفِيعِ الَّذي يأتيكَ عُرْيانا

فبلغ ابنَ الزُّبَير شعرهُ، ولَقِيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضَغَط حَلْقه حتى كاد يقتلُه، ثم خَلاّه وقال:

لقد أصْبَحَتْ عِرْسُ الفَرَزْدقِ ناشِزاً ... وَلَوْ رَضِيَتْ رَمْحَ ٱستِهِ لاسْتَقَرَّتِ[2]

ثم دخل إلى النَّوار فقال لها: إن شئت فَرّقتُ بينك وبينَه ثم ضربتُ عنقَه فلا يهجونا أبداً، وإن شئتِ أمضيتِ نِكاحه فهو ابن عمّك وأقربُ الناس إليك، وكانت ٱمرأة صالحةً، فقالت: أوَما غيرُ هذا؟ قال: لا؛ قالت: ما أُحِبّ أن يُقْتَل ولكني أُمضِي أمرَه فلعلّ الله أن يجعل في كُرْهي إيّاه خيراً؛ فمضتْ إليه وخرجتْ معه إلى البصرة.

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قالا: حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن الزّبَيْريّ: أن حمزة بن عبد الله كان جواداً، فدخل إليه مَعْبَد يوماً وقد أرسله ٱبن قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ دينار فأعطاه ألف الدينار، فلما خرج من عنده قِيل له: هذا عبد ٱبن قَطَن وهو يروِي فيك شعر موسى

(١) غرضت: ملت، ضجرت.

(٢) عِرْس الفرزدق: زوجته.

شَهَوات فيُحْسِن روايتَه، فأمر بردِّه فرُدَّ، وقال له ما حكاه القوم عنه، فغَنّاه مَعْبَد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً؛ ولما كان بعد ذلك رَدّ ٱبنُ قَطَن عليه المالَ فلم يقبلْه، وقال له: إنه إذا خرج عنّي مالٌ لم يَعُدْ إلى ملكي، وقد رُوِيَ أنّ الداخلَ على حمزة والمخاطَبَ في أمره بهذه المخاطبة ابنُ سُرَيْج؛ وليس ذلك بِثَبَتٍ، هذا هو الصحيح، والغناء لمعبد.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانيّ: أن موسى شَهَوات أملق[1]، فقال لمعبد: قد قلتُ في حمزة بن عبد الله شعراً فغنِّ فيه حتى يكون أجزلَ لصلتنا؛ ففعل ذلك معبد وغنَّى في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها مَعْبد، فأمَرَ لكل واحد منهما بمائتي دينار.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال: حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال: كان موسى شهوات مولًى لسليمان بن أبي خَيْثَمة بن حُذَيفة العدويّ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز، وكان الخلفاء من بني أُميّة يحسِنون إليه ويُدِرُّون عطاءه وتَجيئُه صِلاتُهم إلى الحجاز. وكانت فاطمةُ بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمانَ بن مروان وكان دميماً قبيحاً، فقال موسى شهوات في ذلك:

أبعدَ الأغَرِّ ٱبْنِ عبد العزيز ... قريعِ قُرَيْشٍ إذا يُذْكَرُ
تَزَوَّجْتِ داودَ مختارةً ... ألاَ ذلكَ الخَلَفُ الأعْوَرُ

فغلبَ عليه ذلك في بني مروان، فكان يقال له: الخلفُ الأعورُ.

صوت

من المائة المختارة

[السريع]

عُوجَا خَلِيلَيَّ على المَحْضَرِ ... والرَّبْعِ من سَلاّمَةَ المُقْفِرِ[2]
عُوجا به فاستنطِقَاه فقد ... ذكَّرَنِي ما كُنْتُ لم أذْكُرِ

---

(١) أملق: افتقر.

(٢) المحضر: المنهل الذي يجتمع القوم عليه.

ذَكَّرَنِي سَلْمَى وَأيامَها إذ جاورَتْنا بِلِوَى عَسْجَرِ[(١)]
بالرَّبْعِ من وَدّانَ مبدا لنا ومِخْوَراً ناهِيكَ من مِخْوَرِ[(٢)]
في مَحْضَرٍ كُنّا به نَلْتَقِي يا حَبَّذا ذلكَ من مَحْضَرِ
إذ نَحْنُ والحَيّ به جِيرةٌ فيما مَضَى من سالِفِ الأعْصُرِ

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل: إنه لعمرَ بن أبي ربيعة، وقيل: إنه للعرجيّ، وهو للوليد صحيح، والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر في مجراها، وفيه لِشارِيةَ خفيفُ رملٍ آخر عن ابن المعتزّ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحَكَمٍ الواديّ خفيف رملٍ أيضاً.

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنيّ قال: كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سُكَينةَ بنتَ الحسين رضي الله تعالى عنه، فعَتَبَ عليها يوماً، فخرج إلى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت له: إن ٱبن عثمان خرج عاتباً عليّ فاعلَمْ لي حالَه، قلت: لا أستطيع أن أذهبَ إليه الساعةَ، فقالت: أنا أُعطيكَ ثلاثين ديناراً، فأعطتني إياها فأتيتُه ليلاً فدخلتُ الدارَ، فقال: انظروا مَنْ في الدار، فأتوه فقالوا: أشعبُ، فنزل عن فرشه وصار إلى الأرض فقال: أَشُعَيب؟ قلت: نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سُكينةُ لأعلَم خبركَ، أتَذَكّرتَ منها ما تذكّرتْ منك؟ وأنا أعلم أنك قد فعلتَ حين نَزَلْتَ عن فرشك وصرتَ إلى الأرض، قال: دعني من هذا وغنّني: [الخفيف]

عُوجا به فاسْتَنْطِقاهُ فقد ذَكَّرَنِي ما كُنْتُ لم أذكرِ

فغنّيتُه فلم يطربْ، ثم قال: غنني ويحك غير هَذا، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حُلّتِي هذه وقد ٱشتريتُها آنِفاً بثلاثمائة دينار، فغنّيته:

صوت

[الخفيف]

عَلِقَ القَلْبِ بَعْضُ ما قد شَجَاهُ من حَبِيبٍ أمْسَى هوانا هواهُ
ما ضِرارِي نَفْسِي بهجرانِ منْ ليـ ـس مُسِيئاً ولا بَعِيداً نواهُ
وٱجتنابِي بَيْتَ الحَبِيبِ وما الخُلْـ ـدُ بأشْهَى إلَيَّ من أن أراهُ

---

(١) عسجر: موضع قرب مكة. (معجم البلدان ٤/ ١٢١).
(٢) المبدا: المبدأ، وسهلت الهمزة. وفي ودّان: (انظر معجم البلدان ٥/ ٣٦٥).

فقال: ما عَدَوْتَ ما في نفسي، خُذِ الحلّة، فأخذتُها ورجعتُ إلى سكينة فقصصتُ عليها القصّةَ، فقالت: وأين الحلّةُ؟ قلتُ: معي، فقالت: وأنت الآن تريد أن تلبسَ حلّة ٱبن عثمان! لا والله ولا كرامةَ! فقلتُ: قد أعطانيها، فأي شيءٍ تُريدين منّي! فقالت: أنا أشتَرِيها منكَ، فبعتُها إياها بثلثمائة دينار. الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للدارمي خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسْطَى، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذليّ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما، واتّفق أنّ مغنيةً دخلت فغنتهما:

[الخفيف]

ما ضِرَارِي نَفْسِي بهِجرانِ مَنْ ليـ ... ـسَ مُسيئاً ولا بَعيداً نواهُ

فقالت الجاريةُ: لا شيءَ واللهِ إلا الحمقُ، ثم قامت إلى مولاها فقبَّلَتْ رأسَه وٱصطلحا.

صوت

من المائة المختارة

[المنسرح]

يا وَيْحَ نَفْسِي لو أنَّهُ أقْصَرْ ... ما كانَ عَيْشِي كما أرَى أكْدَرْ[1]

يا مَنْ عَذِيري مِمَّنْ كَلِفْتُ به ... يَشْهَدُ قَلْبِي بأنَّهُ يُسْحَرْ

يا رُبَّ يَوْمٍ رأيتُني مَرِحاً ... آخُذُ في اللَّهْوِ مُسْبِلَ المِئْزَرْ

بَيْنَ نَدَامَى تحُثُّ كأسَهُمُ ... عَلَيْهِمُ كَفُّ شادِنٍ أحْوَرْ

الشعر لأبي العتاهية والغناء لفرِيدَةَ خفيفُ رمل بالبنصر.

إلى هنا انتهى الجزء الثالث من كتاب الأغاني

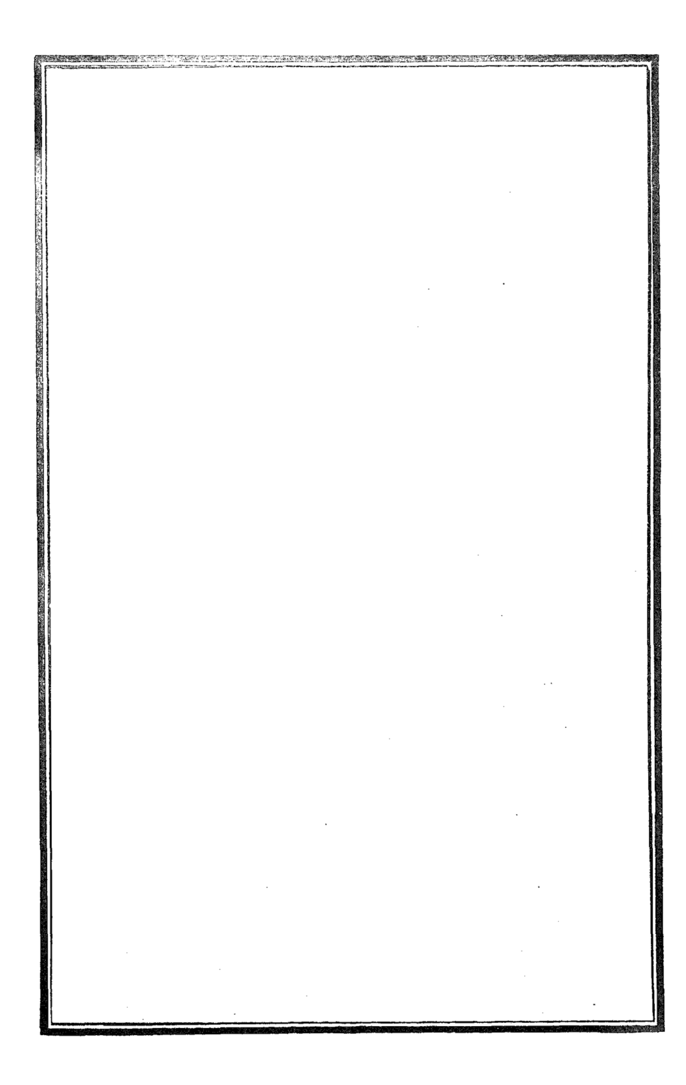
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع منه، وأوّله:

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

---

(١) أقصر: كف ونزع.

فهرس الجزء الثالث




Bibliotheca Alexandrina
04442302